الدكتور شوقي خيرالله

النهضة في النهضة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى 1 ـ 12 ـ 2000

- طباعة = مطبعة صنين
- الناشر

بيســـان للنشر والتوزيع والأعلام
ص ب 5261/ 13 بيروت ـ لبنان
هاتف: 351291 ـ 01
فكس: 747089

الإهداء

إلى اللواتي والذين

اعتنقوا النهضة حقيقةً ومناقبَ، فلم يستعبدهم ظاهرُ الحرف، ولم يستهلكهم وعثاءُ الصراع،

وصاروا وظلّوا أحراراً من أمة حرّة، فاعتقلهم الولاءُ القومي الاجتماعي،

وأدركوا سرَّ مشرقية لبنان، وحقيقةَ عروبة سورية، وقَدَرَ الاتحاد العربي، ورسوليةَ العروبة الجديدة.

الرفيق الأمين
العلاّمة الدكتور
النقيب المتقاعد
بو علي شوقي خيرالله
2000 – 11 – 1
الزيزفون بطلّون بحمدون
نقاش العرب انطلياس

مقدمـــة

الإقدام على اعتماد العنوان لم يَخْلُ من انتقاد. ولكنه مَعْلَم تبنّاه مئات النهضويين القلقين، وصاغه بعبارته عشرات من مثقفي النهضة فكان لنا راية استنفار. لقد اجتاز الجميع العقبة بغير ارتجاع. وصرنا نتعتّب على من ليسوا بقلقين، ونعجب أن القَسَم لمّا يستلّ منهم نخوة استنقاذ.

إن المتعاقدين لرسلٌ أحرار أنّى ثقِفتهم لأنهم استُودعوا سرّاً يعتقلهم أحراراً بنذرهم ومجاهدين.

وبعدُ فما هذا التعاقد؟

إنه شراكة ورفاقة في الأيمان واليقين والعزم، وفي القلق والمسؤولية، وفي غضبة الحميّة. ومهما تنوّع اهتمام الرفقاء في معارج العمل فلا تنفكّ هواجسهم ترنو نحو مطلع الضحى أبداً فتتلاقى لُبُناتٍ في العقد المرصوص حول قلب القبّة، وكما الدائرة حول نقطة البيكار. إن الولاء قَدَر مُراد.

وحياة الترسّل هي أبداً كَلَيلةِ القَدْر، يتوالى فيها العتاب والنقد والتصحيح والحساب والميزان. فكلٌ متلوّم وكلٌ ملوم، وكلٌ رفيق. وذلكم التراحم. وافتقاده هو الأزمة.

سرّ النهضة والتعاقد أنه أيّاً كان موقعك في حلبة الحياة والمعترك فأنت أقنوم في النهضة، ومن الحركة والحزب، ويُشغلك هاجسُ الثقافة الجديدة والبشرى والأعلام وضبطِ الخطاب. ويشرّفك تقمُّصكَ الحقيقة كتاباً أو إذاعة أو مقالاً أو موقفاً. ويتوّج مسيرتك في كل حال توقٌ إلى وقفة العزّ المصوّرة على

أفق الشفق، وإلى نبل الشهادة وسط الركام والزحام. فأنت شاهد أمين بقدر ما تبدع وما يتفتّق فيك من ولاء صادق.

وموقفك هذا هو نسغ حياتك على مدار القمرين. مقياسُ عمرك ولاؤك. ولا تَنْسَ! أنت من أبناء الحياة والنور!! وأنت شريك لا مملوك.

جوهر المسيرة العنقاء، المغشّاة والموشّاة بنقاب الشهادة، هو أنّ حَمَلَة العقيدة ميمّمون إلى الشعب يبشرونه بالكلمة والقدوة فلعلّ أن يقوم ويدوم وأن يثمر الحوارُ لنقاسم المواطنين حرياتنا وعزّتنا والمواعيد، حتى إن كانوا أمسِ قد عملوا لأذلالنا، تدارَكَهم الحقُّ أنّى يفقهون!

قصدنا المهيمن فأنْ يسودَ العقلُ لدى المكابرين مهما عَيِتْنا لاجتذابهم سواء بالنصوص الموضوعة أم بالتأويل المتآخي مع الزمان المتحرك أم بالقدوة الصادقة. العقل وحده شرعُنا.

تلكم أسسُ هذا الكتاب ورسالته. وقد أردناه تحريضاً لأبناء الحياة القاعدين، وللساكتين عن شحوب الخطاب النهضوي وعن خطأ الإدارة. وأردناه نداءً إلى أبناء الأمة، وإلى عروبة المشرقين والمغربين لأننا وإياهم إزاء الأخطار واحدٌ، وإزاء العزّة الموعودة واحدٌ. والغريب إسرائيل.

هذا الكتاب فصول ومقالات وخطب ومحاضرات يقيم أودَها **أقانيمُ** توائم: **نهضةٌ ذات عقيدة، وجدانٌ خلّاق، انبثاقُ فكر ووعيٍ، وعقلٌ مولّد، وقلمٌ حرّ، ومغامرةُ مصير**. الأقانيم جميعاً عقد مجدول أَحَدُ، وليس يتحمّل الزاحلة ولا الضلالة ولا الغوى. بل هو العقد المتين هو معتَصَمٌ يصارع الباطلَ الشعوبي والمستعجم، والمتخلّفَ جميعاً، ويقتحم كلَّ منخسة. القصد الأعظم أنْ ينتشر الانتماء وأن يتوثق الالتزام بالملكوت المرتجى، وبالغايتين التوأمين، فتتحرر الأمة والعروبة **جميعاً ومعاً**، لأننا إلّم نتحرر معاً فسوف نسقط معاً وفرادى مثل عاد وثمود. ألا تلكم حكمة تاريخ 6000 سنة من **العروبات المتواليات**، وتلكم سنّة مصيرها الواحد ولو كره الكارهون: إنّ العروبةَ واحدٌ، وإنّ العدوَّ إسرائيل: مبتدأ وخبر، **مبتدأ مطلق وخبر مطلق**، **وإنّ** فللتوكيد. ومن لم يقتنع فليعتمد على الأساطيل!!

يقيننا المبتوت وعروتنا الوثقى **أنّ هذا المعتقد لمكتملٌ بالمناقب** وإلا فلا

نهضة ولا أمة ولا عروبة. العقيدة الصحيحة والمناقب صفحتان ظهيرتان، ومعاً تؤلفان الوعيَ القومي أي قنّةَ تسامي الإنسان.

إن بين النهضة وبين العقيدة والمناقب والدمقراطية والحرية، لجدليةً مَدْرَجِيَّةً تامة. أشبه شيء بهما الشمعة ونورها، والفكرة والكلمة، والنهضة والحزب. هذه الجدلية المتكاملة نسغٌ أدمتّاه أحراراً. وهي شُحنة الوجدانات المتقدة والمتراحمة، وهي وقود معارك العزّ والآلام. وهي مادةُ أحلام السنى التي زرعها الزعيم فينا وبثّها حتى ارتفاعه عنا **في اليوم السابع من الشهر السابع من العام السابع من عمر الاستقلال الغشيم**. وهي ينبوع كل طوبى مجنونة حرّرتنا في الأسر وجنّحتنا في وعر الجهاد الأكبر طوال سبعين عاماً. وبفضلها ظلّ الشهداءُ يُرزقون، وظلّ الأحياءُ أمناءَ ينتظرون قُرعة الأقدار بتحدٍّ جبّار.

هذا التحدّي لا يَكْنَهُ سرَّه إلا خالقُه وقد نفخه فينا رجاءُ الرفقاء ودعمُ الأمة المتنزلُ على عشّاق الحرية والاستقلال.

في زلازل **الثورتين الأولى والثانية** ظلَّ العمالقةُ يتحدّون الطاغوتَ والتعذيبَ والكفّارَ: وخسئَتْ شوكةُ البرابرة، وأينَ غلبتُكَ يا موت!!

وظللنا جميعاً جميعاً هيهاتَ منا المذلّة.

كتاب **النهضة في النهضة** هدية إلى مقاحيم الملكوت هؤلاء، حَمَلَةِ صوفية القسم العَجَب، والرفاقة العنقاء، وتقشفٍ يا ما غَلَّبَنا على تجارب الهوينى، وعلى جهالات البرابرة، وعلى تملّق الترف وسراب الهروب. لولا صوفية العزّ القومي فأنّى صرعْنا التنينَ وتياراتِ الفكر المشبوه وأبواقَ إسرائيل وأقلامَ العبودية؟!

ذهنيةُ الجهاد العنيد هي عملقتْ مجانينَ النهضة، والنخبةَ المعاكسةَ وصعاليكَ الضنى، وصاغت عصمة العزّ. ولولاها لوُئدتْ النخواتُ الغرُّ في مواكر التفرقة وأقنان الأقنان.

فإذا ما ساد الأحرارَ قرفٌ من الترهّل فليس أحدُ بغافل عن المسؤول. وكفانا بالتورية بلاغة!!

مسلّمة نهضوية لا تخرم: حكمتها أنّ أقسى وأضنى ما في تباريح الجهاد

جورُ ذوي القربى، وأنْ يحطمَ الطغيانُ أقلامَ الحرية، وألاّ يساندَ المجاهدين صحابتُهم.

فالسؤال العجب: أنهضة وأقلامها مكمومة كثيرانِ المعلف والنير؟ وأحرارُها موؤودون في قاع النخاسة وفي دياميس القهر؟!

فكان الجوابُ التمردَ المنضبطَ، وهو أعلى رتب الالتزام. والحَكَمُ الشعبُ الحيُّ القيّومُ والقاعدةُ المؤمنون. الحكَم أجيالُ الغد يوم يذرّون الغلالَ على بيادر النهضة. ولذلك كان كلُّ مقال في الكتاب جواباً على سؤال. ولذلك كان الكتاب في وجدان القلم سبيلاً موقوفاً للعطاش الظامئين إلى كلمة الحق. **وطوبى لنهضة تملك بعدُ أنْ تحتضن نهضة. وإلاّ فإعادة تأسيس.**

في ساعة الحقيقة لا تتساوى جرأة وجبانة ولا يتساوى العارفون والجهلة.

فلا تخافوا الحرب والصراع الفكري وسواهما، إنّ ذريةَ الجهاد لأنمى وأعدُّ.

النهضة مصابة اليوم بعبادة الأطلال. ولكن العيبَ الكبّار ألاّ يتداركَ الفتيان مأساةَ نهضتهم. وبورك بالطامحين!! أنتم إذاك أنتم خوارق النهضة والأمة. وأنتم الخلفاء والوارثون. وصدقَ الزعيم.

***

لذلك كان **النهضة في النهضة** الجزءَ الثالثَ من المذكرات.

ولعلّي بلّغتُ.

1 تشرين الثاني 2000

الرفيق الأمين

العلاّمة الدكتور

النقيب المتقاعد

بو علي شوقي خيرالله

نقّاش العرب: انطلياس.

والزيزفون: بطلّون. بحمدون.

حول الدستور

دراسة قُدّمت إلى رئاسة الحزب

الدستور في الحزب، وفي مطلق مؤسسة حضارية، يعيّن الجماعة المتقيّدة به، والتي ستتقيّد، ويعيّن كيفية الانتماء الفردي إلى الجماعة.

● الدستور يوضح وصف المؤسسة وهويتها.

● ويوضح ينبوع الشرعية التي ينهد إليها الولاء؟ وكيف تنبثق السلطة والشرعية من الينبوع، وكيف تتكوّن السلطات المتخالفة في المظهر، الموحّدة في الغاية.

● الدستور هو القانون الأساسي الضابط الكل، بتساوٍ وعدل، وهو الموضّح هوية السلطات واختصاصها والفاصل ما بينها فلا تتعارض، والقاسم المشترك بين أنشطتها المتعددة.

● الدستور هو القانون الأعلى المنسق ما بين طبائع السلطات المتخالفة، والموحّد الأخير بين الوظائف المتعددة، لمصلحة النهضة العليا.

● النهضة والحزب والحركة مواطنون ومواطنات بمساواة تامة، آمنوا بالعقيدة التي طرحها أنطون سعادة على الناس وعلى الشعب السوري العربي وعلى الشعوب العربية (قلْ على الأمة السورية المرتجاة وعلى الأمم العربية الشقيقة) **لأن الحالة المثال في المستقبل هي حالة جبهة عربية تضم الجميع وتؤدي إلى الشكل الأنفع من أشكال الاتحاد.**

ومهما نُظّر ـ كما في اللاهوت وعلم الكلام ـ حول أمة عربية واحدة أم

أمم شقيقات عربيات (وهو خلاف عقيم) فالجوهر الحقيقي عند المتجادلين جزافاً هو حول عروبة حقيقية أم شعوبية وعجمة. **ولقد يتطرف بنا الشك بهؤلاء الشعوبيين حول ما إذا لم يكونوا مستغرقين في ضلالهم حتى ليتأملون، بهوًى أم بجهالة، في إلغاء العروبة رمة ـ حتى اللغوية ـ لكي ينتصروا للصهيونية ولبريق حضارات الغرب التي تخادعهم على هويتهم غير العربية بغية تملّك النفط والفوسفات والمياه والأورانيوم وثروات أُخَر، وبغية إلغاء إمكانية قيام اتحاد عربي، وبغية تقوية إسرائيل.**

إسرائيل تعرف أنها زائلة يوماً، ولعلّه قريب، طالما ثمة وعي عربي ووعي سوري مشرقي متآخ مع العروبة الجامعة. وحكماء إسرائيل، أي أفاعيها الأشدّ بخّاً، **يعرفون أن سورية غير العربية هي حلمهم الأعظم لأنها، بغير العروبة، تتحوّل إلى خضن لإسرائيل الكبرى، وبالتالي لإمبراطورية يهوه المبتغاة.**

إسرائيل، تعرف، وتفرح لجهلنا، أن العدو الدهري الذي طالما كافحها وصارعها وصرعها ومحقها هو سورية المشرقية العربية والأقنوم الأفعل في العروبة المجاهدة، مهما كان الاسم الغالب، **في وقته**، على السلالة العربية الحاكمة سواء شمّر أم عقّاد أم آشور أم بابل أم كلدة أم كنعان أم أرام أم فينقيا، وسواء أكانوا إيليين أم مسيحيين أم محمديين.

أولئك جميعاً هم عرب قبل الاسم لفظاً وبعده، وحتى انقضاء الدهر.

● وإذا كانت الأمة السورية العربية الجديدة نطفة مصغرة في الحزب، أي مخمّرة في النهضة والحركة والحزب بفضل العقيدة والدستور والولاء، فعلى الدستور إذن أن يضبط هذا السياق الثقافي المجتمعي الإداري وأن يقي المؤسسة من الطغيان والفوضى، ومن الاستبداد والانحراف، ومن التملّق الديماغوجي والتزلم والتبعية.

● لذلك عيّن الدستور حقوق العضو وواجباته، وعيّن دوره الفعلي ووضعه المعنوي، وصان كرامته وتعاقده، وأمّن تبدّل السلطة تحت سقف القانون، وأمّن التأديب والتقاضي والعقاب والعدالة، وأمّن سلامة الدمقراطية

وصانها من الخمول أو النسيان أو الاستغلال والتعطيل. الدمقراطية الفعلية هي صيانة الشورى والسلطة.

● والدستور يقي العضوَ من استبداد الإدارة والسلطة، ومن التهميش والإبعاد، ومن التعسّف الفكري ومن أقسى العقوبات غير المكتوبة التي هي الحكم عليه بالصمت، بغير عقوبة واضحة ولا تأديب منصوص.

● فأين الخطأ؟ وأين الاستبداد المستور؟ وأين قدرة العضو، أو جماعة من الأعضاء، على ابتدال السلطة القائمة تحت سقف القانون؟

● ويعيّن الدستور والقوانين الإدارية والتنظيمية كيف يتأتى للأدنى رتبة أن يراقبوا وأن يحاسبوا وأن يحاكموا المسؤولين المنتخبين أم المعيّنين، أم الأعضاءَ العاديين غير ذوي الوظائف.

● وكيف يُردع الرئيس ذاتاً عن الاستبداد أم الانحراف أم عن الديماغوجية المدمّرة.

● الدستور إذن يمنع العضوَ من المخالفة، والغوغائيين من مطلق تصرّف نشاز، والمسؤولين من الاستبداد والتحكّم.

● ويقي حرية الرأي من الطغيان السلطوي، ويسهّل للقضاء إقامة العدل، وللتفتيش إظهارَ الفساد وقصاصه.

● ويحمي العقيدة من التحريف والتجويف واللّحن.

● ويحمي المثقفين والاجتهاد والأدب والفنون.

● **الذهنية المناقبية القومية الاجتماعية** هي ضدّ تام للفوضى والاستبداد والأمية.

● وهي نموذج مثال للعدل وللعقل الجماعي، وللوعي والسعي، وللدمقراطية والحرية، وللاجتهاد والجهاد. وإذا ما اضطررنا جدلاً إلى المفاضلة ما بين الفوضى والاستبداد لاخترنا الفوضى التي قد تعالَج، وأما الاستبداد فليس له من دواء سوى البتر والقطع. فتلكم إذن هي الفتنة.

الأزمة إذن هي تسلّط الرئيس وتحكّمه، مباشرة أم مداورة، بغير اعتراض فعلي ممكن. وهي في مخادعة القاعدة ورشوتها وانخداعها المؤسف، وفي تعطيل الدستور فعلاً، وأخيراً في انهزام العضوية العارفة والواعية، إذن في تهدّل العروة الوثقى.

● **الحزب متّحَد. وهو الأمة الصغرى. هو النطفة.** والحزب جماعة يشدّها عرىً ومداميك أهمها المعرفة العقدية والإيمان والقَسَم والانضباط في المديرية قسراً وحكماً، وفي المنفذية وحتى السلطة المركزية.

● **فالطاعة تحقّ إذن تحت سقف العقيدة والشرعية والسلطة العادلة**، على أن الجميع رمةٌ هم وقفٌ للأمة والنهضة، ومنذورون بحسب القَسَم الأصلي وبقَسَم المسؤولية وبالقدوة المناقبية لمجد الحزب ولمصلحة الأمة العليا.

● ويهيمن من البداية إلى النهاية قناعة ويقين وإيمان ومنهاج أن العقلَ هو شرعنا الأعلى، والعلمُ والثقافة المعرفية والدمقراطية المشاركة. ويؤسس لذلك جميعاً، ويتوّجُهُ، المحبة القومية الاجتماعية التي تحيي إذا سادت، والتي بدونها يخبو كل شيء مهما تورّمَ ظاهرُه لأن النُّهى تعطّلَ ولأن الحكمة خبتت مغلوبة ولأن اغتصاب الملكوت أفسدَ كل شيء.

● أما الدمقراطية القومية الاجتماعية، أنّى بلغت السفسطة في توصيفها، **فهي في جوهرها دمقراطية مشاركة ذات مداميك**. مداميكها:

● الآمر ينتخبه أكثرية أمثاله المنتمين معه إلى الوحدة الحزبية الرسمية.

● والقانون يحدّد بصراحة حقّ الترشّح وحقّ الانتخاب بشرط أن يتوفر في القانون أسبقيتُه لحصول تنفيذه، وتعميمُه قبل التنفيذ. فليس من سرية في القانون وإلا حقّت تهمة الاغتصاب والتزوير على السلطة التي ترتكب إحدى الكبائر، إذا ما فعلت.

● ليس في النهضة ولا في الحزب ولا في الحركة طبقية ولا تراتب عضوي ولا امتيازات.

● من ينل أكثرية الناخبين فاز.

● مطلق وظيفة فإلى أجلٍ محدود ومقرّر.

● عملية الابتدال والتسلّم والتسليم يقرّها القانون شكلاً ومضموناً وزماناً.

● لا طاعة لمسؤول في معصية العقيدة أو الأخلاق.

● وجميع الأوامر كتابية ويفضّل أن تكون علنية ومسجّلة. والسرّية تقتضي كتمان الأمر عن الجمهور بشرط أن يطّلع عليه جماعة مؤتمنون يكونون شهوداً على الفحوى ومراقِبين على التنفيذ.

● ليس في النهضة معصومون، وليس في النهضة من يقدر أن يتجاوز القانون.

● القضاء مستقلّ عن تدخّل السلطة وعن هيمنة الإدارة مهما شدّ السلطاتِ المتوازيةَ وحدةُ عمل وغاية.

* * *

منذ نشوء النهضة وكتابة أسسها ومداميكها وتفاصيل كثيرة منها، منذ مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، حصلت تطورات جذرية في القاموس وفي المجتمعات وفي القوانين والمفاهيم والعلائق الدستورية والأممية. وفعلت النهضة في معتنقيها وفي جيرتهم وفي الأمة وفي نواحي العروبة وفي عبر الحدود، وفي الفكر العالمي، أفاعيلَها المباركة، وخمّرت وثمّرت في العقول وفي الأدبيات، وأثّرت وتأثرت.

وحصل ميل عام وضرورة واقعية، في المسكونة جميعاً، إلى تقوية السلطة المركزية ستراتيجياً، وإلى تقوية وتوسيع السلطات المحلية.

وحصل تيار جارف وعارم يؤيد الحريات العامة وحقوق الإنسان ويوطّد روح العدالة في كل مجتمع، ويسعى لنشر العدالة بين الأمم، وإن يكن قصّر في ميادين متعددة **أهمها وأشهرها حقوق الأمة السورية العربية والوطن السوري سواء في الأهواز أم في كيليكيا أم في فلسطين.**

وقد توسع التيار الدمقراطي مع تنوّع أشكال الدمقراطية، وتقلّص الاستبداد والحكم المطلق، واضطر الجميع إلى احترام انتمائهم إلى المنظمات الدولية، مهما ظلّ في هذا الميدان نشاز واحتيال.

وما كانت النهضة يوماً إلا في طليعة هذه التيارات، ولا يجوز اليوم أن تظل خارجها، سواء في دستور الحزب أم في التنظير العقدي أم الأدبيات والخطاب الثقافي والسياسي. ولا يجوز قطّ أن تظل على القاموس السابق وأن يتحوّل القوميون الاجتماعيون إلى أهل كهف. ويقوي اقتراحَنا أننا منذ الثلاثينات كنا السباقين والطليعة في أفكار جمّة نبغ بها الزعيم المعلم، وأنه كان ذا رؤية متبصرة وكان ذا رؤيا مستقبلية سبقت الفكر السائد بعقود كثيرة وقوطبت في مواقع لم تصلها المجتمعات إلاّ متأخرة عند مفصل القرنين 20 و21. **فليس يضيرنا إذن أن نبتدل في التعبير السائد في أدبياتنا وقد كنا نرتقب هذا التبدل في سرائر ثقافتنا وفي جذورها الحية.**

لذلك صار يتحتم على النهضة في مطلقاتها، وعلى الحركة والحزب أن يجسّدوا **الدمقراطية المشاركة** عملانياً أي في القاعدة الصغرى التي هي المديرية وفي المؤسسة المناطقية التي هي المنفذية، **وفي المركز أي في المنفذية العليا ومتجمّع السلطات المتنوعة.**

التجدّد العملاني الذي ينبثق عن هذا المفهوم المتطور هو يقين صادق ينبغي أن يؤخَذَ به وأن يتأصل في التوعية وفي المفاهيم: قوامه أن للمنفذية دوراً جديداً متطوراً عن تسميتها الخام **فليس هي بعدُ أداة تنفيذ تامّ لِمَا لم تساهم في تخميره وفي معاناته وفي تقريره وحدها، وكذلك في اجتماع المنفذين الدوري والإقليمي.**

لقد راح توسّع القاعدة الحزبية وثراؤها وتنوّع اهتمامات المنفذية ومسؤولياتها يفرض أن تعطى المنفذية قيمة معنوية وفعلية وقيمة حقيقية في عمل المركز والقيادة.

فإذا كان العضو هو خليفة الزعيم في سلطته وفي أنه مصدر الشرعية، وإنه لكذلك، وإذا كانت المديرية هي الرحم والحاضنة، فإن المنفذية هي الغربال العملاني لحالة القاعدة الحزبية وللرأي العام الحزبي، **أي أنها الأساس الأمتن الذي عليه تقوم سلطة المركز.** حتى لما عاد يصعب ولا بمستغرب أن يُنصَّ **أن الحزب هو اتحاد منفذيات.** وصار لازباً ولازماً أن يترجَمَ هذا الاتحاد في المجلس القومي (أو مجلس المندوبين).

اقتراحنا (وهو قابل للتعديل في الأرقام والنسبة) أن تنتخب المديرية واحداً من عشرة أعضاء فيها إلى مجلس المنفذية. وإذا كان فيها كسرٌ أقلّ من عشرة فيحق لها إذن بمندوب عن الخمسة.

المندوبون من المديريات إلى مجلس المنفذية ينتخبون واحداً من عشرة منهم إلى المجلس القومي.

المندوبون إلى المجلس القومي هم الأمناء لدورة دستورية واحدة تمتد أربع سنوات، وقد يضاف إلى هؤلاء الأمناء أمناء آخرون ينتخبهم المجلس القومي من خارجه، **ومن جماع الحزب**، بالأكثرية العددية. الأمناء المنتخبون من القاعدة ومن المجلس القومي **يصبحون الأمناء الأوحدين** في النهضة للدورة الدستورية الجديدة، وتنتهي مدة أمانتم بانتهاء هذه الدورة. الانتخاب وحده يجدّد الأمانة.

المجلس القومي، برئاسة أقدم أعضائه، ينتخب من بين أعضائه هيئته المؤلفة من رئيس ونائب رئيس ومن ناموس ومن ثلاثة أعضاء يردفهم ثلاثة احتياطيين.

والمجلس القومي ينتخبب بالأكثرية العددية، **من بين أعضائه ومن القاعدة الحزبية**، الوظائفَ التالية:

رئيسَ الحزب.

رئيسَ مجلس العمد.

أعضاءَ المجلس التشريعي (والردفاء).

رئيسَ الندوة الثقافية ووكيله.

المفتشَ العام القضائي والإداري والأخلاقي ووكيله.

المدعيَ العام القومي ووكيله.

رئيسَ مجلس الشورى ووكيله.

أعضاءَ المكتب السياسي.

الخازنَ العام المالي ووكيله.

• المجلسُ التشريعي ينتخب رئيسه وهيئته.

• رئيس الحزب يقترح أسماء العمد ووظائفهم على المجلس التشريعي الذي يوافق على كل منهم بالأكثرية النسبية من عدده الأصلي.

• ولا يقال العميد إلا بموافقة هذه الأكثرية النسبية في المجلس التشريعي، بعدده الأصلي.

• رئيس الحزب يقال بأكثرية ثلاثة أرباع العدد الأصلي من المجلس التشريعي.

• رئيس مجلس العمد يقال بأكثرية الثلثين من العدد الأصلي من المجلس التشريعي.

• رئيس الحزب يعين وكيل العميد وناموس العمدة ومن تقتضي المصلحة الإدارية.

• جميع الذين انتخبهم المجلس القومي يقبل استقالتَهم المجلسُ التشريعي، أو يقيلهم، بأكثرية ثلاثة أرباع عدده الأصلي، وبناء على شكوى يبتّ بها القضاء القومي ثم يرفع الحكم إلى المجلس التشريعي للبت فيه.

• لا يجرّد الأمين من رتبته خلال الدورة الدستورية **إلا بحكم قضائي تام الإجراءات** وبقرار من المجلس التشريعي بثلثي عدده الأصلي.

* * *

القرارات السياسية العامة والانتخابية المحلية والعامة تدرس في المنفذية: (**في هيئة المنفذية، وفي الجمعية العمومية**)، ثم في المكتب السياسي ومجلس العمد، ويبتّ بها السلطة التشريعية بالأكثرية النسبية من عددها الأصلي.

* * *

يُنشأ في كل منفذية عامة **جمعيةٌ عمومية تضم الآتية صفاتهم**:

• أعضاء المنفذية في المجلس القومي.

• هيئة المنفذية.

• المنفذين السابقين والنظار السابقين.

● هيئات المديريات الراهنة.

● المدراء السابقين.

● مندوبي المديريات إلى مجلس المنفذية.

● المندوبين السابقين إلى مجلس المنفذية وإلى المجلس القومي.

● أعضاء المنفذية في البلديات الحالية والسابقة، والمخاتير ومجلس الاختيارية الحاليين والسابقين، رؤساء وأعضاء النوادي الرياضية والثقافية وأعضاء الهيئات التعليمية، والنقابية، والجامعيين المتخرجين، وموظفي الدولة والمجالس الملية والمذهبية، ومن يمارسون دوراً مجتمعياً مرموقاً من أعضاء الحزب أينما كانوا، وأعضاء الحزب الذين بلغت أقدميتهم العشر سنوات وما فوق.

● الجمعية العمومية تجتمع دورياً واستثنائياً برئاسة أقدم مندوبي المنفذية إلى المجلس القومي لتدارس عملية الذهاب إلى الشعب والانتشار المجتمعي والسياسي في نطاق المنفذية.

● الجمعية العمومية في المنفذية تختار بالاقتراع السري والأكثري مرشحي المنفذية إلى جميع الصعد المحلية والوطنية، السياسية والاجتماعية بغير استثناء.

● **اختيارات الجمعية العمومية ملزمة أدبياً وأخلاقياً للسلطة الحزبية المركزية.** وعند وقوع اختلاف فالحوار المكثف ضروري ما بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية العليا وبين الجمعية العمومية في المنفذية. والرأي الأخير للسلطة المركزية.

● أعضاء المجلس القومي وأعضاء الندوة الثقافية وأعضاء القضاء القومي والتفتيش المركزي لا يتولّون أي وظيفة حزبية أخرى، وأحرى ألا يتكلفوا بأي مهمة تنفيذية موقتة ولا بأي توكيل خارج عن اختصاصهم.

● **يفصل فصلاً تاماً ما بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، ولا يجوز أن يُجمع ما بينهما.**

* * *

الحزب في محنة حقيقية راهنة لأسباب متعددة أهمها **رتبة الأمانة وكيفية منحها، والوظيفة التي راح الأمناء يتوسدونها على أنهم طبقة عليا وحاكمة وسلالية متوارثة**. ولقد يضير أن نتوسع في تفاصيل تعمّ الحزب وتلوث الأجواء. والانتقادات تترى ومتنوعة ويكاد الحلّ أن يكون بتراً حاسماً يقارب العود على بدء.

وما كانت هذه الحالة نكبة حقيقية لولا إيماننا جميعاً ـ لا ريب ـ بالعقيدة وبالغاية من إنشاء الحزب ومن نشر النهضة.

مسلّماتنا هي هويتنا الثقافية. هي نحن. ونحن حزب قومي اجتماعي في الجوهر الثقافي والفكري. وإذا تبدّل هذا الجوهر إلى نقيضه بدنا وذهبت ريحنا وصرنا ما قد تبدّلْنا إليه.

ومع القومية الاجتماعية نحن سوريون عرب أينما كان مقرّنا ومستقرّنا ما بين حدودنا القومية، في الرقعة الموصوفة بالهلال الخصيب أو سوراقيا أو المشرق العربي أو سورية الطبيعية، وأياً كان الكيان الذي يضمنا جغرافياً وإليه نتتمي ومنه صدرت هويتنا الدولية. وكوننا عرباً وسوريين يعني أننا لسنا أتراكاً ولا فرساً ولا إسرائيليين، ولن نكون منهم أبداً، وإلا بطلت عروبتنا وسوريتنا وقوميتنا الاجتماعية، هذه الأقانيم الثلاثة التي هي هويتنا التامة.

بهذه الصفات نحن حزب شعبي وغير طبقي وغير عرقي وغير منبثق من دين ولا محتَكَر لدين أو طائفة أو طبقة أو عرق. ونحن حزب الطبقات الوسطى والدنيا وصغار الكسبة والفلاحين والعمال والتجار والمثقفين والأحرار، ونناهض بالتالي الإقطاع وتسلط رجال الدين على السياسة وجميع ما يفصل طبقات الشعب ولونياته، لأن إنساننا المثال والمرتجى (والمتحقق في كثير أو قليل في الحزب) هو الإنسان المجتمع لا الإنسان العرق ولا الإنسان الطبقة ولا الإنسان الطائفة ولا الإنسان الكيان ولا الإنسان المنطقة ولا الإنسان القبيلة.

ولذلك يتضح ببداهة وبغير كثير شروح أننا نرفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإلى مطلق منطقة من سورية ومن العالم العربي، ونرفض اليهوهية السياسية بقدر ما نرفض أي طائفية سياسية وأي تديّن سياسي، كما نرفض جميع

الأمراض الاجتماعية التي تفرّق وحدة المجتمع والأمة واتحادهما، والاتحادية العربية المرتجاة. **نحن حزب اليسار الوسط في لبنان وفي المشرق العربي وفي العالم العربي جميعاً، ونحن ورثاء تاريخنا العربي الواحد جميعاً المتوالي منذ ستة آلاف سنة وحتى انقضاء الدهر. ونحن نطقاء هذا التاريخ ومأوّلوه والمجتهدون فيه بغير انقطاع كي تظل الأمة وإنسانها في صلح مع الوطن والزمن.**

● استغابة هذه الرسولية العقدية، وتناسيها، والنسيئة القاصدة، والتزلم والتبعية واسترخاص الصدق المعتقدي، رهّلَ الصلابة العقدية في أرجاء النهضة وأوهَنَ التماسك الثقافي وهلهل نسيج الحزب وبعثر الأعضاء والجماعات الحزبية والعوائل الذين جعلوه دنياهم الجديدة. وأفسدَ أخلاق الصدق والتراحم والصراع الفكري والجهاد، وبدّد الصفوف المرصوصة. ومحا الصورة المثالية للعضو المؤمن كما كانت في وجدان العضو وكذلك كما كانت في ذاكرة الناس ومرتجاهم حين **كان حتى الخصوم يرون في الحزب وفي العقيدة وفي تلاحم نسيج المنتمين إليه النموذجَ المثال المرتجى للشعب جميعاً وللأمة وللعروبة الجديدة**. وكان هذا الرجاء قد بدأ يتغلغل ويتسرب يقيناً خارج حدود الوطن إلى عبر الحدود، وإلى العالم العربي جميعاً عبر وسائل الأعلام والمؤتمرات والثورات **والانقلابات** والمحالفات المتوسعة. ولم تغب الأصوات المخلصة يوماً في الحزب تنذر وتنبّه إلى الانزلاق الخطير في مهاوي المال السهل وفي معاثر الهوينى والترف والجماهير والكواث والفوضى والضوضى. وكان الجواب الأوحد هزوءاً واستخفافاً واغتياباً. وهنا بدأ الشدخ.

وقد أدّى التباعد عن طرق العقيدة والأخلاق إلى انزلاق الحزب في معارك ليست معاركه، وفي معارك لا علاقة له فيها. وقد خاضها بشجاعة القوميين العقدية وبولائهم المنضبط، نعم، ولكن كان يخدعه المتاجرون بتاريخ الحزب وبدماء كانت منذورة لمعارك النهضة ولفقه نضالي مختلف. نشأنا نفتش عن قتال النهضة فإذا بالفوضى تجعل من القوميين مرتزقة في معارك المرتزقة، بغير خطة نهضوية ولا فقه نهضوي يؤدي بنا إلى النصر ولا إلى مصلحة الأمة.

وما كان لهذه الحالة أن تدمّرنا لولا تجهيل القاعدة قصداً عمداً، ولولا إهمال التوعية النهضوية، ولولا تهميش المؤمنين، بغير ضابط دستوري ولا ضمانة لأيهم ولا قناة شرعية تحفظهم من الشرير وتصون ولاءهم. فماذا حصل؟
- مع إلغاء الشورى والدمقراطية والتراحم راحت السلطة الحزبية تستمد سلطتها الجائرة من خارج الحزب المعدوم الرأي والوعي والتنظيم، والمسدودة دون أعضائه قنوات الولاء والمعارضة والقبول والرفض. ولكم تعالت أصوات - وإن كبتوها وصمّتوها وهمّشوها - تنتقد وتطالب بصيانة العضو والمؤسسة والعقيدة والنهضة. المال غلبَ الرأيَ والولاء وأزاح أثر الشرف والحقيقة والمعتقد. لقد فَسَد الملح.

لقد تغلبت الفقاقيع وتطفَّش المثقفون واحتلت الأمية المواقع وقام عهد الخُشُب المسنّدة، وعهد تزوير الأمانة وسيادة المال وخلفات الأرستقراطية الجديدة. واستُرخص العقل والرأي والجهاد.

* * *

في السنوات العجاف افتقد الحزب الثقافة الحقيقية والإعلام الصادق فانعزلت النهضة عن المجتمع المتحرك والمتجدد، وفقدت فذاذتها ورسوليتها وجاذبيتها وتقزّمت إلى مليشيا ربما كانت أقل سرقة ونهباً ومجازر مما عرفت الفتنة عند السوى. ولكنها مليشيا كثير من عناصرها غير قوميين ويسودهم حسّ الجهالة والرعاع، ويجهلون كل شيء وكل أحد في الحزب. أدنى الوصف الممكن أنها السنوات العجاف، وأنها سبوت في النهضة المتحوّلة إلى مومياء ذات اسم قديم ولا علاقة لها بالكائن الحيّ المحنّط. وصار الحزب تحت أكثر من انتداب. والمنتدبون عليه أدنى منه درجات.

* * *

حلول كثيرة اقتُرحت وقُدّمت ولكنها ذابت سدًى في حالة الاستبداد وفي حالة الانقسام وفي حالة التذابح المتبادل وفي ضياع الجرائم في ضجيج الانتقام والجور. وكان الحزب ينقسم ثم يتوحد وعليه في الحالتين طغمة واحدة تقسّمه ثم توحده بشهداء منه ضروريين للتقسم، ثم بشهداء من نوع مختلف ضروريين

لمسرحية التوحيد. وهكذا اشتغل المنشار في الاتجاهين يهرهر نخبة إثر نخبة فيما النشارون هم إياهم. وفي رحلة التقسيم ورحلة التوحيد هرّت العقيدة وهرّت العروبة الحقيقية وهرّت النهضة وصمتت الأدبيات وضاع القوميون في متاهة بغير حدود وبغير قرار. وصار أسافلُهم أعاليَهم.

وصمتت الندوة الثقافية كما صمتت المحاكم والتأديب كما صمتت الرقابة على الأموال وعلى الدخل المهدور وعلى الصرف المستباح، ونبتت مقولات طاهرة المظهر واللفظ ولكنها تؤدي إلى مرحلة خفية من التطبيع، وإلى حالة اضطرارية للصمت عن مدرسة أنور السادات، وجميع المسرحيات التي تؤدي إلى الصلح والمصالحة مع الأخوة الأبراهيميين، ومع الدين السماوي الشقيق، ومع الكيان الإسرائيلي التوأم! الذي لا مردّ لقيامه في الوطن السوري الواحد!! وما همّ؟؟ بعد عدة أجيال ـ يقولون ـ سيتطبّع الصهاينة. وقتّة اجتهادهم أننا ضد الصهاينة لا اليهود. فاليهودية دين سماوي ومنزّل حتى إذا لم يقل اليهود أنفسهم هذا القول.

ومن قال إن الضفادع ليست بذات بيان!!

ودوموا للحق والنضال، وتحيا سورية، ويحيا سعادة!!

الرفيق العلاّمة الدكتور شوقي خيرالله.

5 كانون الثاني 1996
نقاش العرب أنطلياس.
لبنان

رسالة إلى مجلس الأمناء
في الحزب السوري القومي الاجتماعي

رسالة موجهة إلى مجلس الأمناء في الحزب السوري القومي الاجتماعي المزمع عقده في بيروت الأحد 21 آذار 1999.

1 ـ أفتتح كلامي باسم سورية العربية وسعادة، مشدداً على الصفة العربية والجوهر العربي والهوية العربية في سورية ذاتاً. ومشدداً على مداها العربي وعلى رسوليتها نحو العالم العربي التي هي مقوّم معناها ودرع وجودها.

بوجد سورية والعروبة أترسّل. بسرّهما أنا مجاهد ومثقف. وبنصرهما الآتي أنا نذير وناطق.

في هذا الإطار، وبمناسبة اجتماع 21 آذار 99، أكتب هذه الرسالة بصدق وصراحة، وأتوخى الحق وأصدع به.

2 ـ هذا الاجتماع هو الأول الذي أدعى إليه وأحضره منذ عودة الوحدة بين من كانوا شلّعوها وما أنا منهم. وآمل أن يتكامل الشمل بين جميع المفترقين. وأرجو أن تلتحم القلوب والعقول والمؤسسات بغير زغل ولا وجل.

لقد كان لي، عند بحث مشروع الوحدة، رأي جلّه مختلف عما حصل وعما لا يزال سائداً. ولكني أتقيد منضبطاً بالرأي الأكثري (الذي لست متأكداً من أكثريته) وإن كان منقوصاً في عين النهضة. وأتمنى استصلاح الحال ومساهمتي في الإصلاح، تنفيذاً للمبدأ الدمقراطي الأكثري والمناقبي الذي

أعتبره عامود البنية الدستورية والشرعية. أنا مختلف مع الرأي النخبوي المتعالي في قلب الحزب. أنا ضدّ العرقية اليمينية. أنا في يسار الحزب، الذي هو اليسار القومي بالامتياز.

فائدة الانتخاب

3 ـ فكي يكون من هذا الاجتماع فائدة كان ينبغي لهذا الاجتماع الصفر أن ينعقد بالحري بمثابة مؤتمر قومي مختلف المبنى والمصدر والمقلع، أي منتخباً من القاعدة جميعاً، أي من الأمناء والرفقاء بالتساوي الجوهري، مع تأمين أقدمية واقية ووافية.

وكان ينبغي ـ وهو شرط ممكن التحقيق الآن، مع افتتاح الاجتماع ـ أن ينتخب **الاجتماع ـ المؤتمر** هيئته وأن يستمع إلى كلمة الرئاسة ويناقشها ويقرّر تقريراً بصفته هيئة دستورية تشريعية علياً وذات سلطة ليس فوقها سلطة أبداً.

إن جوهر السلطة على الندوة الثقافية لمختلف. إن الندوة الثقافية مستقلة كمعنى استقلال القضاء وأكثر. وبقدر ما تستقلّ الندوة الثقافية قانوناً وعرفاً ومهابة عن الأمر والنهي والتحريم الخام، يتجوّد تسلّقنا في معارج النهضة العنقاء وفي الحضارة وحقيقة المجتمع والتاريخ والمستقبل والتطور. الندوة الثقافية هي حاضنة الحزب والنهضة، **وهي أكثر نهضوية مما هي حزبية خام. الندوة الثقافية هي المشعّ والمختبر والقدموسية ومصدر جميع أبحاث الحزب ومؤسساته وإداراته المختصة.**

ولقد يقال عن استقلال القضاء ما يشبه القول عن الندوة الثقافية. ولكن مع تشديد أيضاً على عدم التدخّل الإداري والسياسي والعصبوي في شؤون العدالة.

4 ـ يبقى أنه لا سلطة فوق قرارات **المؤتمر الذي لا نزال نفتقده ونناضل من أجل إقراره وتنفيذه**، مع إقرار فصل السلطات الثلاث. ولسنا نخاف من تنافر هذه السلطات لأنّ جدليّتها هي حياة المؤسسات ونسغُها.

ولكي يكون من هذا الاجتماع البدائي والمبتور والمبسط فائدة تنفيذية وثقافية **أقترح الآن، ـ ويا ليتنا نقترع اقتراعاً ـ** أن يتلو الرئيس كلمته القيّمة لا ريب، وأن يخلي منبر الرئاسة للتوّ للجنة ينتخبها المشاركون فيها **فلا يكون الرئيس خصماً وحكماً.**

5 ـ وبعد، فالحزب ليس قبوة يُكبس فيها الأعضاءُ نقعاً في خلّ الجمود وحفظاً من التلف. العضو ليس خروفاً على المعلف. وليس فقط مشروعَ اشتراك شهري أو صورة في كادر أسود.

والعضو ليس مكتوباً عليه ولا مقضياً **أن يتحوّل من راشدٍ في المجتمع إلى قاصر دائم في الحزب أبداً، فيعلوه انتداب ووصاية طالما هو في الحزب.** الحزب ليس مجموعة قصّار فوقهم قصّار أكبر فوقهم وصيّ. **روح العقيدة والنهضة والدستور ترفض أن تكون الإدارة العليا، بفعل صياغة متعمّدة لدستور استبدادي، منتَدَبَة أبداً على قاعدة قاصرة أبداً.**

حقيقة العقيدة فأنّ الإدارة الحزبية العليا هي مندوبة ندباً دستورياً، من قِبَل أكثرية الناخبين في القاعدة الميدانية، لإدارة شؤون الجماعة الملتزمة بناء على مصلحة النهضة وعلى خطط تُقرّ في المؤسسات السويّة. بل أغور بعيداً لأعلن أن من مهمات الإدارة العليا **أن تؤمّن عملية ابتدالها** ـ هي ـ في المواعيد المقررة، بغير ما عنف أو انقسامات أو حزوبات، **بل بفعل قانون دستوري واضح وقوانين إجرائية واضحة.**

مسبار الأهلية الأوحد في نهاية المطافات جميعاً هو اقتراع أكثريّ حرّ في القاعدة الميدانية، وتكليف وندبٌ يصدران عن المجلس.

6 ـ هذه المثالب في الذهنية والقول والعمل، على درجات، هي ينبوع الانحراف عن الشورى، والتخوّفِ من الدمقراطية العددية، والادعاء بأن الأعضاء والقاعدة الميدانية متخلفون عن سوية الاقتراع الواعي والمريد الخير العام. **ترى من أبقاهم في هذه الحال وعلى هذه السوية؟ بل هو هذا الادّعاء سبب قاطع لتنحّي أبناء النهج الإداري الموروث والراهن الذي أدّى إلى تخميل**

العضو وإلغاء مشاركة القاعدة الميدانية في مسؤولية التقرير والأنقاذ.

بل تساورنا قناعة بأن هذا الزعم المزعوم عن الانحطاط فإنما هو سلّم ورافعة **لادّعاء عصمة فوقية** ولاحتكارها تبريراً لبقاء شريحة طبقية قيادية تتوارث المركز والسلطة والمال، متناسخة ومتشابهة.

الضرر الأعظم هو اعتياد الحزب على التبعية والملحوقية وعلى فقدان مطمح القيدومية والطليعة والريادة. إن المصاهرة بالزنى العقدي لوّثتنا بمثالب الحلفاء المزعومين بغير أن نتمكن من ضخّ حسنة واحدة فيهم. بل سادتنا زماناً طويلاً فوضاهم وضوضاهم والاجترارُ العقيم الذي يميّز الأدبيات الماركسية المتحجّرة، ومشتقاتها وأخواتها في العروبة الوهمية الببغائية.

7 ـ هذا الملق والترَفُ والاجترار والضياع أفقدنا نخبة عديدة كانت **النهضة تتوخى أن يكونوا من نموذج المثقف المقاتل والمبشر بالقول وبالجهاد والقدوة.**

تأَرخُنُ القيادات وتطلُّعُها إلى رخْص الباطل، وتملّقُ الهوينى، والاستغناءُ عن رأي القاعدة ورفدها الدمقراطي، رهّلَ الانضباط والتهذيب والتثقيف وهجّنَ معنى الولاء وسهّل التثعلب، وحوّلَ الحزبَ إلى صدى لغير معتقده ونهضته. **أسوأ ما حصل أنّ العضو لم يعد فخوراً بحزبه ولا معتزّاً بانتمائه، وأصبح مستعداً لسماع كل انتقاد فلا ينتفض للدفاع عن حزبه.**

8 ـ السؤال الآن هل يكفي للضبط العقدي وللإصلاح ولصعود الطلعة المضنية، **أن يجتمع الأمناء بغير مؤسسة ولا قانون ولا وظيفة؟**

هل يكفي أن يجتمعوا مرة كل أربع سنوات لانتخاب خمسة عشر منهم، مجلساً أعلى؟

وهل من الضرورة تعداد مثالب تعيين الأمناء تعييناً بغير انتخاب حقيقي، ثم انتخاب الأمناء مجلسا أعلى ينتخب الرئيس؟ أهذه هي المشاركة الحقيقية واللحمة الصحيحة ما بين قاعدة وقيادة؟ هل من أحد مصدّقٌ وقابضٌ بفكره

وقلبه أن هذا الحزب الأعظم هو في أحسن حالاته أم في صحة جيدة؟

أي أمين منكم ليس يؤرقه هاجسُ خجلٍ على عقم وضعه وضحالة دوره؟

وأي عضو مستنير يتحمّل بعدُ أن يكرّم طبقةَ الأمناء وطغمتهم؟

وما هو الفضل المميّز الذي جعل الأمناء في رتبتهم دون باقي الرفقاء؟ ليس أصعب من الجواب طالما الأمين محصور في لقبه بغير عمل يؤديه بموجب الرتبة ما سوى إذا مالأ القيادة. **وماذا تفعل الأمانة الآن سوى أنها حسٌّ متورّم بالعصمة الموهومة وبالفوقية، حسٌّ يجرّح الأعضاء ولا يفيد الحزب؟**

هذا الحس بالفوقية الفارغة غذّى المشاعر والمواقف التي يبطنها الشعوبيون ضد عروبة الأمة السورية والحزب.

توهّمُ العصمة والفوقية قَمَع حسّ الرسولية الشعبية في النهضة وحسَّ الانتماء إلى العروبة الحقيقية عبر الالتزام بالقضية السورية القومية. وقد بُحَّ الصوت والقلم في تحدّينا للشعوبيين في الحزب، وللمستعجمين كأنهم البربر في المغرب، لكي يصفوا **لنا سورياهم غير العربية**، فما قرأنا حرفاً تجرّأوا على كتابته ولا سمعنا كلمة تجرّأوا على نشرها. بل ينقبض الفؤاد عند سماع أمناء ورؤساء ورفقاء، مثقفين في الظاهر، ويجهلون جهلاً تاماً أدبيات فترة ما قبل الإسلام وبعده، ويستحبّون إنشاد نشيد عربٌ جربٌ، **ويحنوّن إلى عصر ذهبي سلوقي وإلى عصر ذهبي بيزنطي وعصر ذهبي روماني.**

وليس يخفى على آل الثقافة النهضوية ما يؤدي إليه هذا الاستعجام، على المدى الطويل، في صراعنا ضد إسرائيل. المسألة أبعد من سياسة آنية ومن موقف انتخابي يستعطي أصواتاً أو يشتري ناخبين. **إنها لوثة ثقافية تامة.**

ولسنا نعرف أن ثمة برنامجاً ثقافياً أو إذاعياً في الحزب يعالج ويفصّل حقيقة عروبة الستة آلاف سنة ـ 6000 ـ وعروبة الأقوام المشارقة الذين صنعوا تاريخنا وحضارتنا وأرسوا أركان القومية السورية وخلّفو لنا مواريث الأدب والملاحم والحروب القومية وتجارب التحرير والتعريب السابقة للفتح العربي.

ولم نسمع حتى الآن باجتهادات وقراءات عن سوريّةِ الفتح العربي، ولا عن التيارات الكبرى العربية في تاريخنا، ولا عن معنى **قرطاجة عروبة أولى في المغرب**، ولا عن تفسير ظاهرة قرطاجة ومتوسطيتها تمهيداً لتفسير العروبة الجيوسياسية التي قطبها سورية.

هل ثمة من يدّعي اليوم أن الحزب منهمك فعلاً بالصراع الفكري ضد إسرائيل والتلمود والتوراة المزوّرة والصهيونية؟ أين الندوات والكتب والبرامج التربوية؟

كم كتاب جدّي ظهر في الحزب في السنوات الأخيرة؟ وما علاقة الحزب بالكتّاب القوميين وإنتاجهم؟ وكم تبلغ ميزانية عمدة الثقافة من ميزانية الحزب؟ وكم كتاب قيّم أُعيدت طباعته؟ وكيف تكون الشهادة المجتمعية والصراع بغير ثقافة ولا كتابة ولا نشاط مشهود؟

بماذا هو الحزب متفوقٌ على الكيانات، وطليعيٌ أمام الحكومات؟ أي بماذا ينفع الحزبُ الأمةَ في لعبة الأمم وفي الصراع ضد إسرائيل وفي تعميم ثقافته في أوساط لبنان والعالم العربي جميعاً.

ما هي أنشطة الحزب الظاهرة والشعبية والأكادمية في شؤون المجتمع: في العمال والأجور والنقابات، في الطبابة والضمانات والتقاعد والخدمات للمسنين، في الشأن التعليمي، في البيئة، في المياه، في الإصلاح الإداري، **وفي محاكمة الدولة سرّاقي أموال الشعب؟**

9 ـ النهضة أصلاً وفصلاً وعقليةً هي حركة إرادية، مرادية، مصارعة ثقافياً وبالقوة جميعاً لأجل تغيير التاريخ ووجهة الأقدار المعاكسة، ولتطوير الذهنيات الرجعية نحو تقدمية تلائم قيم النهضة. ففي أي ميادين يصبّ الحزب جهوده، وأين جنوده وأعضاؤه، وأين الندوات والأبحاث وصياغة ثقافة مجتمعية وشعبية وأكادمية تثقل الموازين نحو التوجّه الحزبي الثقافي والسياسي؟

10 ـ هل أنا أعتدي جزافاً أم أمارس دماغوجية غوغائية، أم أكسّر حيث

ينبغي البناء، أم أخرّب مخططات ناجحة، أما أحرّض لمجرد معارضة؟ إذا شعر أحدكم بهذا الشيء فأنا مستمع وطالب نقد وتصحيح ومحاكمة علنية.

غيرتي البنّاءة دفعتني إلى إنذار صريح وجعلتني أصدع بما رأيته حقاً وصواباً.

وتحيا سورية العربية

ويحيا سعادة

الأمين شوقي خيرالله
21 آذار 1999

ملاحظة: وُزعت هذه الرسالة على الأمناء جميعاً وعلى كثير من الكوادر الحزبية والمثقفين وأعضاء الندوة الثقافية بفضل خدمات ومساعدة الرفيق وليد الأشقر.

مأزق العقائد والنهضات

مأزق النهضة

مأزق النهضة يُختصر في القصة التالية:

استدعى الرئيس الرفيق X.

ـ حاضر! حضرة الرئيس.

ـ أريدك أن تتولى عمدة الإذاعة.

ـ لأذيع ماذا، حضرة الرئيس؟ ما هي أطروحة الحزب الراهنة؟

لم يجب الرئيس. واعتذر العضو.

وكلاهما صادق.

* * *

لسنا نكتب عن حزب بذاته ولا عن نهضة معيّنة. وسنظل نكتب مجاناً طالما ينشرون، وطالما يحدونا قَسَم وترسُّل. وليس فوق المصلحة القومية العليا أحد ولا شيء. وبعد،

فالكتابة مشاع كالنور والماء وكالنار والأيمان. ومن يحتكرها مسيء. ونكتب نحن للجميع وندعو الجميع، من البحر إلى الخليج، ومن طوروس إلى السويس، ومن المحيط إلى المحيط، ولجميع قراء العربية على شبكات الأنترنت. ولكننا نستهدف عمداً قصداً أولئك الذين مسّتهم أنوار النهضة من مدنيين وعلمانيين وتقدميين وقوميين على مختلف رتبهم ودرجاتهم في الوعي والعلم والولاء.

قَصَدْنا من المقدمة أن نكرّر ترسّلنا في الكتابة نحو الأجيال الراهنة لا ريب، وأيضاً نحو أجيال آتية سوف تتسلّم المشعل أو القبسات المترمّدة. فالدهر دولاب يدور بقدر ما تستقوي الأمة وتنبعث في لعبة الأمم وفي تقادير التاريخ العام. العقيدة الصحيحة فأن يدرك جيلنا أننا مارّة عابرون وأن الأجيال الآتية سترث منا بقدر ما نكون صنعنا لهم من الوعي والبناء والصدق. فإذا ما أورثناهم مفاتيح القدس وخريطة سوريانا العربية الكاملة وخريطة الاتحاد العربي المرتجى فحسبُنا، لأن الخطاب الذي آلَ إلينا من عهود الترك والديلم لم يصمد في وجه استعمار أوروبي أميركي صهيوني. لقد بدأنا مغلوبين وانتهينا مغلوبين، ولكننا لم نعترف بالهزيمة. **جيلنا لولا النهضة لكان استعجم.**

وحَسْبُنا أن نسلّم ذرّيّاتنا **عروبة قومية اجتماعية عقلانية مجاهدة**، يقيناً منا أن الحياة عقيدة وجهادها مهما نزّ ضدّنا سمومٌ من الرجعيات والعبودية. ويقيننا أن العزّ الذي نعمل له هو عام ومشترك، وأن الثقافة الصحيحة المعتَمِدة الحقيقة سوف تتغلّب على كل رجعية وردّة **طالما نحن الشرعية التاريخية سواء في النهضة أم في الأمة.**

وسنظل نأوّل أحراراً ونفسر ونبتدع ونجاهد بفكر خلّاق وبوعي عملاق غير مقيّدين بسلاسل من ذهب ولا بموميات ولّى زمانها.

الثقافة العليا توحّد ولا تخشى جهالة الجهال ولا الكفار. وستظل النخبات الواعية والمعاكسة والبديلة تحمل القلم والسيف مهما بخّ السمومَ أفاعي النفاق. والمعركة أبعد من حزب واحد أو مدّعى نهضة راقدة أو خُشُبٍ مسنّدة تلجأ إلى شراويل الجدود وإلى سجلات مجوسية وإلى زمزمة بكماء. يقيننا أن الشجرة اليابسة لا تلقط طُعماً وأن الرميم رميم، **وأننا نحن نطفة الحياة، سواء في النهضة أم في الأمة أم في العروبة.**

والتاريخ ثريّ جداً بأشباه لحالتنا الراهنة المتردّية والرثة. طوال 6000 سنة لم يخْلُ تاريخنا من نهضات هبّت ثم رقدت بعد أن ولّى زمانها وتفرّق دعاتها لأنهم اتّبعوا خطى الشيطان **وفقدوا أخلاق النهضة.** إن المصلحين والثوار هم بعدد النكسات، وما قام مصلح حقيقي إلا بعد انهيار حقيقي. يقيننا أننا الآن

تحت ثقل تخلّف وتخلٍّ كما كانت سورية في بدايات القرن، وقبل أن يَصُغْ نهضتَها أنطون سعاده، وقد استهلك القرنُ العشرون جلَّ نوافل النهضة وأدواتها البشرية. ولقد عادت الأمة إلى نقطة المنطلق **بعد أن تفتفت التماسك النهضوي وسقطت القيم العليا بين سنابك المترفين والمنتفعين والمستنفعين. فهل هو رجاؤنا المتجدد بنهضة في النهضة كفر ومروق؟ لن نأبه ولن نطيع من يخالف منطوق نهضة في النهضة.**

المعمدان الذبيح أدرك اللمحة الأرامية المفتقدة والكنعانية الموؤودة منذ أن لمح عيسى بنَ مريم وأصاخ إليه. فنبّه الرجعيةَ المسيطرّة أن إبراهيم ليس مفقسة عبيد وتنابل. وأوصى تلاميذه باللحاق بهذا الآتي باسم الملكوت، رسول الآب وكلمته وروحه. والإمام عليّ أضاف إلى وعيه أنه تولّى ذا الفقار مؤيداً للبلاغة التي أُوتيها. وما كان غافلاً عما ينتظره من شهادة قانية مكتوبة عليه.

منذ الأول تنسّقَ **أن الثائر شيعي حتماً** وأنه ليس من شيعي في بلاط مترف.

البلاط يزيّف الثورة.

المسيح نبّه حوارييه دون ثراء يصدّهم عن استحقاق الملكوت. فلما استفسروه خائفين طمأنهم أن الله القدير قد يستثني دون القاعدة لأن الروح قوي لكن الجسد أضعف والقلب طمّاع. وَيْ!! كأنّ الشهداء وحدهم الناجون!! أليست قيمة الإنسان بصموده إزاء التجربة، وأنه يساوي ما هو يرفض من تملّق؟! **لذلك نخشى أن يتفرّق العشاق عند تقرير «هذه» الوحدة.**

وبعد فأين عصمة النهضويين؟ إنه ليؤرقنا ويقلقنا مهماز العتب والولاء.

لعلّنا نقْدم ونستبق ونعلن أننا إذ نفارق رحلة التهافت فالراحلون همو. ويتضاعف العتاب والعذاب إذا ما اصطنعنا الصبر على غير رجاء ويقين وظللنا نكظم التمرد. إننا عارفون أن الوجدان الأعظم متخوّف على اللهبة، مهما نوّست وافتقرت، **أن يئدها انجرافٌ وانحراف**. وليس لنا من حجة تقنع بسمة النور ولا منطقٌ فيرضى. إن السكوت عن الخطأ لأدهى من الخطأ. كل العجب هو تغييب **المجلس القومي** عن التقرير.

أزمة الأزمات أن نتناسى جوهر التعاقد. والأزمة العظمى فأنّ جلَّ

الأحزاب والتنظيمات والبقايا والشظايا والتجمعات يمرّون حالياً في موسم إحباط عقيم، كأنْ قد تلاشت النخوة بغير حول ولا قوة ولا رجاء. لقد استدار الزمن كما في مطلع القرن حين كان الشعب يجهل هويته بقدر ما يطغى عليه طائفية ومذهبية وطورانية وإقطاع وجهالة عامة. ولو كان ثمة مسبار للقلوب لدلّت الإحصاءات أن مئة بالمئة من العرب يتمنون لو تملك دولة منهم القنبلة الذرية إزاء ترسانة إسرائيل. وما معنى عربان يعتشبون كالأنعام ويمرعون في حمى الذبّاحين؟ وما قيمة عربان لا صوت لهم إذا ما اعتركت المصائر؟؟ **كلنا عربان وأعاريب ودون ميلون سنة ضوئية من العروبة القومية الاجتماعية.**

عاشق سأل حكيماً يستنير بحكمته: «يا معلم. أيهنّ حبيبتي حقاً؟ وكان الحكيم مقتدراً في البيان ومتجرّئاً على اللغة. فأجاب صديقَه العاشق.

«حبيبتك فتلك التي لستما من الزناة. إنّ صدق النهدة شفاعة لكما وغفران. اذهب إليها!! طوبى لكما!».

وآية تقول: كل شيء يغفر للناس ما عدا التجديف على الروح القدس.

ونختتم: لماذا طغيان الإداريين المعيّنين تعييناً على المنتخبين انتخاباً من القاعدة المؤمنة؟ ولماذا هو رأي لجنتين معيّنتين بتحيّز، أفضلُ من رأي مجلس هنا وهناك منتَخَب ومنتخِب؟ ولماذا إذا تأجّلت الانتخابات العامة يعطَّل المجلس الشرعي القومي وهو المنتَخَب الأوحد، وتفرَّغ الشرعية من ولاء العضو وسلطته؟

أليس يلفت النظرَ والخشية معاً أن النهضة تستقي النشاز من ذهنية مستبدة تتنكّر لحقيقة الشعب ولقدسية الشورى المنظّمة؟

ولماذا يخافون من العضو ـ الشعب ـ إلى هذا الحدّ؟؟

ومتى كان اغتصاب الشرعية شرعياً في النهضات؟؟

ماذا؟ أكسروية وقيصرية يا أبناء الحياة؟

الوحدة الفوقية إذا مرّت فلن تدوم.

نداء الوطن 22 آب 1998

الرسالةُ الشماليةُ والردُّ عليها

كنا في الفترة الذهبية من كتابتنا في **الديار**. فقد شرخت القبّولة المباركة وعاد الرأي القومي المغيّب إلى التحدّي، وإلى إطلاق صوت الحق وقد وأده من وأدوه.

وإنه ليشرّفني أنني حرّضت **أكثر من مئة قلم نهضوي** كانوا هوامد ففاعوا فوعة الطيّب وراحوا معي وضدّي يخوضون في الفكر النهضوي المكموم والمصمّت والمغيّب. وكانت هبّة مباركة كما ولا مرة بكثافتها وصدقها واجتهادها. وصارت **الديار** شعلة كما لا أحد. ولها شكر الأمة.

من الذين تصدّوا لي مشرف جرجور. الغريب أني حدست حالاً أنه اسم مستعار. ولكن كتابته تلفُتُ وبخاصة أنه كتب مرة باسم عصبة عكارية شمالية أشبهية تحمل غار شهادة وجهاد وكرامة.

في 20 أيلول 1989 كتب لي مشرف جرجور **رسالته الشمالية** فأجبته في 15 و16 ـ تشرين الثاني ـ 1989 **بردٍّ مفصّل**.

* * *

ولكان بودّي لو أن جميع مقالات **الديار**، طوال السنوات السّمان، تنشر في كتاب مستقل. ولكن الأيام غير ملائمة بعد تعكّر الخواطر وتصعّب عودة الصفاء، وبعد طول الجفاء. إلا أنه يبقى من حق النهضويين والقراء جميعاً، الذين يشدّهم الحنين الصادق إلى تلك الحقبة المنوّرة، لو يُجمَعَ لهم حصادهم المحبب.

رسالة شمالية

من مشرف جرجور إلى الدكتور شوقي خيرالله

عود على بدء.

شكراً لك تمنحني بالغيب صداقتك، وأكاد، للرجاء والأمل المنشود، أدعوك أن تصلّي معي من أجل هذا الغياب..

أما بعد،

فها أنذا إليك، من جديد، معلّقاً على ما صدر منك عنا إلينا. وشكراً للديار وعذراً إذا ما ثقّلنا عليها بأَثقالنا، وما كنّا لنفعل لو لم تبادر، مشكورةً، دياركم العامرة، إلى إفساح المجال أمام المتعبين بتعب الوطن، ثقيلي الأحمال بحمله الأثقل، إلى التعبير عمّا في النفوس من اصطراع...

في ردّك عليّ، حوار 6 ـ 7 أيلول، ورد ما يشتمّ منه أخذك على محاورك استعجاله «لإقامة صرح النهضة تاماً وكاملاً خلال سنة، خلال جيل، خلال عمرنا.. الخ».

رويدك يا آخذاً عليَّ ما أخذت.. فصديقك بالغيب ليس بداع إلى اجتراح المعجزات، في زمن تجلّي الويلات هذا، لا بلمح البصر، ولا حتّى بلمح العمر، وإن تكن هذه رغبة تسكن امتداد العمر. إنما محاورك يرى أن الطوفان مقبل عل جَرفنا، عجولاً، بهجوم السلم الإسرائيلي: بطلائع الموكب الجنائزي الزاحفة على الأمة تحمل لها الأمّحاق. فكيف تريد، يا مثيلي، لمثلنا أن تكون سرعة نبضه إزاء الرزايا؟ أم تراك، يا مجيد القراءة، تقرأ، باطمئنان، عنوان المكتوب المرسل من الدار البيضاء؟

وفي سياق المؤاخذة لا تلبث أن تعاجلني بالتفهم والعذر فتقول بالحرف والروح: «أنا أفهمك اليوم تماماً لأني كنت أعجل منك في الشباب الأول، وقد التعبتُ لعبة المصير لكي أزيل ردوم ألف عار وعيب عن لبنان».

طبعاً، تلك كانت أهداف المحاولة المباركة، لا ريب في ذلك ولا جدال... إنما حالنا اليوم ليست حال ألف عيب وعار وحسب، إنما هي حال

الويل الأكبر يقرع الأبواب بعنف وإصرار، وهي، كما تعلم، ليست مُحكمة الإغلاق. والمصير الذي التعبتَ مع سواك لعبته زمنذاك، هو اليوم في كفة الميزان وفي الأخرى رجحان!

فالبلبال قائم، والزلزال آت... والطوفان، إذا لم تقم، عاجلةً، في مواجهته السدودُ المنيعة، فلن يُبقي، على وجه الغمر، سفينةً لأي نوح عربي ولا حتى لمن ينوحون.. أهو من الاستعجال، في هذه الحال، النداء على قيامة الأحياء؟

لا يا بو علي، لستُ عجولاً وما، عمرها، السرعة في مقاومة الشيطان كانت من الشيطان. فخير البرّ عاجله. وأبناء الحياة لا مصداقية لهم، إن لم يبادروا، سراعاً، إلى دحرجة الحجر الجاثم على وحدة الروح...

وفي انتقالك إلى الحديث عمَّن سقطوا، يستنفر انتباهي قولك: «ولا ملامة علينا من قبل ومن بعد إذا كان بعض من النخبة المعاكسة قد سقطوا على جوانب الطريق... الخ».

ليس الساقطون على حفافي الدروب بملومين، لو أنهم سقطوا فارتاحوا وأراحوا.. لكنّهم، وهنا بيت القصيد، جرجروا في سقوطهم نهضة العز وراءهم...

«لا ملامة علينا»!، بل نلومك وأكثر، ونذهب حدّ اتهام النخبة المعاكسة... أعضاءها، ولا سيما السابقين في أنهم سمحوا، لما ارتضوا الغياب طريقاً للعديد من الساقطين على الجوانب أن يكونوا قادة في مسيرة الخلاص.

حركة البطولات والأبطال، أهل المناقبية، عاكسي موكب التاريخ، إلى أية حال تستحيل هذه الحركة إذا تسلل، إلى مواقع التأثير والتوجيه فيها، من بغير هذه الصفات يتصفون؟

لا تقل لي، عن الذين أرحمهم جداً إذ أقول فيهم ما أقول، **«هؤلاء ليسوا أصحاب القضية وليسوا الأوصياء».**

بل هؤلاء هم الموجّهون لأجيال فيها الخير والبركة وبطولات الحركة.

هؤلاء هم المسؤولون عن عيوب اعتقدَها فضائلَ أبطالٌ مقاتلون أشاوس، لكنهم، واحرَّ وجداناه، يرددون، سمعتهم مراراً، يرددون مقولة وعي مغلوط زرعه في عقولهم قادة غلط: «**نحنا زلمك يا سعادة**» فسمعتك في ردك تراهن على وعي الأعضاء. مثل هؤلاء، في لبنان الخمسة عشر عجافاً، لم يُعدّوا الأعدادَ السليم **حيث أبناء الحياة ليسوا زلماً لأحد ولا حتى لباعث النهضة نفسه. إنهم تلاميذ لمعلم هو وهم ونحن، للقضية: للوطن قائد ورجال**... أرأيت أن الوعي، موضوع رهانك، يرسمه اليوم طريقاً للأعضاء، بعضُ من سقط على جوانب الطريق، ولولا خمائر بقايا بينهم يقولون بين حين وحين، **كلاماً فيه من خيرالله ونور المعلم لتحول الشباب أهل هباب ويباب**.

ولننتقل، وسط الشجون، إلى ما هو من رد اليوم، باقٍ:

أَمس المبارح، التقيت مسافات من الحزن، مساحات من الغضب، **التقيت سميّك بو علي طالب حزيناً حزن علي بن أبي طالب على أهل الضلال**، على كبار أهل «العشيرة» ممّن يحاولون، في تشرذمهم، **إنزال عليّهِ ـ عليّنا الشهيدِ ـ من عليائه**... سألني، إذ عرف أَني مزمع كتابة إليك، أن أنقل لك المسافات والمساحات. قال:

«بو علي» شوقي خيرالله عنده منبر حرّ يصل صداه إلى الأحرار في أَسر «الأحزاب». قل له: غير كافٍ، نقل غضب، نشر غضب. مطلوب أن يتحد غضب مثله مع غضب مثلنا لكيّ يكون الغضب الآتي ساطعاً في هذا الليل الذي طال، طارداً الخفافيش المعرقلِ وجودُهم طلوعَ الفجر. وها أنذا أنقل كفراً بالكافرين...

همّنا، يا بو علي، لا حُمّلتَ هماً سواه ـ أنَّ طلائع الموكب الجنائزي مقبلة على الأمة، ونحن نفتش عن لمّ شمل الغاضبين الأطهار، علّنا نعكس جنازة في موكب التاريخ.

والسلام عليك، وعلى كل من اتبع الهدى لتحيا بلاده، السلام

صديقك في غيب وحضور

مشرف جرجور

الديار 20 أيلول 1989

ردّ على الرسالة الشمالية

رسَالة من شوقي خيرالله إلى مشرف جرجور
وبو علي طالب والأصدقاء في شمالي لبنان

يا أصدقائي جميعا،

تحية ومراحب، وبعد،

الكلمة تغني عن ألف ما بيننا.

ولست أحسب أننا جميعاً بحاجة أم بنا توق لتضييع وقت وجهد في أي بحث في المسلّمات الخلقية بيننا ولا في المسلّمات العقدية.

فحتى الآن لا تزال مداميكنا الفكرية أقرب منظومة فكرية ثقافية إلى المطلق المثال، ولا أحسب أن أحداً من التلاميذ الدعاة أم من الأصدقاء ـ ولا حتى من الخصوم السياسيين ـ قد انتقد بحق مدماكاً واحداً من أركان بنيتنا العقدية والفكرية والثقافية، ولا من المنهج الخلقي المصاحب لها بدون انفصال ولا انفصام. فهذا الموضوع إذن لا ينبغي أن نضيع عليه أي وقت ما دمنا متفقين عليه عقلياً، ومجمعين عليه وجدانياً، ونعتبر أن تعاقدنا عليه هو أمر مصيري يساوي وجودنا. فهو إذن ينبوع وجداننا ومرآة وجداننا والمسبار والباب الضيق والصراط المستقيم لجميع ما هو من شؤون المجتمع والسياسة والقومية والوطن والإنسان والتاريخ والمستقبل. **وعلى هذا التصاهر الفذ وبفضله، وبسبب توالف الحقائق العظمى فيه وانسجامها، استتبّ عقلنا ووجداننا وحقيقتنا وشرفنا ومعتقدنا على مصطبة كأنها منصّة اطلاق لنا على سبل العمر والحياة نحو تصالحنا مع ذاتنا فردياً، وتصالحنا بعض مع بعض وجميعاً في رحاب الأمة والوطن والمجتمع. ومن على هذه المنصة الأتمّ استقبلْنا التاريخَ المتنزل علينا وصالحنا أزمنة أمتنا الخوالي، وورثنا بحق 153 جيلاً من الجدود المتواصلين، وتملّكنا تركَتَهم العربيةَ الأعتق في سورية كما في جميع الأوطان العربية والأمم العربية الشقيقة المتدرجات بقدر مكتوب نحو توحّد لغة وتفاعل عقول وانفتاح حدود وحواجز، وإقامة جبهة لا تزال هي الأقدس والأفضل في تاريخ الإنسان، لأنها أكثر انصهار مدرجي توازناً وأصالة على الإطلاق.**

يا أصدقائي، يا رفاق المصير، وإخوة الإيمان والسلاح، فالموضوع إذن ليس عجلة ولا تباطؤاً، ولا إهمالاً في مقاومة الشيطان والويل الزاحف علينا من إسرائيل ومن كل شعوبية وعجمة. ولست أرى أن على العقيدة بنصّها الموضوع أن ترسم لنا ضرورة عجلة أو تمهّل. العجلة والتمهل والمناورة والتقدم والالتفاف والتراجع والاقتحام **هي شؤون خطة متبدّلة يبتدعها العقل المؤسساتي الجماعي، وهو في حالة الاستقامة الدمقراطية المشاركة، بفضل دستور حكيم قوي وأمين يؤمن بأهلية النفس السورية ورقي مدارك الأعضاء المؤمنين والعاملين**. فالعضو العامل إذن هو الأهل للاستيعاب والترسل والانضباط، والمؤهل للارتقاء إلى معارج الجهاد ضد أعدائنا ولخير شعبنا ولنهضة أمتنا التي هي أمته أيضاً. فعلى مطلق دستور مستنير في المؤسسة النهضوية **أن يستوعب حقيقة العقيدة وهجوميتها وزخم التطور الذاتي الكامن في صلب المبادىء كما في ذهنية التنشئة القومية**. فالثقة إذن هي التي ترقي الأعضاء **إلى سوية اختيار إدارتهم المركزية العليا وإلى مراقبتها ومحاسبتها حتى التجديد لها أو محاكمتها وإقالتها واستبدالها**. وما دام الدستور المعمول به في المؤسسنة خلواً من تشريع يكرّس حرية الرأي وحق المعارضة والانتخاب والابتدال، ويقونن المحاسبة العادلة في الشؤون المالية، ويقونن المحكمة القومية الدائمة وإنشاء النيابة العامة القومية المنفصلة عملانياً عن السلطتين التشريعية والتنفيذية، فلا مجال لتجسيد القيم في حياة المؤسسة، ولا أمل في ديمومة المؤسسة النهضوية كأداة لحمل النهضة ولنشرها وللانتصار بها. **وسيظل الأعضاء طيبين طيبةً ولكن في وضع القاصرين الواقعين تحت وصاية أوصياء مزيفين**. فالمؤسسة إذاك ليست وليست وليست.

يا أصدقائي جميعاً،

«**زلم سعادة**» ليسوا بأي حال أعضاء في الحزب ولا دعاة في النهضة ولا بُناة في الحركة بل هم زلم للزلم، وليس لقَسَمهم قيمة شرعية، تماماً كمثل جميع الذين يقبلون رئاسةً وعمدةً ومنفذيةً ومديريةً وقيادةً من ليسوا بشرعيين. ولا ضرورة لذكر أسماء هؤلاء وأولئك ولا للدخول في مهاترة مع أحد.

المهاترة لا تبني ولكنها تهدّم أكثر وترسم طريقاً أعوج **فيتبعه الأعضاء الذين تقصّدتْ قيادتُهم ألا يعرفوا العقيدة ولا الدستور ولا الأدبيات الحزبية ولا الإنتاج القومي الفكري. إنهم مجهّلون قصداً وعمداً، والمسؤولية عليهم لا تقوم تماماً. بيد أنهم قد تلقوا مراراً تنبيهاتنا وعرفوا بمداخلاتنا المتعددة والمتكررة ـ ونحن كثر ـ في المؤتمرات الصغرى والكبرى.** فنحن لا ندعى في المؤتمرات المركزية ونُنبذ دونها قصداً عمداً بألف حيلة لأننا موصوفون لدى الأراخنة والمتسلطين وقهارمة الأمناء **بأننا متمردون ومعارضون ونزعج عرس التجديد لهم ونعطّل رونق الوليمة. إن وجودنا ومداخلاتنا تظهر في الأرض فسادهم.**

ومع ذلك، سأظل أثق بالعضو المحتاج دوماً إلى قبسة نور صافٍ من أنوار النهضة ومناقبها وإلى الرأي الحر والشهادة. إن شهادتنا تفتّح وعيه المغبّش وتقوي انضباطه وتحرره لأنه يستمع معنا كما حرّ إلى أحرار.

لقد جلست إلى المعلم مئات المرات على انفراد وفي حلقات جامعة. وتشربتُ من لدنه أسرار التفكير القومي والجدلية المدرحية وعظمة الإنسان المجتمع وعرى القومية الاجتماعية وكثيراً من قياديّته وطريقة تعليمه وتنشئته لنا. **وما كان بنخّاس يتنبل نخواتنا أو يحطم كبرياءنا أو يدنّي عزتنا أو يفسد تقوانا.** بل كان يعي وينفذ، ويدربنا على التنفيذ، **أن الحزب والنهضة والحركة كلاً مفقسةٌ ومدرسةٌ ومشتل وكرمة لأرواح متمردة متفقهة، إذن منضبطة بوعي. وبالحرية والمعرفة والواجب والنظام والقوة ننطلق دعاة على سبل النهضة وفي رحابها وفي مجاهل الشعب المعذب، مقاتلين نفتش عن القتال الحق لمصلحة الأمة، وليس يفتش القتال عنا مأجورين لدى سماسرة دم قد يصبّون في خانة لا ندري مبتداها.**

هكذا كانت **البطولة المؤيدة بصحة العقيدة** ـ ولا تزال ولن تتبدّل ـ هي السمتَ الأدقّ لمناقبية القوميين الاجتماعيين.

ولذلك كان القومي الاجتماعي قدوة إيمانية وخلقية للجميع. وكان يبشر أينما حلّ بالكلام وبالتصرف معاً فيجسّد منارة حق لدى جميع الفئات إطلاقاً، بغض النظر عن مقلعه الأصلي. وما من مهني أو موظف أو مفكر، وما من

منتج جدّي غلالاً وفكراً وصناعة وفناً في أيما قطاع إنتاجي إلا وكان الناس يحدسون ويزكنون في نجواهم أنه لا ريب قومي اجتماعي **لأن أخلاقه تنمّ عنه ولأن تصرفه الصادق والأمين يفضحه.**

* * *

أما اتحاد الغضب فأنا ضدّه ونقيضه يا رفقاء النهضة. بل أنا من دعاة اتحاد الرضى في مؤسسة واحدة بدمقراطية مشاركة ومعدّلة الدستور. وأنا من دعاة شحالة عادلة عبر محكمة جدية ودفاع وأصول مكتملة، مع مدّع عام فيصل وفاروق. نحن مظاليمَ الاستبداد والجور لا يحقّ لنا أن نجور ونظلم. العدل ملح الأرض.

وسأقول لكم، كما أجبت إخوتنا وإياكم ومراضعينا في الجنوب إذ كمشوني وكبسوني منذ شهرين. وما كنت برحلة تبشيرية ولا إدارية مأمورة. بل كنت شبه مبتعد عن القصف ليومين ثلاثة.

هؤلاء المراضعون يشبهونكم مطلباً وإنْ تنوّع. وإنْ منهم إلا رافض للتقسيم المجرم المقصود وللمجرمين المنتفعين، ورافض للعصبيات الجزئية لأشخاص. وقد طالبوني بالتحرك للتوحيد.

مشروعي أننا لسنا في سياق حزب رابع أو شِقّ أو جزء ينفصل أيضاً ويفتح مركزاً. أنا لا أقسّم الحزب ولو دُفع لي مال الأرض وأُغويت غواية الجنة. المشروع الذي أنا منه ومعه يقتضي تعيين خمسة حكماء من الحزب مطلقي الصلاحية، على ألا يكونوا من ميول متفشية في الحزب الآن. وهؤلاء الخمسة ينتخبون من أنفسهم أم من خارجهم مدّعياً عاماً من المشهود لهم بنقاوة السيرة وصلابة الشكيمة. والادعاء العام يعمل باستقلال عدلي وقضائي تامّ عما سواه. ومهمته تنظيف الحزب وتطهيره ومحاكمة المسيئين ومحاسبة الأموال المشبوهة والمسروقة من الأوقاف الحزبية منذ 1970. ودائرة الادعاء العام تقوم بدور الديدبان الخلقي في مطلق تصرف أو نصّ يصدر أو أي عمل إداري ترى النيابة أنه يستدعي تدخلها.

هذه اللجنة تعدل الدستور في الاتجاه الإصلاحي الغالب في أوساط

الحزب. ثم تلغي أمانة الأمناء جميعاً، وتوحّد المليشيا بعد تطهيرها، وتحتفظ بما يستوجبه الوضع الحزبي المتضبضب. وبعد ذلك تدعو اللجنة إلى مؤتمر عام تنتخبه القاعدة الموعّاة والمنورة بما يجري في الحزب.

وتكفّ القيادتان التقسيميتان في هذه الأثناء جميعاً عن ممارسة أي نشاط. وتحُلّان.

المؤتمر العام ينتخب، من أعضاء الحزب جميعاً، رئيسَ الحزب ورئيسَ مجلس العمد والمدعيَ العام القومي والمفتشَ العام ورئيسَ الندوة الثقافية. وينتخب أعضاءَ المجلس الأعلى.

وشروط الأقدمية والأهلية للترشح والانتخاب يصدر بها قرار على حدة.

الرئيس يعيّن العمد، والمجلس الأعلى يوافق أو لا يوافق على كل منهم. وبعد الموافقة يتكرس مجلس العمد مؤسسة وهيئة واحدة فيما يراقب المجلس الأعلى جميع أعمال مجلس العمد ورئيس الحزب والسلطة التنفيذية.

ولا يجمع أحد عضوية المجلس الأعلى إلى أي وظيفة إدارية أخرى ولا إلى أي تكليف من السلطة التنفيذية. ولا يقوم أي منهم ولا رئيس المجلس بأي عمل تمثيلي أو سياسي. مهمة المجلس الأعلى التشريع والتخطيط ومراقبة السلطة التنفيذية.

رئيس الندوة الثقافية ليس بديلاً عن عميد الثقافة. بل يرأس الندوة الثقافية ويعيّن أعضاءها من أهل الثقافة والعلم والمعرفة والاختصاص في مختلف المجالات. والندوة تدير شؤونها عبر لجنة منتخبة. وهي الهيئة الثقافية العليا في الحزب، والعميد ينفذ توجيهاتها بتنسيق مع قرارات مجلس العمد.

وتنفّذ الدمقراطيةُ المشاركة في الحزب بانتخابات في المديرية والمنفذية بحسب المراسيم الموجودة في الدستور وتكمل الحلقة العليا الناقصة **بحيث يكون مندوبو المنفذيات هم المجلس القومي.**

وأما الأمناء فهم مندوبو المنفذيات المنتخبون إلى المجلس القومي ذاتاً ويضاف إليهم عشرة بالمئة من عددهم تنتخبهم الندوة الثقافية. ويكون الرئيس

المنتخب للحزب والمدعي العام القومي ورئيس الندوة الثقافية والمفتش العام أمناء حكماً بمجرد انتخابهم.

وما من أمين دائم بل أمانته تدوم بدوام انتخابه في الدورة الدستورية الكاملة البالغة خمس سنوات. وتسقط الأمانة عن الجميع حكماً بمجرد انتهاء الدورة الدستورية، وتجدَّد إذا تجدد الانتخاب. وهكذا يظل الدم الجديد يتوالى في الجسم الحزبي، ولا تقوم أرستقراطية دائمة ولا طبقية فوقية مدمّرة.

وتسقط جميع الوظائف حكماً كل خمس سنوات ما أن ينتخب رئيس جديد. ويفضّل أن يخفّ التفرّغ إلى حدّه الأدنى وأن تعود المسؤولية إلى حالة الترهب المجاني سوى ما تفرضه الظروف البالغة الشدّة. ويقرر استثنائيةَ هذه الظروف المدعي العامُ والمفتشُ العام بجانب المجلس الأعلى.

* * *

إنها خطوط عريضة تجسّد في رأيي عصمةَ العقيدة والمؤسسة وحريةَ النقد والمعارضة وحريةَ السعي إلى التطوير وديمومةَ الابتدال وضخّ الدم الجديد لمنع قيام طبقية كَمِخَة كالتي أوصلت المؤسسة والنهضة والحركة إلى القرف واليأس واللامبالاة، وإلى روتين دواويني وإلى انعدام المحاسبة وإلى عقم فكري رهيب.

وليس إلا بنهضة في قلب النهضة، وبثورة في الثورة المتثائبة وبنفض السقالات الهرمة **وبمحاسبة قانونية راقية يمكننا أن نقضي على أجواء الإشاعات والفوضى والابتزاز، وعلى أجواء المرتزقة وعلى تناسي العقيدة الأساسية.**

بالقانون والانضباط والغضب المطهر وبحب الحقيقة وبالبطولة المؤيدة بصحة العقيدة يمكننا أن نوقف الجنازة الكبرى الآتية ومسيرة التقهقر التي تنتاب النهضة **بعد أن تناست أن الملكوت في داخلها وليس يُشرَى ولا يُستعار. والملكوت هو الحقيقة. والحقيقة المجتمعية هو سعادة.**

واسلموا معافين أعِزّة

شوقي خيرالله

الديار 15 و16 تشرين الثاني 1989

النهضة المقلوبة

خلال شهر آب 1998 كانت محادثات الوحدة بين الحزبين (**المجلس الأعلى والطوارىء**) على أشدها. وكانت لجنتان من هنا وهناك تجتمعان وتبحثان في كيفية التوحيد أهو اتحاد متساويَين أم هو استلحاق **المجلس الأعلى** بالطوارىء. وكان ثمة شعور استعلاء لدى الطوارىء لأن عندهم المال وعندهم الدعم السياسي وكان عندنا في **المجلس الأعلى** حالة إفلاس مالي وبالوقت ذاته تهافت مستعجل لدى بعض الموعودين بالجنة. وكان القول في اجتماعات الطوارىء مع وفدنا إلى المفاوضة أن الثابت الأوحد الذي لا يقبل الجدل مع «الإخوان» هو رئاسة الأمين علي قانصو للحزب الموحّد. وما كان أحد من «**المجلس الأعلى**» طاحشاً على هذه الرئاسة الموقتة على الحزب الموحّد ريثما تحصل الانتخابات الآتية. **وكنت أنا وحدي أصرّ على رئاسة علي قانصو لا للمدة المتبقية فقط بل لمدة جديدة تامة بشرط أن ينتخب الرئيسَ المجلسان الأعليان برغم قناعتي وسواي أن المجلس الأعلى الشرعي هو مجلسنا لا مجلس الطوارىء**، وكان أمناء الطوارىء في أكثرهم يقولون هذا القول. بل نشرت في نداء الوطن، في المقال الأسبوعي الذي كنت أحرره، نداءً إلى الأمين علي قانصو كي يقبل هو وسواه بهذا الحلّ **كي لا يكون رئيساً بدرجتين في الحزب الموحّد على أعضاء تامّي العضوية والشرعية، وعلينا** بنصف شرعية إذا ما ترأسَنا بغير انتخابنا إياه. فلم يغيّر ولم يبدّل.

مرة عقد اجتماع لمجلس العمد برئاسة نائب الرئيس، **في حزب المجلس**

الأعلى. وكنت أنا عميداً للثقافة. وكان أكثر الجلسة في تلك الفترة حول مفاوضات الوحدة. وكانت قد عُقدت اتفاقية كتابية بين الوفدين تسجلّت فيها شروط التوحيد. وكان مع رئيس الجلسة نسخة منها، وبرنامج الجلسة هو مواضيع الوحدة وشروطها.

افتتح الاجتماع الرسمي باسم سورية وسعادة وجلسنا نستمع إلى مراحل المفاوضات. قال مدير الجلسة ما هو مسجّل بالحرف: معي شروط الاتفاق على هذه الورقة. ولكني لن أطلعكم عليها خوفاً من تسرّب مضامينها، بل سأقرأ بعض البنود ثم أشرح البنود الأخرى». وثم توافقون.

لم أصدّق أذنيّ وسمعي. وطلبت الكلام وأظهرت احتجاجي معلناً أن هذا الكلام في مجلس العمد هو إهانة عامة للمؤسسة ولكل عميد حاضر. وأنا أرفض هذا الكلام جملةً وتفصيلاً وأصرّ على الاطلاع على كامل الشروط وإلا فلا معنى للاجتماع. وطلبت اعتذاراً من مترئس الجلسة.

أحد العمد ساند الرئيس وقال إنه لم يشعر بأي إهانة. أجبته: إذن لا يعتذر منك بل من الذين فهموا الأمر مثلي. ولم يعتذر الرئيس ولم أقبل أنا، واعتذرت عن حضور الجلسة. وخرجت من الاجتماع.

عرفت بعد دقائق من خروجي أن رئيس الجلسة كان أمس مجتمعاً في الشمال مع عدة منفذين ومسؤولين قوميين وبعض الأعضاء «الذين يخصونه» وأنه كان يبحث معهم في محتوى الورقة التي كانت تتنقل بين أيديهم ويطلعون على مضمونها.

بعد أيام قدّمت استقالتي من عمدة الثقافة، في 25 آب 1998.

الحزب السوري القومي الاجتماعي
عمدة الثقافة والفنون الجميلة

من عميد الثقافة والفنون الجميلة

إلى حضرة رئيس المجلس الأعلى الجزيل الاحترام

بواسطة حضرة رئيس الحزب الجزيل الاحترام

الموضوع: استقالة من مسؤولية عميد الثقافة والفنون الجميلة.

تحية سورية قومية وبعد

1 ـ كنت قد تشرفت بتولي عمدة الثقافة منذ تأليف مجلس العمد الراهن، بناء على ذهنية نهضوية وعلى غايات وقيم ومقاصد هي صلب معتقدنا ومناقبنا.

2 ـ وقد راح يتكشف لي مع انسراب الوقت والأنشطة أن ثمة في التوجهات والأعراف والقيم والمسيرة تبدّلاً جارفاً لست أقرّه، ويجعلني أشعر بغربة عن الحالة الراهنة في الإدارة الحزبية العليا.

3 ـ وتفاقم هذا التبدّل مؤخراً حتى تغلّبت الفرقة على التوالف وعلى مسؤولية وواجب التعاضد ووحدة المسيرة والمصير، وتغلّبتْ أيضاً على ذهنية التكاتف التي حثّتنا بداهة على تولّي مسؤولياتنا معاً في مجلس العمد الموقّر.

4 ـ فأما وقد رجحت مواضيع التباعد غير المنكفىء والمفاجىء في أغلب معاني القاموس الذي طالما كان مرجعنا القومي والمسبار الدقيق للكلمات وللأعمال، وأما وقد راح يسوسنا ذهنية اعتذر إنْ وصفتها بالخداع والتخادع وبالريبة وبالتحفّظ، فإني أفضّل ألا أساهم في عمل جماعي كان يُفترض ـ

وسيظلّ يُفترض ـ أنه الأقرب قرباً إلى المثالية النهضوية التي لا تُنال وينبغي ألا ينقطع السعي نحوها أبداً. هذا السعي التعاقدي قد تسمّم، ولست أرى في الوقت الراهن نيّة أو إرادة أو خطة لمداواته أو لتنخيته. وكذلك لست أرى نفعاً للنهضة وللزملاء من بقائي عميداً في هذا المناخ.

6 ـ لذلك أقدّم لكم استقالتي من مسؤوليتي كعميد للثقافة والفنون الجميلة.

واسلموا للحق.

تحيا سورية

ويحيا سعادة.

التوقيع
عميد الثقافة والفنون الجميلة
الأمين شوقي خيرالله
الخميس 25 آب 1998

الحزب السوري القومي الاجتماعي
عمدة الثقافة والفنون الجميلة

مخيّم عدبل

الموضوع: رسالة إلى رئاسة الحزب/ رئاسة مجلس العمد، حول مخيّم عدبل خلال شهر تموز الحالي، 1998.

ومع رجاء: رفع هذه الرسالة إلى المجلس الأعلى الموقر، واطلاع أعضاء المجلس القومي أفرادياً على مضمونها ونصّها.

تحية سورية قومية اجتماعية وبعد

1 ـ أرفع هذه الرسالة بالصفتين، عميد الثقافة، وعضو في مؤسسة مجلس العمد، متمنياً أن تسجل الرسالة في جدول أعمال الجلسة القادمة وأن يبلّغ المجلس الأعلى الموقر بنصّها، مع تثبيتها في محضر الجلسة.

2 ـ إن عمدة الثقافة تعتبر أن ما تجمّع من **أخطاء دستورية وأخطاء تصرّف وأخطاء عُرْف ومنطق** يجعل من هذا الشذوذ المتعدد أكثر من خطأ وأقرب إلى الخروج عن روح المؤسسة وعن الانضباط البدائي وعن اللياقة التعاضدية بين العمدات ـ المصالح المتكاملة ـ ويجعل صرف المال أقرب إلى الابتزاز والهدر فيما المؤسسة الحزبية تفتقر إلى كل ليرة لكي تسدّ حاجات أبدَى من مخيم تحوّل في المحصّل الأخير إلى عملية ترفيهية واستجمام.

3 ـ لا يجوز، **بعد سبعين عاماً** من انبثاق النهضة وقيمها وانضباطها وفضائلها البنّاءة، أن يُقام مخيّم بغير برنامج مفصّل حتى آخر حرف وبرهة، وبغير اقتراح مسبق يُرفع إلى مجلس العمد، وإلى كل عمدة ذات علاقة، مع

التبليغات العملانية اللازمة والواجبة قبل مواعيدها لكي تتضبّط الرزنامة الخاصة والعامة معاً.

4 ـ وما كان يجوز أن يكون المخيم **تحت طابع ثقافة وتربية وتدريب بدون أي معرفة بذلك لدى عمدة الثقافة وعمدة الإذاعة وعمدة الداخلية وعمدة الدفاع وعمدة المالية**. وما كان يجوز أن يُنقل مكان المخيم من منطقة إلى أخرى لأسباب «أمنية»! بغير مناقشة هذا الأمر وتقريره في مجلس العمد بعد رأي ومطالعة عمدة الدفاع، والعمد العارفين بشيء من شؤون الدفاع والأمن.

5 ـ وما كان يجوز أن تُلقى محاضرات في الثقافة بغير علم عميد الثقافة، ناهيكم بعدم استشارة عميد الثقافة ذاتاً ولا عمدٍ مثقفين آخرين. ولسنا ندري حتى الآن هل أُلقيت أصلاً محاضرات في الثقافة ومَن وجّهَ المواضيع واختارها وماذا قالوا لسبعين رفيقة ورفيقاً جامعيين. وكأننا في مهزلة!!

6 ـ أما في الشأن المالي فلست على يقين من القوانين المالية إذا ما كانت تسمح لعميد المالية أو **حتى لرئيس الحزب** أن يصرف مبلغ ألفي دولار ($2000) بغير التدابير اللازمة لتقرير وصرف ومحاسبة. وهذا البند الرقم 6 هو الأقل والأدنى في اعتراضي وفي استهجاني لجميع ما سبق ورافق حصول هذا المخيّم.

7 ـ ولكني أُقارب، في إدراك وتفهّم هذه الظروف، **أننا إزاء استعجال فوقيّ تهريبي للمخيّم بغير علم الإدارة الحزبية المتعددة وبغير رقابة قانونية محترمة. شعوري أننا إزاء ما يشبه الابتزاز**، أو كأنها عملية يراد لها أن تحصل بغير علم الإدارة. حدسي كأنها بدايات تمرّد أو استغلال ثقة.

8 ـ أقترح أنْ يوجّه مجلسُ العمد في جلسة رسمية لوماً كتابياً إلى حضرة عميد التربية وشبيبة النهضة على الأخطاء وعلى المقاصد وعلى ما فعل وعلى ما أهمل من قانون وأصول تعاملٍ ومن ذهنية احتقار لزمالة المعتقد والمسؤوليات معاً. ولولا قليل لقاضيتُه أمام محكمة.

9 ـ واقترح أن يقدّم في مجلس العمد ملفٌ تام من قِبَل كل عميد عن

مطلق مشروع يقترح تنفيذه. ولا يجوز أن يتكرّر هذا النوع من التصرف لأنه تخريب للنهضة.

10 ـ **وآمل، بحكم الرفاقة والتعاقد، أن يتفهمني حضرة عميد التربية بأعلى رتبة من الإدراك، لأننا نعمل لنهضة واحدة ولعزّ واحد وليس لهيصات متناقضة بعدد العمدات والمنفذيات، أي للاّ نهضة.**

11 ـ إنها مناسبة أخرى اغتنمها لنعود في مجلس العمد **إلى بحث علاقة الحزب باتحاد شبيبة النهضة**. إن هذه الثنائية لإزاء اتجاهين: انفصالٍ مخرّب تحت مظهر انتماء عقدي موسّع، أو فانضباط يزداد عروةً بقدر ما أنّ الثقافة مقترنة بالأخلاق والطاعة وبوحدة المقصد والغاية. أما الوضع الحالي فغير مقبول لأنه سيتحوّل إلى آفة وسرطان، وسنكون عرّابي هذا السياق المدمّر. الأمر يحتاج إلى بتٍّ حاسم وإلى عزم الأمور.

واسلموا للحق والجهاد وتحيا سورية ويحيا سعادة

بيروت، 23 تموز 1998
عميد الثقافة
الأمين د. شوقي خيرالله

تعليق أخير: لم يتخذ مجلس العمد أي تدبير بحق العميد.

على أعتاب التأسيس

إنه قول فصل ليس بالهزل.

إنه سعي ثقافي قلق لتأويل جديد وتفسير حيّ للنطفة العقدية المحكمة. وهو امتحان لتجسيد الهوية السورية العربية، أمّ العروبة الحقيقية الواقعية.

إننا إزاء ملء زمان يهمزنا لننقذ العروبة الراهنة من رومنسيتها وبدائيتها وغيبياتها وغبائها، ولنؤهلها للقرن الحادي والعشرين. لأننا إلمّ نلجه عرباً بغير مواربة ولا احتيال ولا مخادعة انحدرنا إلي فتافيت من العجماوات تتعيّش على الأوهام وعلى أشباه فلول حضارات مبعثرة في تاريخ مقطّع وبغير ما غاية يصبّ فيها.

الكلمات الميتة لن تحيي رميماً. الكلمات أجساد تزول وتفنى إذا لم تجدّدها حياة الروح. المعاني هي الروح. ونهضتنا وعقيدتنا وحركتنا لسن بكلمات محفورة جامدة في حجر أصمّ. ولا هم النهضويون بأصنام عاكفين على وثن.

النهضة تموت إذا تبلّدت. التنبل يلد التنبل كما الحيّاتُ الأفاعي. عقيدتنا حياة وحركة وتطوّرٌ وتجدّد وإلا فشلنا في صياغة إنسان جديد لمجتمع جديد وعروبة جديدة.

النهضة مشتل للبذور المجوّدة وللمطاعيم المتمردة بقدر ما أنها تشذيب وتقليم وتطعيم. النهضة عقل خلّاق مبدع مفكّر مقدّر ومتدبّر. ويوم يتوقف أو

يكلّ العقل القومي عن التدبّر والمبادرة تحوّلنا جميعاً إلى عقم بليد وتكرار مملّ فنفقد قبضتنا على الزمان المتحرك وعلى دهر لا يستسيغ المقصّرين.

منطق التاريخ ونواميسه ومحصّله أنّ كل تجمّد هو مفقسة بلاهة عقلية مميتة. والمفروض بنهضتنا أن تدرك دوماً أن الجيل الأول الذي تلقّاها قد أعملَ فيها **عقله العتيق وخلطها بما كان قد نشأ عليه في جاهليته المتأخرة**. ولكن على النهضة في يومنا هذا أن تدرك أيضاً أن الستّين المنقضية منذ 1932 هي كافية كيما يتبلور **عقل جماعي جديد وشجاع** فيفعّل أقانيم من النهضة كان يستحيل أن تتفعّل عهد الدعوة الأولى البدائية.

قارنوا بدائيات الثلاثينات بنضج الأربعينات بعد عودة الزعيم، وآثارَها، تدركوا تطوّر المقاصد والخطاب لدى الزعيم ولدى النخبة من ذرّياته.

وبعد، فالزعيم، أثناء الدعوة السرية، ومنذ اعتلانه في 16 تشرين الثاني 1935، كان يهزهز ويسخّف قناعات مزوّرة ومزيفة طالما ضخّها الاستعمارُ واليهود قروناً، وطغمةُ أعداء القضية السورية، أعداء النهضة أعداء العروبة وأعداء لبنان.

الزعيم أطلق الكلمات الحبالى والمعاني الجديدة والعبارات المتفجرة. الزعيم لوّحَ بالحلم والرجاء وبالنخوة والإيمان، وأعلن يقينه الرحب **بأن إنساننا حمّال حق وخير وجمال، وأن أمتنا السورية العربية حمّالة معرفة ورسالة إلى شقيقاتها العربيات وإلى العروبة المنازعة.**

الزعيم أعلن أن تاريخنا رسمالنا إذا ما أحييناه بقيم النهضة الجديدة وأعدنا كتابته مضاءة بحقائق النهضة وغاياتها. الزعيم أرسى **مبادىء محكمات ومتطورة** معاً وأنشأ مؤسسات وحلقات رفاقة هرمية. والزعيم جعل من ذاته قدوة فضلى. **والزعيم أرسى عقلية أخلاقية مناقبية تساوي العقيدة.**

بالمختصر: الزعيم استلّ من حطام الأمة الموؤودة عناصرَ انبعاثها ومقوّماتِ هويتها وجسّدَ معنى القضية السورية في ضمائر الحزب أولاً، وحدّد هويتها العربية واتحاديتها المحتّمة مع شقيقاتها.

وكلّ في كلّ: أعلن الزعيم المشروع العربي الأوحد النقيض التام والبديل القومي عن المشروع الصهيوني.

ولذلك اغتالوه في اليوم السابع من الشهر السابع من السنة السابعة من عمر الاستقلال المنقوص.

اغتاله يهود الداخل والخارج ورجعيات العروبة الوهمية، لمئة سبب أهمّها أنه طالب باعتماد النفط العربي جميعاً سلاحاً ستراتيجياً ضد الاستعمار والصهيونية.

محصّل القول أن النهضة بحاجة إلى نهضة، وإلى شبشبة الكلمة والخطاب، وإلى حرية الفن والأدب والعلم والمعرفة والثقافة والإعلام. وإذا لم تلبِّ الإدارة العليا هذه الحاجة ظلّ الجيل الفتي يشيح عن صفوف النهضة. مهمة الإدارة الأولى هي أن تفعّل رساميلها وثمراتها قبل أن تجفّ وتسقط يائسة محبطة وقانطة من إمكانيات المجتمع والأمة والحزب والحركة. النهضة اليوم في حالة احتقان وضيق صدر بسبب إهمالها بنيها. النهضة تمرّ في حالة الاغتصاب والصمت المريب لأنها مؤجَّرة ومستأجَرَة ومغيبة عن مسؤولية المصير والقرار.

مهمة الحزب العظمى هي الذهاب إلى الشعب أي الإذاعة والتبشير والتحشيد لأن الشعب المحبط والمجهّل قصداً عمداً لا يعود يدرك حاجته إلى أنوار النهضة.

أليس لأجل إطفاء النهضة ولتشليع صفوفها ووحدتها ولتشتيت المؤمنين اغتال التنينُ بسمةَ النور في اليوم السابع من الشهر السابع من العام السابع من عمر الاستقلال الغشيم.

أيَّ وحدة نريد؟

إلامَ الخُلف وعلامَ الهياج؟

لهؤلاء رأي ولأولئك رأي. وكلٌ إلى القومية الاجتماعية ينتمون وإليها يرجعون. وكلٌ، في كثير أو قليل، نهضويون علمانيون مدنيون، وإنما التفاضل فبالثقافة المجاهدة وبالوعي وبعزم الأمور، **أي بقدر ما أنهم هوية في الهوية، ونهضة في النهضة.**

أتزعم أنك مجلٍّ وقيدوم ثقافة ووعي، فهات ما عندك وما أنت حقاً، ونعمّاً للنهضة بكم أجمعين طالما أنكم إلى الخيرات تستبقون. أما مقاومة الثقافة بجهالة مزركشة فلا.!!

2 ـ أما كيف الوحدة؟ فتلكم هي المسألة. وأية وحدة.؟

البند الأول ـ أعلاه ـ، جلّه في الثقافة وفي الأهلية. أما السؤال هنا فهو شأن دستوري بحت يتبّله فقهُ الحرية والشرعية والدمقراطية والولاء، وانصهار الالتزام الفردي بمرقى الولاء وبالانتماء إلى الجماعة. وهي حالة ذات سوابق في التاريخ العام والخاص، وفي محكم التراث، وفي ذاكرة الأجيال.

فأما الخلاف بين العقول فطبيعي وقد طالما اهتزّت الدنيا ولم تقع. ولن تقع. إنّ للنهضة من بنيها ومن وجدانها الأعلى وقايةً وعصمةً وحمايةً ومدداً للصراع والغلبة. فلا خوفٌ عليها إذا ما نبغ في نخباتها أسلوبان حول الوحدة أم أساليب متعددة. إن للنهضة حبكة لا تفنى طالما التجدّد مستمر، وطالما أن

للنهضة عقلاً ووجداناً ونهجاً كوافلَ بأنْ تظلّ المسيرة تقارب البوصلة والنجم الكنعاني الهادي، وأنْ ترفأ السفينةُ إلى مرساها مهما اهتاجت الكلمات أم تعوكرت النيات أم فحّت كوامن الكيود. فإنّ جلّ النهضة لمعافىً وسليم، والنشامى الأحرار ينهدون إلى العروة الوثقى بغير زغل ولا خلل. ولا بأس إن احترّ الموسم، فالرهان صفقة تامة على الأعناق والأرزاق وعلى أرصدة ليس ينخدع أحد إذا ما طفّفها أو زوّرها أصحاب الغايات. ومهما مُوّهت الأرقام أو تورّم الادّعاء فالقبّان والميزان لا يتقبلان التزوير. وليس يصحّ إلاّ الصحيح. وليس النهضويون بعميان بل يعصمهم نور وحياة وبصيرة كالنجم الثاقب. وليس يكابر سوى المغضوب عليهم والضالّين. وليس يعجم المؤمنين في ساعة الحقيقة سوى التجارب والمحن، قبلاً وبعداً. فلا العيطة بنافعة ولا هو الزعل المفتعل بواقٍ، ولا التعبّس بمرعب سوى من كان ظلُّه يخيفه.

3 ـ إن عملية التوحيد هي موسم الرأي الصريح والصحيح والنقد المحيي، ولفتح السجلات على بساط أحمدي بغير اعتماد على الألقاب ولا هيمنة شُلَلٍ وعُصَب. وإلا فباطل الأباطيل.

إزاء حقيقة النهضة لا يستقيم إلا القيّم، بغير مناصب ولا مراتب. الجميع متساوون في الجوهر وليس لأحد فضل سوى بالتقوى الاجتماعية وبرصيد العمر وبالثقافة المجاهدة. والله وحده الأكبر. ومصلحة الأمة وحدها هي الفوق والعليا. وكلٌّ إزاءها مهطعون.

4 ـ وبعد، فثمة أكثر من أسلوب واحد لإقامة صيغة وحدوية جديدة نقيضة للحالة السابقة سواء في التفسّخ الإداري أم في تسيّب الأوقاف والأموال، أم في استغلال المواقع. وثمة بديل أيضاً لحالة النقل والنسخ وللتكرار العقيم والاجترار. التوحد هو رجوة كل قومي اجتماعي سليم العقل والفؤاد. وليس يعارض التوحّد السليم سوى عملاء اليهود. ولذلك تُضارّ النهضةُ ضرراً بالغاً إذا أضفنا شقفة إلى شقفة أو شقعة إلى شقعة. التوحيد ليس بتكديس الركام. والتوحيد ليس مناسبة لتناسي ما ليس يتناساه حاكم في الأرض، لأنّ في القوانين سيئات خلقية لا ينالها عفو. ولكم في القصاص حياة.

والتوحيد ليس تسوية تبقي الألغام حيث هي وتستغلّ حرارة العواطف لطمس المناقب وبراعم الدمقراطية والحرية والصراع الثقافي المنعش والتنضيج العقدي العربي الذي ينقذ العقيدة والنهضة معاً من آفة التعجيم والشعوبية، إذن **من التقرّب المحتم من التطبيع الصهيوني**.

5 ـ إذا كنا نقاوم طوال سبعين عاماً تحوّلَ الطوائف إلى شبه أحزاب دينية، فعلينا إذن أن نقاوم تحوّل النهضة والحزب إلى شبه طائفة ذات إكليروس وكلام منزل وحلول فوقية، ثم ليس للقاعدة الميدانية أي دور أو رأي سوى التعبّد. وهكذا تتشرْعَنُ آلية الكلام المحلّل والمحرّم، وآلية تحطيم الأقلام الحرّة والآراء الخارجة عن **الصراط «الرسمي الأوحد»** وعما يكرره البلاغ الرسمي الأوحد. وما هو العقل الديني سوى ذلك؟ وما هو نقيض النهضة سوى ذلك؟

وماذا يبقى من نهضوية الحزب إذا كان الأعضاء ـ الأغرار والقدامى والكوادر والجميع ـ لا يتثقفون بالعقيدة ولا بأدبيات مثقفيها، ولا حتى بهرطقات المؤمنين بها؟ ومن قال إن إكليروس الحزب أشدّ إيماناً وأصحّ إيماناً وأقْوَمُ من المفكرين الأحرار؟

* العضو الحقيقي هو المتثقف بالعقيدة.

* وهو المتثقف بجدلية العقيدة،

* والمتثقف بتاريخ سورية العربية منذ 6000 سنة، والعارف بنواميس نشوء سورية،

* وهو المتثقف بالصراع الفكري الراهن في العالم وبمآتي العلوم الحديثة،

* وبملامح النظام الاستعماري الجديد الذي يعادينا حتماً،

* وبضرورات ردّتنا العربية الجبهوية على الاستعمار القديم والجديد المتمثلين بإسرائيل، وبالخطر الطوراني، وبالخطر الفارسي، مهما تراتبت الأخطار في الوقت الراهن وفي شطرنج المنطقة.

الثقافة القومية هي التي توضّح للحزب وللعضو وللأمة السورية العربية وللعروبة رمة معاني مجاوَرَة سورية ـ دون الأمم العربية جميعاً ـ أمماً غير عربية طالما كان تاريخهم معادياً لنا ومترصداً لإبادتنا. ولست أدرك كيف سينشأ العضو والحزب على هذه الثقافة المتعددة إذا لم يتوضح ـ بعد سبعين عاماً ـ **ماهية عروبة الأمة السورية، وإذا لم يصبح التثقيف العربي العلني والصادق أقوى من التجهيل السوري غير العربي الذي يصرّ الموميات على صبغ العقيدة بجهالته.**

6 ـ أنأخذ على دول الاستبداد والجور والتعسّف أن أنظمتها تشوّه الإنسان والمجتمع وتصَهْين العقول، وتعطّل كل شورى ودمقراطية وحرية!! فماذا يفعل الحزب سوى ذلك في ممارساته الدستورية وفي تقوقعه الفكري؟ **وإلا فكيف يمكن، في موسم التوحيد الجاري، أن تلغى أدوار المجلس القومي ومجلس المنفذين ومجلس المديرين، ودور المؤتمر القومي،** لكي يُحتكَر الأمر في مجلسين غير مكلّفين أصلاً بهذه المهمة الفوق الشرعية والفوق الدستورية؟

أنأخذ على الاستبداد أنه لا يمارس الدمقراطية والحرية الفكرية ولا الصراع الفكري ولا تعدد الأحزاب ولا الانتخابات، فماذا يُرتكَب سوى ذلك بالقاعدة الحزبية؟

وماذا يبقى من وحدة الحزب إذا ما تفاضل أعضاؤه بمراتب وألقاب ليست تنبع من انتخاب أكثري في القاعدة.

7 ـ أليست ملفتة جداً ظاهرةُ أنّ تقسيميي الأمس هم الموحِدون اليوم ـ في أكثرهم ـ وأنهم أصحاب فكرة العفو العام بأوسع معانيه الشاملة حتى عن الجرائم والمآخذ المالية؟ أليس يحقّ لنا أن نشكك في أن التقسيم والتوحيد هما تمويه قبلاً وبعداً؟!

فما الفرق إذن بين مجتمع نهضوي وبين سواه، وبين حالتنا وحالات الأنظمة التي تتشاتم صباحاً ثم تتهادن ثم تتقاسم المال الحرام ثم تتفق، بعد «المساعي الحميدة». ؟؟ أليس يشبه هذا الوضع المسرح الساخر؟

وما هو الفرق، لو أردنا شرحه للناس، بين النهضوية التي ندّعي وبين الانكشارية والجاهلية والأتابكة والمماليك وجميع التراث الذي جئنا نلغيه بالنهضة؟

فبأي مواطن صالح ونهضوي ندفع إلى المجتمع الذي آلينا على تغييره وتطويره كي يصبح أهلاً لتقبّل عقيدتنا ونظامنا؟ وأهلاً لحمل الرسالة إلى العالم العربي جميعاً؟ وإلى العالمين؟

8 ـ أخشى أن تروح السكرة غداً وتعود الفكرة، وأن يعود السؤال الجديد كالقديم ينخر في الوجدان القومي الذي استنفرناه ولا نزال نستنفره ونبشره باقتحام الملكوت. أليس هذا ما حصل مع قيام الجمهورية العربية المتحدة، وبعد قيامها، وبعد تبيّنِ خيطها الأسود من الأبيض؟

بعد سكرة التوحيد المتسعجل والملغوم استفاقت الفكرة وحصل الإحباط والانفكاك، وفرطت الوحدة بسرعة فاقت مواسم الزلاغيط والحماسة.

9 ـ وحدتنا، بالأذن من الزعلانين منا، كنا نتمنى ولا نزال نر ـو أن تكون وحدة الميدان لا وحدة الأركان، ودمقراطية وحرة. أما إذا أبيتم فلسنا ندري كيف سيكون وضعنا. ولكننا نبقى رفقاء الأمس والغد. ولسنا نملك أن نعادي مؤسسة وهبتنا عزتنا ووهبناها عمراً غير مسهّل النتوءات. ضدّكم ذاتاً لن نعمل. أما معكم فلن نقتنع إلا إذا اهتديتم يقيناً إلى ما نرجو لنا ولكم. وليس من المؤكد أن الحقّ دوماً رهن بالكثرة. الكثرة لا تفتش عن الحق، فلكلٍ شيمةٌ وسريرة. ولو كان الحق مع الكثرة الكاثرة لما اقتنع **«الأصدقاء الكبار»** بأن الوحدة ستزيد في النوعية المفتقدة لدى الأخوة المنشقّين، والأكثرين.

مبروكة عليكم فرحة السكرة.

ليس في النهضة وأدبياتها ومثقفيها وحيٌ.
الدمقراطية النهضوية لا تصاحب الأميّة.

مؤانسة ذات حكمة وإمتاع: مهاجران لبنانيان إلتقيا في أفريقيا الماسيّة يقتل كليهما ظمأ المال وطمع وجشع. وراحا يتنافسان بغير رادع ولا وازع، حتى لوّشا، ولا قرش ولا مصرية.

التجربة المرّة أجبرتهما على الحوار:

ـ تنافسُنا أضرّ بنا وأفلسنا. لماذا لا نتشارك؟

ـ بشرط أن أكون أنا الرئيس.

ـ لقد انتخبتك بالإجماع رئيساً. وبايعتك على العمل والعدل والصدق. أنت الرئيس.

وانسجما على خير. الربح يجمع الشتيتين والمتناقضين.

وقال الكريم خذ! والخزي للحسود.

إلا أن الشيطان نزغ في قلب الرئيس. الطمع أثار فيه روح الاستبداد وسريرة الظلم. فطالب بحصة أكبر. ولم ينفع نصح الشريك ولا حججه. اختلفا حتى العظم.

ـ أنا الرئيس. وقد أقلتك.

ـ وأنا الشعب الذي انتخبك والمجتمع الذي حباك بالشرعية. أنا أملك أن أقيلك وأبتدلك. وأما أنت فلا تملك حق إقالة الشعب ولا ابتداله. أنا مادة المؤسسة التي أنت رأسها. لقد أقلتك ونزعت عنك شرعيتك.

انتهت المؤانسة ذات الحكمة.

في النهضة القومية الاجتماعية، وفي منطقها الأعلى، وفي مؤسساتها وفي فروعها وفي خلفاتها الرديفة، وفي مطاعيمها، ليس إلا العقل شرعاً أعلى. ليس في النهضة ومواريثها وجذورها وأدبياتها ومثقفيها وحيٌ يتنزل ولا شرعية هابطة ولا سلطان معصوم من فوق. الشرعية والسلطة عندنا تتقطر من القاعدة، أي **تتنزل من النزل وتتقطّر كما روح العنب والورد والتين والتمر والزهر والقصب.** كل سلطة شرعية هي نابعة من تحت من القاعدة، من الناخب الفرد، مهما اعتُمدت حيل دستورية مقبولة ـ مؤقتاً ـ كالأمانة والتفويض.

في حضارتنا مثلان ملكوتيان عن التنزيل. **التنزيل هو الانبثاق وهو الفيض.** للثلاثة الكلمات معنى واحد أحد والتفرقة بينهن سفسطة.

المسيح عيسى بن مريم كلمة الله وروحه انبثق من الروح القدس ومريم، بغير حبل بشري. **والقرآن تنزّل أي تقطر أي فاض من وحي الله على قلب النبي محمد.** وليس في التاريخ تنزيل ولا فيض ولا انبثاق ثالث. **المسيح انبثق تنزّل فاض. والقرآن تنزل انبثق فاض.**

الانبثاق الدمقراطي

في النهضة المدنية العلمانية البشرية الوطنية السورية العربية **ثمة انبثاقٌ فيضٌ تنزّلٌ يتصعد هرمياً من الناخب الفرد المستحق عبر مصفاة ومصفاة حتى المجلس القومي الذي هو أعلى سلطة في النهضة.** وهو ينتخب المجلس الأعلى. ومنه مباشرة ومداورة تُنتخَب رئاسة الحزب، وتتعيّن العمدات وجميع السلطات الهرمية وجميع المهمات التفويضية. الدستور واضح كالبلور، والصلاحيات مفصلة تفصيلاً، ولا يتسلل الباطل إلى الحق القومي من أي منفذ سري ولا من أي تأويل يرفضه العقل. وليس في الدستور سلطة تلغي النهضة ولا العقل.

أعظم ما أتى به سعادة هو القومية الاجتماعية والإنسان المجتمع والجدلية المدرحية والعقل الجماعي المنضبط بالدستور، المصطلح بالنقد والمعارضة،

والمتآلف بالأخلاق والقيم وبالفضائل التي لا أكلّ أردد أنها توأم للعقيدة العصماء.

فلا الرئاسة ولا الأمرة والرتبة والمسؤولية هنّ سلطات إلهية، وكذلك ليس العضو والمسؤول الأدنى برقيق في منخسة.

الحزب هو مؤسسة أحرار يتهذبون بآداب النهضة لكي يليقوا بعضوية الأمة ولكي يليقوا بأن يصبحوا نخبة هادية للناس بالمعرفة وبالقدوة، وبالإخلاص والصدق والشجاعة، وبمذهب العزة القومية التي تساوي الحياة. آمين.

* * *

لماذا هذا المقال؟

بل هو مقال كل يوم وكل عمر وكل مناسبة. ولكننا الآن، في النهضة، في هذا الشهر الطويل، مُحْرِمون بأكفاننا وحقيقتنا وبكامل مسؤوليتنا الأدبية والمعنوية والدستورية، لكي ننتخب مندوبينا في المديريات، ثم في المنفذيات، وإلى المجلس القومي. إنها أروع فترة من الأربع سنوات الآتية، وحصيلة مرارات وحلاوات السنوات الأربع المنقضية. المسؤولية العظمى هي التغلب على الرواسب المتحجرة في قاع النفوس ـ والنفس أمارة بالسوء ـ، وهي في الاختلاء الحميم بسر النهضة التي **طحنت ألف نقيصة وألغت ألف نقيضة** حتى جعلتنا كما نحن وحتى تظلّ تجوّدنا، فرداً وجماعة، لعلنا نبلغ قنة الوعي القومي والوجدان القومي المريد الخير العام.

أنا إذا ما سئلت، بحكم مسؤوليتي التي ما فارقتني يوماً في العمل الثقافي والإعلامي والعسكري، ما هو أرقى ما علّمنا الزعيم وأرشدنا إليه، لأجبت بغير تردد أنه أرادنا أن نبلغ رتبة الوجدان القومي المريد الخير العام أي أن نصمد مصلحة سورية العربية فوق كل مصلحة، في أعلى عِلّيين.

ولا يقولن أحد إن ذلك مستحيل!! إنّ تحوّل كل قومي اجتماعي إلى ما أصبحه اليوم من حس بالحرية والواجب والنظام والقوة لهو شأن مستحيلٌ

تحقَّقَ. وإن صمودنا معصومين أفراداً ومؤسسات أمام عهر الطائفية والمذهبية والإقطاع، والفساد والتزلم والبرطيل، والمناصب والعمالة والخيانة، والتدمير والتشبيح والتذبيح، لهو شأن مستحيل حققناه بفضل العقيدة الصحيحة.

وإن صمود صفوفنا منذ سبعين عاماً أمام مليون عهر وعاهر ومليون خيانة وخائن، ومليون نفاق ومنافق، في السجون والمعتقلات والمجتمع الفاسد، لهو شأن مستحيل ومقدس. فلا يجوز لمستحقي هذه الأرصدة المستحيلة ولا لوارثيها ولا لصحابة الشهداء، أن يتلكأوا عن الواجب ولا عن الاختيار السليم ولا عن توسيد المؤهلين جميعاً المواقعَ التي تستحق النهضة أن تراهم فيها.

كلكم خير وجيدون. وكلهم خير وجيدون. ولن تعدم النهضة من ميامينها. ولكل جيل حمايته، وأنتم النطقاء إذ تنتخبون أحراراً منكم لحمل ما تأباه الجبال.

نهضتكم هي فخر هذه الأمة. وأنتم جنودها ورجالها وفرسان ملكوتها. ولا يجوز أن يخطىء الأحرار. لقد كلّفتنا حرياتُنا أعمارَنا جميعاً، وكلفتنا أحمالاً لم يحملها سوانا، فلا تخذلوا النهضة ولا الأمة!!

* * *

الدمقراطية النهضوية، ولو كره لويس الرابع عشر وستالين وجنكيزخان، هي إعلام حرّ داخلي في المؤسسة وكذلك في البلاد. فإذا كنا ندّعي أن الحزب أو الحركة أو النهضة مؤسسة دمقراطية فالدمقراطية لا تصاحب الأمية ولا الديجورية ولا التعمية ولا الاستبداد. الناخب الحر هو حر أولاً في سماع ما يريد وفي مناقشة ما يريد وفي اختيار من يشير به عقلُه ووجدانه. وليس من عقل حرّ سوى بالمعرفة والنور وبالشورى والحوار. الناخب النهضوي لا يقبل أن يعتَّم على عقله وقلبه، ولا أن يضلَّل بالصمت والرقابة الحميدية ولا بإطفاء أنوار التبشير والاجتهاد والتأويل.

الدمقراطية تعددية في البلاد، وفي الحزب وفي الجامعة وفي الأعلام وفي الحوار. والنظام والانضباط لا يصحّان ولا يتعافيان إلا بالحرية وبالثقافة

المجاهدة وبتعميم المعرفة وبالنقد وبنقد النقد وبتوسيع كوّة النور وشرّاقة الزنزانة وأبواب السجن. **فإذا كنا نجاهد حتى بثورة قومية أولى وبثورة قومية ثانية، وبعشر ثورات أخر إذا اقتدرنا وارتقينا إلى سوية الثورة الظافرة**، فليس يعقل أن نطمّش قواعدَنا دون القراءة والسماع، والحوار والمحاضرة الحرة. أما التعمية والعمى ونشر الدياجير بالصمت والمنع وبالتجهيل وبالتمويه **فليست تقيم نهضة ولا ثورة ثالثة ولا نصراً في انتخاب حر ولا تقدماً متراً واحداً نحو تجويد الفكر والعمل. بل تظل الحيات تخلّف الأفاعي.**

الدمقراطية النهضوية هي نُخَبٌ مصدرٌ للسلطة، وهي شعبٌ مصدر للشرعية. وهي إنسان/ مجتمع راشد لا قاصر، عارف لا جاهل، ومطّلع لا محجور عليه في كرنتينا دائمة باسم وصاية وحماية. العضو النهضوي هو نطفة إنسان مجتمع ونطفة مجتمع تقوّيه المعرفة. ولذلك أنشئت عمدة للثقافة وندوة للثقافة وندوات إذاعية وثقافية.

بل هو الحزب كلّه مدرسة تضيئها عمدة الثقافة بأنوار الحرية والواجب والنظام والقوة.

الحزب السوري القومي الاجتماعي عمدة الثقافة

حول الوحدة المتداولة

الموضوع: تقرير سياسي ثقافي حول الوحدة المتداولة.

قُدّم إلى مجلس العمد في اجتماع يوم الأربعاء في 17 حزيران 1998.

حول شروط الوحدة بين الحزب والطوارىء

1 ـ الاعتراف بأن الشرعية العليا المتواصلة هي شرعية المجلس الأعلى الذي يرأسه حالياً الأمين خليل دياب.

2 ـ التوحّد المقترح بين الحزب والطوارىء **هو متكافىء دستورياً** بقصد تسهيل عملية التفاوض.

3 ـ الاندماج المقترح والمرجوّ هو ذو عقيدة واحدة أصلية وعليها تمّ التعاقد لنصر ما نقول به وضدّ أعداء الأمة والعروبة.

4 ـ يعني البند الثالث أنه لا بدّ من التصريح التام ومن التكرار الضروري **أن الوحدة المرجوّة هي أولاً عقدية وثانياً مناقبية وثالثاً تتوخى المصلحة القومية العليا** التي ما اختلف إثنان مرة على أنها لا تتّفق ولا تلتقي ولا يمكن أن تنسجم مع وجود إسرائيل، ومع اغتصاب فلسطين، وما يطمح إليه اليهود بعد فلسطين، ولا مع أيّ شعوبية في العالم العربي، ولا مع استعمار غريب يحتلّ أو يغتصب أرضنا أو مواردنا أو كرامتنا التاريخية أو الراهنة أو المستقبلية.

5 ـ فأهل العقيدة القومية الاجتماعية السورية العربية لا يمكن أن يصالحوا

إسرائيل، ولا أن يسالموا الصهيونية، ولا أن يتعاهدوا مع اليهود طالما هم يطمعون بأرضنا وبطرد شعبنا وبإلغاء وجودنا التاريخي والراهن والآتي، وينكرون المسيحية والإسلام أي الصورتَين التامّتَين للأيمان الواحد الذي هو ركن أساسي في وجودنا الحضاري والثقافي والسياسي.

6 ـ مطلق وحدة أو اندماج تشترط أن تُعتمد الدمقراطية سلفاً في تنفيذ المرسوم الدستوري الرقم 4، وفي إكمال سياقه بحسب مرسوم الطوارىء في العام 1937، كي تتكامل عملية الانتخاب الدمقراطي حتى المجلس القومي كأعلى سلطة تشريعية في الحزب. ومنه انتخاباً، تنبثق السلطات الإدارية والقضائية وما يلحقهما من ضرورات تنفيذية، كالمجلس الأعلى المفوض، ورئاسة الحزب، ومجلس العمد، والمكاتب المستقلة المسؤولة أمام المجلس القومي مباشرة بسبب عملانية وظائفها وضرورة حمايتها من تعسّف السلطة التنفيذية.

7 ـ يظلّ الحزب السوري القومي الاجتماعي مدرسة تلقّن الحرية والواجب والنظام والقوة، وتبشّر وتسعى لتحقيق المجتمع المدني العلماني على أساس أنّ العقل هو شرعنا الأعلى في المعتقد والمجتمع والدولة، مهما طال الزمان، أو قامت صعوبات مرتقبة من أهل الفكر الديني والمذهبي والطوائفي والإقطاعي والطبقي والانعزالي، في مطلق كيان سوري راهن أم في العالم العربي جميعاً.

8 ـ إن الحزب السوري القومي الاجتماعي، وهو حزب سوري عربي، لمترسّلٌ لنشر مداميك **وقيم العروبة الحقيقية** التي طالما قال بها النصّ العقدي الواضح. ويسعى الحزب، سعيَه لنشر قيم النهضة، لتوضيح تفاصيل العروبة الحقيقية، **أي العروبة القومية الاجتماعية المدنية العلمانية**، في سورية وفي العالم العربي معاً لأن الارتباط الثقافي الموحَّد هو ارتباط قومي من الطراز الأول.

9 ـ الوحدة الحزبية المرتجاة لا تتمّ قبل محاكمة عادلة للذين يتّهمهم الادعاء القومي العام، وللذين يشير إليهم الاتهام في الرأي القومي العام، وللذين

سبق أن صدر بحقهم تعميم أو صادرة باتّهام صريح من قبل المؤسسة الحزبية. وإلاّ سقط معنى المؤسسة والشرعية والقضاء والتأديب.

وليس يستقيم عفوٌ إذا صدر عن سلطة أدنى من السلطة التي أصدرت الاتهام.

10 ـ إن موضوع الدمج أو الوحدة أو حتى الاستلحاق هو شأن مجموع الحزب: أي الإدارةِ العليا + الإدارات الوسيطة + الوحداتِ الخلايا كالمديرية وما يعادلها. وليس يستقيم توحّد بغير استفتاء عام عادل وصادق. **وإلاّ اقتصرت العملية الجارية التوحيدية على التحاق ذوي الرأي أو المصلحة بالالتحاق، وعلى تبعثر الرافضين ـ وربما كانوا الأكثرين ـ، وعلى قيام تنظيمات رافضة** برغم التهديد المبطّن المُقال فوقياً أو المنتشر قصداً، بأنّ السلطات لن تسمح بقيام تنظيمات خارجة عن «**التوحيد الرسمي**»!! غيرة السلطات هذه تحيّر!!.

11 ـ رأيتُ أن أسجّل هذه الكلمة رسمياً في محضر الجلسة (يوم الأربعاء 17 حزيران 1998) لأنها قد تكون من أواخر مداخلاتنا الحرة في المؤسسة المنزلقة بتسرّع نحو استبداد مرفوض.

فالذي أخشاه هو أن تكون هذه الولادة القيصرية تدبيراً فوقياً يستبق حصول **صلح متقارب أو سلم حثيث** يتدبّر بصمت وسط ضجيج البلديات والخلافات التمويهية ومظاهر الدمقراطية النزيهة. (راجعوا تصريح رئيس الوزارة أمس في واشنطن).

12 ـ وإلا... ومع التكرار... لم أفهم ولم أستوعب **لماذا هذا الإصرار على إلغائنا المستعجل**، وليس بعلمي أن وجودنا المادي يعيق ظاهراً أيّ تدبير سلطوي في الدولة أو في المحافل الدولية، **اللّهم سوى إلغاء كل صوت نشاز في العملية الاستسلامية المزمعة أن تُعقَد.**

13 ـ وثمة تنبيه يدفعني الواجب أن أسجّله خطيّاً، لمعرفتكم الفردية وللمحضر **وللتوثيق**. قوام التنبيه هو إمكانية فخّ تكتيّ في خطة ستراتيجية لدى السوى. فبعد أن انتهت الانتخابات النيابية أمس الأقرب، والانتخابات البلدية

منذ أيام، قد تقدّم الدولةُ، وأبعدُ من الدولة اللبنانية، على استرضاء المسيحية السياسية، وعلى تقديم أضاحٍ موازية للقوات اللبنانية «المحلولة» «المسموحة»، ولسمير جعجع الذي لم يعدْ متَّهَماً ولا مجرماً **بل ضحية حسينية** يلحق الظلمُ بحقّه جميعَ المسيحيين المحبطين والمحرومين في جمهورية الطائف. وليس تبييض الكتائب بخفيّ، ولا تعويم جعجع والقوات بسرّ. وليس إمكانية محاكمة أخرى وأخرى بحسب ملفّ بشير الجميل ومايا الجميل وتفجيرات السيارات والجرائم الكبرى، ليست بقليلة ولا مستبعدة. وسوف يكون **«الحزب الرسمي» أي الطوارىء** هدفاً لما ذكرتُ أعلاه، وخاصة لتفجير كنيسة الزوق الذي بسببه حُلّت القوات ولكن لم يحاكم عليه سمير جعجع، لأن الاتهام الحقيقي مصوّب لا على سمير جعجع وإنما على سواه. والمحافل التي تدّعي معرفة الأسرار تقول إسماً آخر أو إسمين سيوقَّفان بالتهمة ويُحَلّ حزبهما مع التوقيف، كما حصل مع جعجع والقوات. فإذا كان أحد الطوارىء متهماً بالكنيسة وبسواها أيضاً وحُلّ حزبه فلا يجوز أن يبقى ثمة شقفة مستقلة تحمل الاسم الرسمي، **لأن المطلوب رأس الحزب واسمه أكثر من أفراد متهمين. إذن لا يبقينّ جماعة غير متهمة بالجريمة مباشرة أيْ نحن حزب المجلس الأعلى، وتظلّ تحمل الاسم المرفوض. الحزب والاسم وزعيمه وعقيدته ومثقفوه، هم المطلوب الأول.**

ولن يكون من السهل ضمُّنا إلى الاتهام طالما نحن على خصومة أو عداء أو عدم توحّد مع الفرع المتّهم ومع المتهمين الذي صاروا يعرفون أكثر مما ينبغي فيجب إلغاؤهم ومساواتهم في الاتهام والعفو مع سمير جعجع في مسرحية الوفاق الوطني.

14 ـ أختتم بأن أذكّر أن مقالاتي في نداء الوطن قد سبّبت إزعاجاً كالذي حصل في الماضي أيام كتابتي في الديار. **موضوع الانزعاج هو سلبية المقالات نحو إسرائيل،** والنقد الجذري الذي أوجّهه بحكم العقيدة نحو التوراة واليهود والتلمود والصهيونية وإسرائيل. حاملو النقد والتنبيه يقولون إنهم لا يدْعونني إلى مدح إسرائيل بل إلى عدم ذكرها خيراً ولا شراً، لأن المغتصبين الصهاينة

متخوفون من تاريخية العقيدة وشرعيتها الممتدة إلى 6000 سنة، ويقولون إنها النقيض الأخطر حالياً وخميرة النفي مستقبلاً للشرعية الإسرائيلية وستكون كاحل آشيل في شرعية الدولة اليهودية. ولا تزال نداء الوطن صامدة ولا نعرف حتى متى.

واسلموا للحق ولموقف العزّ

عميد الثقافة والفنون الجميلة
الأمين شوقي خيرالله
17 حزيران 1998

حول الوحدة الحزبية
الحزب السوري القومي الاجتماعي

تقرير من عمدة الثقافة والفنون الجميلة
إلى مجلس العمد الموقّر

الموضوع: أي وحدة حزبية يستوجبها الوضع الراهن؟

الحزب كله، في محصّل التاريخ، أداةٌ للنهضة. وأحزاب الأمة جميعاً أغراض للتاريخ أي للبرهة الراهنة وكذلك للمستقبل المنظور. والأمة السورية العربية وشقيقاتها العربيات جميعاً صُوَر فوق قاسم مشترك واحد هو العروبة الحقيقية الواقعية، أي المجتمعية المدنية العلمانية غيرُ الغيبية ولا الغبية ولا الجاهلية. وقوام ذلك جميعاً معتقد راسخ متمكن أن العقل هو شرعنا الأعلى وليس من شرع سواه.

المستقبل المنبثق من زماننا هذا هو صراع بارد وساخن، ثقافيّ صناعيّ ماليّ بشريّ وجوديّ، ضد إسرائيل. ومهما كانت العروبة جميعاً في الميدان أم في حالة حرب ضد إسرائيل فيبقى أن الأمة السورية العربية هي المنازلة المرابطة في الميدان الحي مهما حشدت مصر على جبهة ثانية أو تحركت السعودية وتوابعها تأييداً ومؤازرة.

إذاً، يظلّ الوضع السوري هو همّنا لأننا، في خضمّه الواحد، جزء ستراتيجيّ أصلي، وجبهة متقدمة ومجابهة طليعية ومؤازرة ستراتيجية ميدانية كيفما تأتّى الوضع السياسي والإداري ما بين لبنان والشام أو بين الشام والعراق، أو في الأسيرتين الرهينتين الأردن وفلسطين، أو في الكويت.

محور الصراع إذن هو، سورية الوسطي أولاً، والدعم العراقي ثانياً حتى المعركة المندمجة والمتشاركة، وثالثاً لا ندري ماذا ستفعل الكويت والامتداد

المنذري في الخليج، أو ماذا ستسمح به أميركا لمحمياتها الخليجية والسعودية. ولن أتوسّع إلى الارتجاجات التركية والإيرانية لأن ذلك يضيّع الموضوع الذي يتقصّده هذا التقرير، وفي هذا الاجتماع.

فإذا كان المحور هو سورية الوسطى الغربية، ومعهما العراق بقدر ما يكون قد حلحل قيوده الدولية، **فصلب الصراع إذن هو موقف لبنان مع الشام حليفاً ستراتيجياً وتوأماً قومياً أم هو ذيل يدور في فلك إسرائيل، مستذيبة هويته في استهلاكية الترف والاسترقاق المالي والثقافي.**

نحن، نهضة وحزباً وحركة وعقيدة، طليعة الصراع السوري المشرقي العربي المتضامن ضد الاسترقاق الإسرائيلي الأميركي. ولكن هذه الطليعة التامة المواصفات الأكادمية تفتقر إلى مقوماتها الشعبية والمالية والتكتية والاستراتيجية كي تقوم بالدور المتوخّى. وهذا التكامل لا يكون ولا يصير سوى بتوأمية عملانية مع الشام، في انتظار العراق أولاً، ومن نقتدر على جذبه إلى ميدان المواجهة باردةً كانت أم حاميةً حتى الحرب التي لا تملك، إذا انفجرت، إلا أن تكون أقرب إلى الكلانية. وليس ما يضمن ألاّ تبلغ أقصى مداها إذا جُرحت إسرائيل بليغاً أم هدّد مصيرها تطوّر مفاجىء إقليمي أو دولي.

والحرب هي بنت الاستعداد الأتمّ، وليس يُرتجل موقف عن هوس أو عن حماسة ولا بإغراء آخر. الاستعداد يستوجب سنوات من وحدة العمل والموقف والفقه والتنسيق الأدقّ. وليس يستقيم بند من هذه الشروط بغير وحدة قومية في أدقّ الصعد ولو لم يؤدِّ الأمر ـ لأسباب متعددة ـ إلى الوحدة السياسية التامة بطرق دمقراطية حقيقية غير متوفرة الآن ولا في المستقبل الأقرب!!

الرتبة القصوى التي ينبغي ـ في رأيي واقتراحي ـ أن نبلغها **هي شعبية وعقدية واقتصادية،** ما سوى التوحدّ السياسي الذي يحول دونه تدابير سايكس وبيكو وذهنية الانتداب، والانعزال، وسياسة إسرائيل وأميركا.

الرتبة القصوى التي لا يملك أحد أن يحول دونها **هي وحدة الحزبين أو الأحزاب الثلاثة القومية الاجتماعية مع حزب البعث السوري،** ولعلّ أن ينضم **كذلك حزب البعث العراقي، وربما فصائل أخرى لا ضرورة لتعدادها.** الركنان

الأساسيان هما الحزب السوري القومي الاجتماعي، بمن حضر منه، وحزب البعث السوري، في لبنان والشام أولاً وأينما امتدّ لهما شِعَبٌ وشرايين. إذاك قد ينضمّ «الطواريء» وربما الفرع الثالث (أبو حيدر)، ويكون لألغاء التراث الراهن معنى قوميّ ودوليّ وعربيّ. وقد يكون لهذه التجربة إذا نجحت امتداد وأثر في العالم العربي جميعاً الذي لا ينكر أحدنا أن تغيير مواقف بعضه من الصراع العربي الإسرائيلي لن يكون سوى بضغط شعبي نخبوي داخل كياناتهم ودولهم وممالكهم بسبب الطليعية المشرقية.

نحن على عتبة ابتدال لا ريب فيه، في لبنان والشام، وربما في الأردن بسبب مرض ملكها، وفي فلسطين بسبب ما يعترض ياسر عرفات من مرض ومن مصاعب أخر. فلنأخذ هذه المبادرة المصيرية بدلاً من التلهي بالمحاولة التوحيدية العقيمة **التي أخشى أن يكون أول نتائجها زلزلة ستصيب حزبنا نحن، وستفقد النهضة والحركة أفضل عناصرها وقيمها هدراً وتباعداً وانتباذاً خلّباً وبغير طائل. ومن يعشْ يَرَ.**

واسلموا معافين للحق والجهاد

عميد الثقافة
الأمين شوقي خيرالله
بيروت 22 تموز 1998

تراكم أم توحد؟

خضّة الوحدة المتجددة ستكون، على المدى الطويل، غربالاً يصفو فوقه نخبة نوعية ويترسّب تحته أعداد أخرى. وسيبقى، مهما طنطنت أسماء وألقاب، أن الحقيقة، في الجناحين والطرفين والحزبين، هي المحُكَمَة وأن الأشباه هم رغوة عابرة.

بعد الغربلة الأكيدة سيبقى الحزبيون وكأنهم الذين أسلموا، والنهضويون وكأنهم الذين آمنوا. وسيبقى على ضفة أولى العقديون الثوريون الإصلاحيون اللبنانيون الأقحاح والأحرار والسوريون والمشرقيون العرب منذ مطلع الأزمنة، وأعداء إسرائيل وكلّ استعمار. وسيبقى على الضفة الأخرى كومة بجانب كومة ونقائض للقيم التي اتَّصَفَ بها المذكورون أعلاه. ولن ينتفع مشروعُ الوحدة لو خضنا في الأسماء والألقاب. ولكنها زلزلة عامة لن تبقي طرفاً ثالثاً. الفئة الثالثة التي ستهرّ كما ورق الخريف وكما الزرازير، لن يكونوا في العير ولا في النفير بل سيتلاشون كالدخان إزاء عاصفة الموقف والعزم.

أيخال بعض رفقائنا أن الغربلة لعنة أو نكبة؟ بل هي ساعة الحقيقة التي ستلغي أغنية إبريق الزيت، وسوف تقضي على الأطروحة المستحيلة التي تتأكل الكبود والقلوب. وإذاك سيلتحق كل عضو عامل بأشباهه، فمن حجّ لغاية ومنفعة سيلتحق بالغايات وبالمنافع، ومن كان يرجو عملاً نهضوياً فالميدان مرحى، والحصاد كثير وقد أينع، والمناجل تحت الطلب. وسيعلم الناس، وهم الغاية والقصد، أن الحقيقة تتعدّى الأسماء والمناصب مهما تورّمت،

وستغلب الخلافات مهما عصت أو أزمنت. الحقيقة النهضوية وحدها تدهّر. ولن تعدو الأسماء الخلّب أن تتحوّل إلى أشباح وأطياف كأنها لم تكن، سنّة الخلق والصراع والبقاء.

وسيظلّ أن أبناء الحياة والنور قد اجترحوا، بل صاغت النهضة منهم، حقيقةً عجزَ عنها هلامُ الأمة ولا أمة، وشبهُ العروبة، فتأمكنت الحقيقةُ فقط في تلاميذ النهضة، مجانين سورية العربية هؤلاء، وطوباويي العروبة الحقيقية العقلانية والخالية من الأهام ومن الغيب والغباء.

لقد صاغت النهضة فيهم عقلية أخلاقية، وذهنية منطقية، وحسّاً مجتمعياً قومياً، أنقى من ضوء القمر، وولاءً فولذه صراع متواصل ضدّ كل تخلف وذلّ واستكبار. فنحن هؤلاء نحن وجدان الشعب والعوام، والمثقفين والصادقين مهما اختلفوا على أمم عربية أو أمة عربية واحدة.

وسواء أكانت النهضة بجناحين أم بثلاثة أم بريش منتشر في أقاصي الأرض فيبقى أيضاً أنّ النفير يظلّ يوقظ الحنين الذي لا يُقهر والذي لم يغُلب قطّ برغم ما أمعن العدوّ والجهل والنكبات فينا من تفرقة وتمزيق.

وسيبقى أن النهضويين الحقيقيين يريدون الوحدة. ويتألمون إذا ظلّت الفتنة منتصرة.

وسيبقى أنه ما تواقح أحد ولا جدّف علناً ولا كفر جهراً فرفض الوحدة في المطلق. أما الخلاف فعلى نوعية الوحدة المرتجاة.

ويتسجّل، مهما كابر المتخمون، أنه ليس من راض واحد على حالة الافتراق مهما تباين التفسير الدستوري أو التأويل العقدي. إن الذهنية التوحيدية لأقوى من التجزيء والتبعيض، وسيظل الموسم مفتوحاً طالما أن المثقفين الحقيقيين ـ بعكس أشباه المثقفين ـ هم على صفاء ذهن ووجدان وبعيدون بعداً عن مماحكات المراتب العليا، ويتأبطون خيراً وحقاً ومحبة كي يزرعوا نصبة الوحدة والمنعة أينما حطّوا الرحال والتقوا ثلّة من أبناء النور.

وسيبقى، مهما لغّم الدساسون، أنّ قوى الجحيم لن تقوى على الملكوت

القومي الاجتماعي، ولا على حسّ التوحيد النهضوي الكامن في نفوس تؤمن أنها مؤهلة لكل علم وفنّ ولكل فلسفة ولكل تطوّر يسابق الدهر والأزمنة. يقين هؤلاء النخبة أنهم هم الفرسان النبلاء، وأنهم الطلائع الرماح طوال 6000 سنة و154 جيلاً حيث التعبوا أقدارهم وحقيقتهم في إطار الأمة الواحدة السورية العربية وفي رحاب العروبة الحضارية، وعبرهما في رحاب المعمورة وفي مجاهيل البدائيين.

هؤلاء المثقفون، برغم تشاقّ القيادات، هم مستودع الحكمة والنعمة وفصل الخطاب في مواضيع وحقائق ليس يطمرها طمى الثرثرة ولا يغمرها كلمات ضَحْلى ولا ينكرها عاقل. ولسوف يثبت بعد انقشاع الغمّة والغمام أن الدجاجلة ليسوا هم النطقاء وليسوا هم حماة الحقيقة والديار. سرّ النهضة يقينها أنه لا يصحّ إلا الصحيح.

لذلك طالما انتقدونا لأننا ننشر الحقائق ولو مُرّة كالعلقم على جميع من يشاطروننا الهمّ والمصير في سوريانا أولاً، ومن المحيط إلى المحيط، لأننا وإياهم شركاء في الترسّل والواجب وفي الإشعاع وفي الهموم، ولأنه سوف يصيبنا ما أصابهم، وكذلك همو. فلا الثقافة المتسكّعة والجبانة بواقية إزاء الغزوة الإسرائيلية، ولا الثقافة الراكدة بنافعة لإيقاظ شعبنا المسحوق تحت طبقات الجهل والخوف والكفر الديني والعجمة وتعسّف الطواغيت، والاستعمار الدولي.

ولذلك نَحَوْنا في النهضة، منذ أن اشتدّ ساعدها وسواعدنا، نحو الدمقراطية العددية المشاركة، ونحو الصراع الفكري في الداخل والخارج، ونحو الحرية الثقافية الملتزمة بحقائق النهضة ونحو العقيدة المتعاقدة مع المناقب والفضائل المزروعة كمعالم منذ مطالع حضارتنا المسدسّة الآلاف. وهكذا فقط نكون أقوياء في الصراع المحتّم والمرتقب.

ونَحَونا إلى انتخاب سلطة تشريعية بالأكثرية المنظمة والواعية، وإلى مركزية السلطة التنفيذية العليا، وإلى فسحة عمل للسلطات التنفيذية الوسطى، وإلى تسلسلية وقواعد وأصول لم تقم حضارة بدونها.

ونحن ضدّ امتيازات الأمانة بالتعيين الذاتي المجترّ والمتكرر، حتى أصبحت طبقية تشابه كل طبقية كهنوتية مقفلة عرفتها المدنيات المنحطّة. فليس كالدمقراطية المشاركة غربالاً ودواء.

ونحن لا نجهل ولا نتغاضى عن بواكير التناقض - حتى الصراع - ما بين الثورة والدولة، وما بين معارضة ناطقة وبناءة وبين موالاة صامتة مكمّمة ومتكتمة.

ونحن لا نتعامى ولا نتغاضى عن أن كل تقدم ثوري في التاريخ كان صراعاً ضد رجال الدين المسيّسين وضد السياسيين الطوائفيين والعرقيين والطبقيين. وليس من النهضة في شيء أولئك المتناسون أننا ثورة العقل ضدّ النقل، وأننا أعداء أزلية الحرف، وأننا أحباء الكلمة الحية المتجوّدة وطليعة الزمان المتحرك.

وليس يغرب عن بالنا قط **أننا نفير الاستنهاض في النهضة ذاتاً**، كلما تكلّست الكمخة على مفاصلها وكلما تغلّبت العجمة والشعوبية على ضمائر العروبة المنهوكة تحت أثقال غزوة مستعمر أو زحف الهردات الطورانية والفارسية والصهيونية.

ونحن، في موضوع الوحدة الحقيقية، مع القيم الخالدة التي جسّدتها الأيليةُ والمسيحية والإسلام وأساطيرُنا الأسبق التي رفعت الإنسان فوق الآلهة الخلّب والملائكة. ولذلك ندعو إلى نبش قانون الطوارىء في الحزب في العام 1937، وقانون إنشاء القضاء العلني والمحاكم الحزبية، اللذين أصدرهما الزعيم خلال مرحلة التأسيس، على أنهما مدماكان من مداميك الدولة القومية الناشئة. وقصده ألا تتحوّل الإدارة إلى قضاء سرّي متعسّف. إذنْ ينعدم معنى النهضة، ويتفكفك الحزب.

ونحن، آل الثقافة المتنوّرة، مجاهدون بغير ملل، ومنذ عقود، لتصحيح انبثاق السلطة والشرعية من الصفوف المؤمنة، ولتفعيل المنفذية ومجلس المنفذين، والمديرية ومجلس المديرين، والمجلس القومي المؤلف من مندوبي القاعدة المنتخبين. ومن هذا المجلس تنبثق كل سلطة.

وثمة ما قد نسيت.

ولكن لما راحت الآراء تنشر في وسائل الإعلام فقد وجب علينا أن نُعلم الجميع، قوميين وغير قوميين، بحقائق النهضة، وبثوابت الدستور المحكمات، وبثوابت القيم التي انبثق منها اليقين الأعلى بأمتنا السورية العربية، وبالإمكانية الحقيقية الكامنة، قيد التفعيل، في اتحاد الأمم العربية جميعاً سدّاً ضدّ الاستعمار.

وإنه ليتوجب علينا، إذا ظلّ التذبذب المستكبر يلتعب بمصائر التوحيد وبالنهضة، وبضرورة التضامن السوري اللبناني، أن نفكر عملانياً باستنفار مجلسنا القومي ومجلس المنفذين ومجلس المديرين كهيئة طوارىء عامة مسؤولة أدبياً عن نصر التزامنا المصيري المساوي لوجدونا، وعن مسألة توحيد الحزب الطارئة. وقد نعمد إلى جمع المجلسين القوميين في الجناحين لكي يتوّجا بمهابة وضعهما الأدبي، العمليةَ التوحيدية التي يشوهها استكبار واستلحاق معاً. ففي ساعات المصير الحاقة والحاشرة يحمل العلمَ أشجعُ الجنود. وإن ذلكم لأحد حلولٍ كلها مُرّة مرارة العلقم، ولكن يبدو أن العلقم أخو الاستشهاد: ولا طاعة لأحد في عصيان النهضة.

وحدة الأصفار

ما نفع الأمة إذا ما اجتمع صفر إلى أصفار؟

الموضوع مقدم بمثابة التأسيس. ولا يحلّ فيه توهم ولا بهورة، ولا استعلاء ولا دونيّة، ولا استلحاق غبي ولا إلغاء مستحيل.

إنه حوار بين النوع والكم، بين تقشف وبحبوحة، بين توهم اكتساح يقابله صمود مدمن على العزّ.

إنها لوحدة اتحادية تحت شعار النهضة وقيم النهضة. كي لا يعلو شيء على حقيقة الأمة السورية العربية ولا على مصلحتها، في إحدى أخطر الأزمات التي عرفها تاريخنا. وإننا لنعرف علامات الأزمنة العجاف ونقرأها ونتجند لها بغير خوف ولا مذلة. وليس يحمل النهضةَ وقيمها ذليلٌ ولا مستَرَقٌّ ولا قابل بالجور. أنت نهضوي بقدر ما أنك مثقف حقيقي، ومتدرب ومسلح، ومجاهد في الميدان كما في القدموسية العلمية. أنت نهضوي بقدر ما أنك وعيت واستوعبت وأدركت مخاطر ترسلك، ومع ذلك التزمت ولا تزال ملتزماً بحسب النصوص الظاهرة والباطنة، وبحسب قوانين الشرف، وقواعد الإدارة الدمقراطية المنبثقة من اختيار القاعدة الحرة.

هؤلاء هم مصدر الشرعية منذ مضيّ الزعيم إلى خلوده. وليس بقدرة أحد أن يغتصب هذه الشرعية الوحداء ولا أن يدّعيها.

النهضة وشرعيتها توأمان ولا تنفصلان وإلا تعثّرتا حتى العدم. والنهضة الحقيقية لا تخفى على المثقف الحصيف ولا على المؤمن المتوقد ولا على أولي الألباب. فمنا من آمن بالنهضة بالعقل والإدراك. ومنا من قاده إليها

وجدانه النقي التقي، ومنا من انجذب إليها بالمناقب وبمهزة البطولة. والعروة الوثقى والجامعة هي ولاء لسورية العربية، وللعروبة الحقيقية الواقعية. وهي تحسس فردي وجماعي بسؤدد الالتزام وبنبل التبدل النوعي الذي طهّرنا. وهي شرف تصدٍّ لإسرائيل ولليهوهية وللصهيونية. وهي فخر يملأ الصدور بأننا من نهضة تقاوم مظالم المجتمع ومفاسد الأخلاق وكل جور وتعسف، ومطلق عدوان على الأمة والوطن.

وليس يقيم هذه المناقب والمكارم سوى وحدة الشرعية العليا التي لا يختلف عاقلان صادقان على من يتوشحها حقاً.

ولا يتوهمن متوهم أن النهضة والشرعية تنفصلان لحظة عن مناقبهما أو عن نص العقيدة أو عن روحها القدوس، أو عن شقّي غاية الحزب، أو عن العقل.

كذلك لا يتوهمن أحد أنه قادر على تحويل الحزب إلى غيتو للعقيدة الحرة أو إلى منخسة ببغاوات. المنطق السليم وروح التاريخ يحتمان علينا أن نصدع خمس مرات في اليوم وطوال الزمان:

* بأن سورية عربية منذ 6000 سنة،

* وأن سورية هي بكر العروبة الحقيقية،

* وأن التعريب المتواصل والتشبث بعروبة واقعية ليست بغيبية ولا رومنسية ولا غبية، هما ركن أصلي في مقاومة الشعوبية والعجمة المحيطة بنا زماناً ومكاناً،

* **وأن القول بأن سورية هي وجدان العروبة وعقلها وسيفها وترسها ليس** يكفي، بل يتحتم أن يترجَم القول صدقاً في الإدراك وفي الاستنتاج وفي التوجه الثقافي والإعلامي معاً، وأن يصبح هذا القول أساساً لتبشير المخدوعين والمضللين في متاهات رياء العدو والاستعمار والعجمة الثقافية.

وإذاك يدرك جاهل وعالم، وبصير وأعمى، أن العروبة هي عروبة اللسان والقلب، وأنها مصهر حقيقي لتوحيد الوطن ولتوحيد التاريخ الذي شلّعه علينا

مستشرقو المخابرات والجهال التابعون لهم، وحتى ببغاواتُنا ذاتاً في صميم صفوفنا. هؤلاء الجهال والمخدوعون هم خميرة التطبيع الذي تحلم به إسرائيل، وتقنع أسيادَها بسهولة فرضه علينا عبر تسللها إلى فئات الغربان الذين يقلدون الحجل. أولئك هم عبيد العبيد.

وما علاقة ذلك كلّه بمشاريع التوحيد المتداولة والتي نحلم بأن يتمّ أحسنها؟؟ فسواء أكنت مطلعاً أم لا فالموقف الحصيف إياه والمنطقي والرؤية الحاقّة هنّ ما يقرّه الصدق والمصلحة القومية العليا. وليس بعلمنا أن أحداً من جنود القاعدة الحزبية يجهل الصواب أو قد يغرّه ما ليس ينفع الحزب والأمة معاً. وأنا على يقين أنه قد ولّى زمان التشدق والإثارة أو التحريض اللفظي الفجّ. إن مناضلي الصفّ القومي محصّنون دون خسارة حريات عقدية وحياتية استحقوها وافتدوها بالدم وبالأسر والتشرد وبالفقر والغربة والإعدام.

حُدَيّا الناس!! لقد دفعنا غالياً ثمن حرياتنا الدمقراطية والصراع الفكري، وثمن حق التعمق في شرعيتنا الغالية..

المحصّل: أنها متنزلة لا ريب منذ 1932، وقبل ذلك من وصية جميع أعلام الأمة مثل سرجون ونبوخذنصر وبابل واشور وحمورابي والرواقية والمعتزلة واليرموك والقادسية وصور وقرطاجة والفاطمية وجبيل ونهضة القرن التاسع عشر ومطلع العشرين. بلى هؤلاء جميعاً يقيّلون في وجداننا ويملأون العقل معرفة وقدوة، قبل سعادة ومعه وبعده. وسعادة أصلاً قد ابتعث هذه الصحوة فينا من قبر التاريخ وبرغم دياجير أسدلها الاستعمار واليهود على أبصارنا وبصائرنا طوال قرون سيطرة حرابهم ومؤامرتهم.

فليس يقلل من شرعيتنا العليا أَعداد ولا ترف. رسمالنا في مسيرتنا ثقافةٌ وحرية، وتأويل واجتهاد وصدق، ودمقراطيةُ مؤسسات ومؤتمراتٌ نابعة من القاعدة بانتخاب أكثري حر. وشعورنا الأعمق دوماً فأن الزعيم، في كل آن، راض عما نتطور إليه ولو متأخرين، وقد كان أراده لنا منذ البدء، ولكن أفاعي الفردوس عطلت ما عطلت. ويقيننا الآخر هو رضى الأوفياء الأصفياء الذين صاغوا روح الأمة، وبهم تبلورت نواميس تاريخنا الواحد ووطننا الواحد وأمتنا

التائقة دوماً إلى التوحد والتوسع. وإلى هؤلاء يلجأ وجداننا كلما ضاق صدرنا بأسئلة الدهر والحضارة، وكلما ضاق العقل عن اقتحام كوة نور مستعصية. إذاك يرفدنا الحجى بالتفسير والتأويل والتصويب.

هذه الجدلية هي نكهة تعاقدنا وحقيقتنا. وبها فقط نلج حوار وحدة أو اتحاد أو كنفدرالية نهضوية. ولذلك لن نحطّ الدنيّة ولن نتنازل عن مكتسبات هن رسمال قومي ووقف على الذريات.

وبعد، فما نفع الأمة إذا ما اجتمع صفر إلى أصفار؟؟ وما نفع الأمة إذا تكررت أخطاء الماضي في انقسام أو في توحيد خُلّب؟ وما نفع النهضة إذا جمعنا صالحاً بطالح كأننا نتوحّد والعربان المعاصرين في وحدة متفككة؟

نحن ندّعي أننا كجبل الصوان الذي لا يتفتت تحت المطر، بقدر ما أننا متمسكون بالحقيقة وبالشرعية.

النهضة والمعلف والنير

1 ـ توحّدنا وعيّدنا وكانت هيصة ظاهرة، ويا ليتها دافعٌ ورافعة لتجاوز الكمّ إلى البغية المرتجاة!! الأميز في هذه الطحشة العجب أنها، في وجدان القاعدة الفرحانة، لم تتلبّس صورة القبائل المتحالفة ولا ثرثرة وحدة وطنية مبهمة ولا طنيناً يسكر القطيع فيطيع. بل كان الجوهر النهضوي الفطري بادياً على قلوب أخجلها طويلاً خلاف معيب وأضناها عشق التضامن الحق.

عيّدنا بلى! وهيّصنا من صميم الفؤاد، وكان الناس سكارى وجد ولقاء. والجميع في نشوة التأكيد والرجاء أن النهضة لم تتلبّس في الغيبة القسرية مساوىء الهيشة والغاب والأمة الموؤودة.

2 ـ ولكن ماذا بعد؟

الحقيقة الأولى أن هذه الوحدة قد حصلت بين فرعين بسبب ضغط القاعدة المؤمنة الذين كانت نفسهم حزينة حتى الموت بسبب صراع لم يفهم أحدهما ولا كلاهما مرة لماذا كان التقاتل. أمس كانوا رفقة معتقد وسلاح ومتراس فاستفاقوا على البارودة زائغة عن هدفها وعن سمت عدو واحد أحد، وقد صُوّبت ذات اليمين والشمال على رفيق المديرية ورفيق المنفذية ورفيق الحزب. حربة الاقتحام تحوّلت إلى خنجر غدر في خاصرة الأمة المصلوبة، وصارت مواكب الشهادة غدراً طعنة في صدر النهضة. الألم الأدهى فأنّ سرّ الشهادة ارتجّ وتموخل وفسدت نواميسه وقواميسه. فماذا يبقى من النهضة؟

3 ـ ومع ذلك صمدت النهضة العنقاء برغم حزوبات جهولة ومؤامرات

صبّت كما الطوائف والمذاهب والشعوبية في المجرى اليهودي. أليس كثير من تاريخنا ملوّثاً بالانجرار في متاهات أعدائنا إذا ما زيّن الشيطان لبني الفتنة طريق الضلال؟ منذ 6000 عام، وقبل أن يسمّى يهوه باسمه هذا، كان الشرّ لنا بالمرصاد، وكان الخضر للشر بالمرصاد، وكان التنين عدوّنا ولا يزال.

هذه الملحمة المظفّرة هي التي ابتُعثَ سعادة للصدع بها في متاهات الأمة الغافلة. ولولا رسوخ النهضة في هذه الأعماق الدهرية لما صمدت هذه المرة وكل مرة في وجه أعاصير كان يهيجها طاغوت وتنين عند كل مفصل من مفاصل أزمنتنا العجاف.

الانقسام الأخير يصتف في هذه الخانة السوداء. ولكن النهضة ظلّت تستوعب دورها من فوق مساوىء الحزب ومساوىء القيادات. ولأن النهضة ملكوت متكامل وأقوى من مكائد الدهر ومن رقّ الكائنات فهي إذن تعصم الإنسان المجتمع، والمجتمع الأمة، والأمة العروبة، من أفخاخ التيه والضلال والشعوبية والعجمة. وعامود القبة في النهضة، وغلق القنطرة، يقينُها أنها مركّنة على نواميس التاريخ الحق وعلى أن الأزمنة العجاف تدول وأن الانبعاث سنّة وراثية فينا، فيوماً في القاع ويوماً على الصهوة وفي العرزال. وهكذا تظل النهضة ونخباتها في انسجام مع مقاصد التاريخ ومع الرسالة الملقاة على كواهلنا. ومن هذا الهدى نستقي نخوة وقوة ويرتوي مجتمعنا نوراً وعزماً.

4 ـ الزعيم صاغ **بدايات النهضة** بكلمات رجاء ويقين، وصاغ الخطاب الجديد، وتعهّد قلوباً وعقولاً صفيّة تعاهدت معه وتعاقدت، في الحضرة والغياب، وما انفكّت تتجدّد برغم الأحابيل والأضاليل. الوحدة أمس فإنما هي بداية نقاهة من داء أرادوه عضالاً فغلبته روح النهضة بفضل ما مسّ القلوبَ من حنين ومَا هزهز العقولَ من الحق وما وعت القاعدة من مهماتها التاريخية الآتية. **فليس باعتداء إذن ولا بانحراف من قبَلنا إذا ما حسبنا التوحّد دينونة للانقسام المعيب، وتحذيراً حصيفاً ضدّ مؤامرة قد تتكرر ضد الأمة وضد العروبة وضد النهضة. الاستعمار وإسرائيل ولفيفهما يعرفون أن العدوّ هو لبنان الحقيقي وسورية العربية والعروبة المتحدة وجود إسرائيل رهن بزوال العروبة.**

5 ـ فليس من حجة بعدُ للذين يدّعون أنهم لا يعرفون. الجهل خطأ لا ريب ولكن التجاهل خيانة. وإننا لنعرف أنهم يعرفون. ونعرف أن أعداءنا يهمدون دهراً ثم يظهرون. الحيّات نسل أفاع، والأفاعي نسل حيّات، والكفر ملّة منظمة وخدّاعون.

6 ـ عيّدنا. وهيّصنا. غير أنه ما من قومي عاقل وراشد وسليم الوجدان إلا يدرك أن سيئات الوحدة خير من الانقسام، وما من قومي مثقف إلا يتمنى أن تتجوّد الوحدة بالنقد وبالوعي وبالتدريب، وبالحرية وبالإنتاج الثقافي، وبالصراع الفكري وبالدمقراطية المشاركة سواء في النصوص والنفوس أم في الممارسة الخلقية وفي الأعراف والرفاقة.

كثيراً جداً ـ وهو قليل ـ كتبنا عما نتمنى من التوحيد. وليس يقلل نقدُنا من ولائنا ولا من الانضباط العادل، بل نعتبر ذلك جميعاً من أدوات إصلاح التشقّق وترميم التشلّق. وفي النهضة، ليس من سقف أدنى من السقف الأعلى. والسقف الأعلى ـ اليوم ـ فأن العضو المقسم المنضبط هو مصدر الشرعية الأوحد ومنبع السلطة الأوحد، عبر دمقراطية مشاركة هي أوضح شرح عن الدمقراطية في المطلق. وهذه المقولة تؤدي حتماً إلى رتبة العروبة السورية، أي العروبة الحقيقية والعملانية. ولن يتأتى ذلك بغير حرية فكرية قصوى، وبغير صراع فكري مفتوح ليس يبغضه سوى أعداء الفكر كمثل بغض الشر للخير، والكذب للصدق.

7 ـ حقيقة ثانية: إن تورّم جسم الحزب بالمؤلفة قلوبُهم وبالمتقرّبين إليه زلفى قد يزيد العديد الخام والخلّب والهشّ وقد يضاعف التصفيق المأجور والمخادع. ويؤرقنا أن هذا الضجيج لن يداوي تقلّصَ الروح المصارعة وليس يشفي من التطحيل الثقافي والعلمي والأدبي ولا من الضحالة العامة والبدائية. وهذه الحالة تقترن في الوجدان الحي **بجدلية المعلف والنير لأن** الترف المجاني يعقّم الجهاد ولأن الأمية تولد الجهل والتبعية.

8 ـ وحقيقة أخرى. النخبة المعاكسة يصدعون بما تأمرهم النهضة

ويتمنون لو أن الحزب والإدارة العليا يستوعبون هذا الضيق المحبّ فيقبضون بقوة وبعلم على أزمّة النهضة وعلى أزماتها. **الحزب هو سدنة النهضة.**

9 ـ وحقيقة أخرى: المؤمن ينفق مما يكتسب. أما الذين يقبضون يدهم فمنافقون. **من ليسوا ينفقون منافقون.** والحزب الناجح هو من يحرّض أعضاءه بالحق وبالإقناع على الإنفاق المبرور. وإلا فهو مقصّر. الشحّ دون دفع الاشتراك ليس مردّه فقط ضيق ذات اليد، وإن كان فينا كثيرون في هذه الرتبة الدنيا لأن مقالعنا أصلاً من طبقات الكفاف.

والصواب أيضاً أنّ التمنع هو احتجاج على سوء إدارة وعلى ثراء وترف غير مفسّر ولا مشروح. ولقد يسبّب التمنّعَ إبعادُ العضو عن المشاركة في قرارات تمسّه وعيلته وبلاده. والقومي الجيد هو جندي في جيش النهضة وأقنوم في المؤسسة. وهو لا يتحمل مظاهر طبقية محدثة ولا استكباراً يسحق إيمانه. حكمة الصدقة، منذ كانت، فأن المقتدر يدفع وسعه، وإن العافي يُعفَى، وإن التبرعَ خير، وإن فلس الأرملة شفاعة وإن الجهاد حق شرعي.

10 ـ يقودنا القول إلى ضرورة المحاسبة والمحاكمة، والتأديب أمام قضاء شرعي مكتمل. وإلا تحوّل الحزب إلى غابة وهيشة، وإلى نقيض للنهضة. الإدارة لا تقاضي. والقضاء لا يتسيّس. والخازن لا يأمر بالصرف. والمدبّر لا يتسلّم الخزنة.

ويقودنا القول إلى ضرورة تشريع صريح حول المؤتمر القومي المنتخب والناخب، والحر القرار، بغير احتيال ولا تأويل يلتعب بالنص ويلغيه عبر مناورات حلزونية أو لولبية تبتلع المعنى وتستنزف الفحوى. ويقودنا القول إلى اللامركزية حتى المنفذية، وإلى معنى المكتب السياسي، وإلى الحزازات الموروثة التي تدنّي الحزب دون سوية النهضة.

11 ـ وآخر المطاف: نخشى ألا يتقبل العضو المستنير والمتعلم والمنضبط أن يبقى منقوعاً أبداً في حالة القصور الاجتماعي، وأنه لن يرشد أبداً في الحزب، وأنه سيظل مكبوساً في خلّ سلبيّ. وما الاستبداد غير هذا؟؟

أيُعقَل أن يكون العضو في حزبنا أدنى سوية مما هو مواطن في مجتمعه حيث ينتخب (ويترشح) المختارَ والناطورَ والبلدية والوقف والجمعية والنائب، وحتى رئيس الجمهورية، لكنه لا ينتخب فعلاً ومباشرة مسؤوليه الحزبيين؟؟

ترى! أليس يرشد القومي أبداً؟!

ولا يرشد الحزب أبداً؟؟

من أدبيات التوحيد

ملاحظتان:

(1) قال لي صديق ناقد ووفيّ: ألست تكتب سوى في منحى واحد؟

أجبته: لقد نشرتُ أكثر من ثلاثين كتاباً، وآلاف المقالات والإذاعات، ناهيكم بالمحاضرات والحوارات المتواصلة واللقاءات الحزبية التي لا تنقطع.

وقد تنوعت المواضيع من اليمين إلى اليسار في السياسة والاجتماع والفكر السياسي والثقافة العامة والتاريخ ونواميس تاريخنا والتاريخ العام. وأضيفوا إلى ذلك الحوارَ والصراعَ المرّ في الندوات المشتركة وما يحصل فيها من استجوابات مكثفة ومن مكابشات عقدية.

* أما الجواب الأضيق للصديق الناقد فأن المرحلة الراهنة مصيرية جداً بقدر ما أنها تتمحور حول الوحدة الحزبية التي تشغلنا جميعاً والتي تتسهّل ثم تتعقّد بقدر ما أننا جميعاً نريدها تامة وكاملة وبغير عيب، **وبغير فجوة قد تتسع يوماً. ولذلك انصبّت المقالات منذ شهور كأنها فصول من كتاب حول الوحدة.**

(2) كلمة في الوحدة أرجو لو يتبلّغها مطلق قومي اجتماعي: «القومي الذي يرفض الوحدة ليس بقومي. والقومي الذي يريد الوحدة كيفما كانت ليس بقومي. والكلمة تغني عن ألف».

* * *

أما بعد، فقد أوحت لي النهضة قالت:

* سيئات التوحيد خير من حسنات الانقسام.

* النهضة ملكوت ليس يُنال. سرّ الملكوت هو السعي إلى نواله المستحيل. الملكوت هو السعي إليه.

* الجدلية في الحزب الحيّ ليس تتوقف أبداً ما بين سيىء وجيد، وبين الأسوأ والأجود، وبين فاضل وأفضل. وسيظلّ في الأجزاء القلقة متمرد ومطواع. ولكنهما يتكاملان. وليس أحدهما بأفضل من ندّه.

* المشاغبون ليسوا بالضرر الذي يخشاه المطواعون. وليس بقدرة أحد ولا شيء أن يلغيهما. وإلا زالت روح الحزب. إنهما وقود النبض والحرارة ومن أركان الاستمرار. **انسجامُ الحزبِ التامُ هو نهاية الحزب.**

* ما من أحد من الإدارة يظلّ دايم الدّوم هو النقي التقيّ الطاهر العلم، فيما سواه شقيّ منبوذ ومخلوع. التذلّل يتخم الأولين المترفين بقدر ما أن أكفاءهم الآخرين يشرسون شراسة الأَجَم إذا هم ظلّوا على هامش الاستبداد. المؤسسات الصالحة لا تتحيّز ولا تؤثّم السوى بغير انقطاع. إن طول التربّع في حصانة السلطة يعطّل ملكة التقدير والتدبير والعدالة، ويُغْشي البصيرة. الدواء الأنجع تبديل الولاية. إن السلطة لَمفسَدَة مهما تألّه الولاة. **والمعارضة نعمة.**

* **المعارضون والمشاغبون، في الحزب الموحّد ينقسمون. ولكنهم في الحزب المنقسم يتوحدون. وإلغاؤهم كفر.**

* طوبى لحزب يستوعب صعاليكه وينجو من لعنة خلعهم بالقهر، إنه إذاك يلعق دمه ويأكل لحم بنيه. والخاسر الحزب والنهضة.

* لا غنىً للأمة السورية ـ ولكياناتها ـ عن الأيمان الجدّي والصادق بلونية عربية مشرقية هي أقنوم في العروبة الجامعة. وليس إلاّ بهذه الوسيلة تتفعّل كوامن القوى المتشرذمة. ومن يكفّر أو يعارض صدق الحسّ العربي وعمقّه في الأمة السورية فهو شعوبي أو أعجمي، سواء عرف ذلك وتمادى به، أم جهل وأمعن في جهالته.

* ليست عجمة الأمة السورية بمقبولة لأنها تشوّه الحسّ القومي

الاجتماعي وتقزّمه إلى شوفينية بتراء. وليست هذه العجمة في النهضة بمقبولة **في عالم عربي لم يملك أي قومية جامعة أخرى طوال التاريخ الجلي. الصفات الفرعية المتداوَلة هن أعرابيات سوابق ولو كره الشعوبيون.**

*** الملتجئون بلفظ منافق إلى سوق عربية مشتركة هرباً من حاقّة عروبة الغد أو من الشرق أوسطية ننذرهم أنه عبثاً تقوم وحدة اقتصادية عربية إذا لم تتوّج بقيادة عليا عسكرية سياسية إدارية. وعبثاً تدوم إذا لم تكن دمقراطية ذات حريات وحقوق إنسان.**

* الحزب النهضوي، إذا طالت فترة نزاعه بغير شفاء ولا انتفاضة منعشة، يعفّن في انعزاله الخرف وفي سطحيته الخرقاء. أفق الحزب، المكتوبُ في صميمه، وعلى جبينه، هو حركيته ونهضويته. وبهما تتطور العقيدة حتماً إلى قدرها العربي الفدرالي وتقوم العافية مكان السقم والشيخوخة. وإذا بَهَتَ الانضباطُ وتماوتَ الحلمُ والرجاء تسخّفت العصبية خلّباً وتزعزع الولاء. وإذاك **تقوم نخبة معاكسة ومتمرّدة وبديلة فتداوي الترهّل والسقم.** إن الطبيعة تمجّ التردداد.

*** أبعدَ من غاية الحزب المكتوبة تظلّ غايةُ العقيدة والنهضة تعريبَ العربان بعروبة الغد، ومحوَ الدياجير المتلبّدة.** وإلا زالَ كالوهم والدخان سوريةُ السوريين وتمامُ الأمة، بسبب إهمالنا **عروبتَها الحقيقية، والرسوليةَ السورية النهضوية نحو العالم العربي. سورية لم تنوجد قط ولم تبقَ سوى بعروبتها ورسوليتها منذ 6000 سنة برغم جميع الأقدار الشعوبية التي تعاورت عليها. سورية هي أمّ العروبة وسريرها.**

* في سوريانا الراهنة والمتخلّفة شريحة شعوبيات عرقية ترعبها العروبة، وشريحة أخرى برجوازية تخشى العدالة ويرعبها أن يصحو الشعب إلى قوميته الاجتماعية الشعبية بديلاً عن الطائفية والمذهبية والأقطاع وعن الهوية الكيانية والدينية. ويرعبها أنْ تجتذبه المعرفة والعدالة إلى الوعي القومي الممتدّ من الخليج إلى المحيط كما سبق أن فعلت النهضات السورية السوابق.

* لكل شريحة رجعية مؤسساتُها وكوادرها وزمزمتها ومؤامرتها الدهرية.

والشرائح الرجعية حليفة بالفطرة ضد القومية الاجتماعية. ولكان العكس عجباً. **بل هي كارثة حضارية لو أن القومية الاجتماعية تبندقت ذهنيتُها أيضاً فتقبلّت ذهنيتُها المشوّهة التعايشَ مع الشرائح السلبية. إن أسوأ الخيانة الفكريةُ والروحيةُ.** والخطة المحُكمة النهضوية فأن الانتصار يبدأ بإلغاء هذه الشرائح من الساحة الفعلية. إن استئصالها واجب، وإلا جرفتنا الصهيونية كالهنود الحمر.

* أسوأ تقصير في النهضة والحزب والحركة هو التخلّي ولو برهة عن الصراع الفكري ضد أعداء الوطن والأمة والعروبة.

وإنه لبمثابة الخيانة كذلك أن يغفل الحزب عن أن الشعب ذو ذوق سليم وعاقل وذو حسّ صادق، وأنه يحدس ويستشعر، برغم تضليله المتواصل، أين حقيقته وأين الولاء القومي والعزّ، وأين الحقارة. الصراع الفكري والميداني هو القدوة، وهو المنبّه إلى الحقيقة. إن طليعية النهضة الدائمة هي عنوان الصراع الفكري في صلب المجتمع ودوله الموقتة. الصراع الفكري الحر حدوده الدنيا العالم العربي.

* إن من الخيانة التشكيكَ بالشعب المخدوع والمضلّل، وعدمَ الذهاب إليه بثقة ويقين. إلاّ أنه لا يستقيم ذهابنا إلى الشعب إذا ما كان حزبنا مخلّعاً ومشلّعاً ونقيض ذاته. فأيّ قدوة يرانا في شلعاتنا وشللنا!!

* **بغير توحّد متين باطل الأباطيل.**

* الانقسام الأول والثاني والثالث، والتوحّد الأول والثاني، ومطلق زلزلة تَعرَّضَ لها الحزبُ أو قد يتعرض لها، فإنما هنّ عراقيل صعبة ومؤلمة بقدر ما أن مشروعنا عميق وجدّي وضخم وحقيقي. ولا ضرورة للانحباط والتمرمر فيحيدا بنا عن صادق السعي لتقويم المسيرة ولتجديد الصراط ولضخّ نخوة جديدة في الرُّكَب الواهنة. إن التوحيد من بعد فرقة لهو عمل نهضوي من الطراز الأول لأنه يعترف بالوهن ويتصدّى للعرقبة التي تصيب كل تحرك. ما من حركة دائمةً أبد الدهر بغير وعثاء سفر أو انكسار آلة وانحراف سوّاق. والنكبات تكبر وتصغر بحسب المتصدّين: تكبر إذا صغر التصدّي والتوى، وتصغر إذا تعملق المتصدّي واحتوى الصدمة وكبح من الجماح وقوّم العزم.

والنهضة لا يجوز لها أن تنسحق تحت الثقل أو أن تُهزم إزاء العداوات. **النهضة هي تستثير بداهةً عداوات أعداء الأمة والمجتمع والتاريخ**. وليس يرتقب بنو بجدتها أن تتمهد السبل أبداً قدّام النهضة. المصاعب كانت ولا تزال ولن تزول. وسيظل النهضويون شقّاقي طرق وممّهدي وعرٍ طوالَ أقدارهم. وستظل سوريانا بحاجة إليهم، وعروبتُنا الموحّدة المصير معنا، في جميع تقلّبات الدهر الآتي وفي الحقب المكتوبة في نواميس التطوّر المتوسطي. ولن يفيدنا انكفاءٌ ولا تهرّبٌ ولا نسيانٌ ولا طمٌّ رأسنا في الرمال فلا نعود نرى. منذ توحيد الحزب حتى تنكّب أعظم المصاعب والمهمات ضد إسرائيل وضد الطورانية وسواهما، ستظل المسيرة واحدة ومكتوبة على الصامدين. ويوم ينهار صمودنا نزول زوالاً. **وأعظم الصمود ففي حالة الانكسار**.

* هذه المسيرة الشاقة، ولأجيال غير معدودة، تتحمّل أكثر من رأي وأكثر من خطة وليس يفيدها الاستبداد.

هكذا تبلّغنا منذ سبعين عاماً، وهكذا نبلّغ بمناسبة التوحيد المرتجى وفي جميع الدهر الآتي.

ولتدمْ لكم عافية التطوّر والصمود والتراحم فلا تخفَ على النهضة علاماتُ الأزمنة ولا قاموسُ أقدارنا القانية على أفق الزمن!!.

حزب البعث القومي الاجتماعي

كتبنا وسنكتب، أياً كانت صفتنا الإدارية أم الصعلوكية، وسواء أكنا في قلب البطانة الدستورية أم على تخوم خارجية، وعلى الشوار الشاهق.

رأيُنا سنقوله أبداً لأنه إذا جدّ الجد ودار تقاسم الميراث الروحي والشرعي **فنحن صحابة ونحن آل البيت ونحن مؤمنون ونحن أقدم شرعية مجاهدة، ومعنا مليون حجة وحجة.** وعلى كل حال فنحن منضبطون بآداب الدستور والحرية والواجب والنظام.

هذا الانضباط الأعلى يفرض أن نعلن رأينا ليعرفه الأعضاء وغير الأعضاء، **لأنه لا هو الحزب ملك الأعضاء وحدهم، ولا الرؤساءِ الإداريين وحدهم، ولا هي النهضة ملك الحزب. بل الأمة هي المالكة والوارثة، والسائلة أولاً وآخراً عما يجري في مواريث كنعان وآرام وبابل وشمر وقرطاجة وحضرموت وعدن ويثرب.**

سأفسر وأشرح: النهضة وحزبها ـ أي الفكر وأداة تنفيذه ـ لم يبدأ في العام 1932 سراً ولا بعد ولادة الزعيم في العام 1904 .**أمانة النهضة عمرها ستة آلاف سنة، وقد حملها وتولاها مئة وثلاثة وخمسون جيلاً قبل الزعيم وقبلنا.** والشرعية القومية التي امتشقها الزعيم من قبو التاريخ وأعلنها وصاغها واستشهد لأجلها في الأعوام 32 ـ 1949 لم تتولد من العدم بل من ثقافة الرجل الفذّ ووجدانه ومن ترسّله القومي. هذا قدره، وما كان غافلاً عنه ولا عن موجباته ولا عن إحدى النتيجتين. وقد تحققت إحداهما وما هو بعاتب اليوم في خلوده

ولا متذمر. **أقدار الرجال أخلاقها ومشيئتها. والنهضة والحزب أداتان لتمهيد الوعر وللعزّ القومي.**

إذن نحن الحزبَ رجالُ النهضة. ونحن النهضةَ ورثاءُ جميع نهضات سورية العربية منذ 6000 سنة، وليس أقل من ذلك أبداً. معناه أن الحزب لا يكون على شرعيته التامة إلا إذا كان على نهضويته التاريخية، وفي ستراتيجياته الصراعية والمصيرية ضد إسرائيل والعجمة والشعوبية والاستعمار. وليس من كلام مهما تفضفض أو تهلهل بغالب على هذه القيم التي هي صلب النهضة وجوهرها ومعناها. وما من مصلحة ولا فائدة شخصية ولا منفعة خاصة توازي مصلحة الأمة العليا.

وكما أن الحزب بنهضويته فكذلك النهضة هي بسوريتها جميعاً، وسورية بعروبتها، ولبنان هو برسوليته السورية والعربية جميعاً. وهذه الصفات أقانيم غير منفصلة سواء في الجغرافيا أم في الفكر المتكامل أم في المجتمع والمتحدات والكيانات. وتبقى الثوابت القومية صحيحة الجوهر مهما مدّها العلم أو اختزلها موقتاً أم قلّصها. ولا يحق لنهضوي حقيقي أن يتنازل في القول والفكر والعمل عن أي أقنوم في أي ظرف أو مناسبة. التعامي مرفوض والنسيئة مرفوضة والتجاهل عيب يأباه النهى والذمام.

ولذلك نحن اقترحنا وسنقترح ونصرّ على ضرورة توحد الحزب/الأحزاب السوري القومي الاجتماعي ـ بمن حضر ـ، مع حزب البعث العربي الاشتراكي بشقيه ـ بمن حضر ـ. يقيننا ودافعنا أنه، بعد تحالف انطلق منذ 1976 ـ **وكنا أول روّاده** ـ وبعد أدبيات هنا وهناك نالت قبولاً حسناً في إذاعة وصحافة ولقاءات، وبعد تعاون ميداني، نجح أم تعثّر، وبعد ربع قرن من المودة والرفاقة المصيرية، صار ينبغي أن يتعمق التعاون الصادق إلى وحدة، وأن ينال المتوحدون، حزباً ومعتقداً وأمة، حقوقاً متساوية ومسؤولية مشتركة ومواقع فعّالة. بل صار من المضحك عدم توحدهما لأن الرفقاء تجاوزوا الفروقات اللفظية، وأكثرها عقيم، نحو التوحد في العمل والصراع. العمل وحده يوحّد النتوءات ويقوّم اللفظ ويرصّ الحقيقة. وإذا كان من مصلحة مشتركة حقيقية بين التوأمين (والدولتين) فالمصلحة الأكثر إلحاحاً تقضي بأن يتمهد في لبنان والشام

ـ بوحدة شعبية تكرّس التوأمية والأخوّة، **في إطار استقلال اتحادي واضح المعالم**، قوي التفاهم، رصين الاحترام المتبادل. إن الاتحاد المنطقي والعقلاني والواقعي أقوى من ميول أصحاب المنافع والمكاسب والخوّات والمافيات. **والمستقبل الصحيح هو التاريخ الصحيح. وليس في المستقبل أي إشارة أو علامة توحي بانفكاك المصير الموحد ما بين الساحل والداخل بين المتوسط والخليج، أي بين لبنان والشام والعراق، وكذلك مع الرهينتين فلسطين والأردن. بل ليس ينقذهما من الارتهان والأسر والعبودية للصهيونية سوى توحّد بيروت بغداد دمشق البصرة، وعلى رجاء التوسع إلى المدى المكتوب.**

وأي توحّد؟ ـ التوحد الممكن والأقوى، هو اتحاد كنفدرالي بين كيانات توائم مستقلة ذاتياً كما ولايات أميركا أو ولايات ألمانيا أو ولايات كندا والبرازيل والهند. ووحدة كالوحدة الأوروبية لن تضرّنا بل سترسي الصورة الصحيحة والخريطة المحتمة المرسومة للقرن الحادي والعشرين. وكل ما خالف هذه الخريطة فهو باطل الأباطيل.

بداية المسيرة الجديدة في النهضة الخالدة هي في توحيد الحزب السوري القومي الاجتماعي مع حزب البعث بغية إقامة حزب البعث القومي الاجتماعي. ولن تظل إسرائيل سارحة في غيّها ولا هي أميركا عرّابتها بباقية أبداً على صهوة الكرة الأرضية. المستقبل سيبرهن قريباً أن أميركا أيضاً نمر من كرتون وأن عدّها العكسي قد بدأ. وستلحقها إسرائيل.

توحيد الحزبين حزب الحكم وحزب الفكر، يسمح لنا بالمطالبة بالعلمنة وتحقيقها وبالدمقراطية وبحقوق الإنسان وبدولة القانون وبالحريات إطلاقاً وبالنظام المدني وبالزواج المدني لا في لبنان فحسب بل في دمشق وبغداد حتماً، وبالتالي في العالم العربي جميعاً. إنه عالمنا جميعاً ولو كره الكارهون بقدر ما أن سورية العربية هي أمتنا ولو كره الكارهون وبقدر ما ان لبنان وطننا ولو كره الكارهون. .

واحسبوا ماذا تستقطب وحدة الحزبين!!

الحزب الأصلي والعقيدة والوحدة

ما من نهضوي حقيقي يعارض أو يقاوم توحّد أبناء النهضة وبناتها في تنظيم موحّد. وتلكم حقيقة وبديهة ما كان من الضروري توكيدهما لولا أن الأزمنة العجاف توتّر الأعصاب المستبدّة، وتضيّق الصدور غير الرحبة، وتقصّر المدى في تخيّل التخوم الذهنية.

وحصيلة هذه الحالة لدى الأحبّة والأعزّة والألصق ودّاً ورفاقةً، أي زملائنا في الصراع الفكري الشيّق، أنّ الاختزال يسود التفسير وأن الإدراك ينحاز بداهة وفطرة نحو ما ليس يتقصّده خطابنا المكتوب والمسموع. ولذلك تهتاج من قعر الزمان المرّ والأيام الداكنة جروحٌ وقروح في طهرانية توقّدهم المشكور والمبرور. ولذلك يشدّهم، برغم مسؤولياتهم وثراء أرصدتهم الجهادية، يشدّهم المعنى الأدبي الأدنى، واللغوي الأضيق، والدلالات الأشدّ تحيّزاً وتحيّراً في القاموس العقدي الجامع، وفي الإطار السياسي الضيق.

إن هذه الجدلية، أياً كانت النتيجة، لمفيدة بقدر عملية التوحيد. وأنا أقسم أنه ليس في الرأيين تحيّز سيىء ولا نيّة عجراء ولا أي مخالفة لسريرة الإخلاص الأنقى. وما هو بهوًى متقلّب يقارع أهواء متقلّبة، بيد أنه تخوّف مشترك على مصلحة هذه النهضة الأنقى من البلّور. يقين أمثالي الصرحاء المعلن أنه إذا وهنت هذه النهضة أو تخلّفت أو خرفت أو هرمت بادَ الحقّ في لبناننا وفي جميع سوريانا المقدسة وفي العروبة جميعاً، من المحيط إلى المحيط. فالمندفع صادق الصدق كلّه، وحتى المتسرّعون والملتجمون صادقون

الصدق كلّه، والقلقون المشككون صادقون الصدق كلّه، ولا فضل لأحد على أحد إلاّ بالتقوى النهضوية.

إذن لا ملامات ولا تثريب ولا تخوين. وليس ثمة ذو مصلحة يتعمشق رياءً فوق المصلحة القومية العليا أو يهدرها أو يبوء بها على مذبح أنانية مدمّرة. ولا هي المؤسسة بمنخدعة، فإنها معصومة أكثر من أي مؤسسة أخرى. المعجّل مخلص، **والمتأني مخلص بغير حدود.** والداعي **السامي المقام** الناصح والمشجع ـ شكر الله سعيه والأمةُ ـ هو رائد صدق ومتبصّر حكمة، ووفاؤه هو الغاية القصواء. وسيبقى سعيه ونصحه في سجلات النهضة الخالدة.

ولكن السرائر الصدق، كمثل الجنى والثمرات، بعضها أشهى من بعض، وجميعهنّ خير ما أنتجت الأرض وما باحت به النيّات.

فإذا ما وصفتُ حالتي الأندفاع والتريّث بأنّ كليهما حكمة وصدق فالوصف صحيح. ولكنها مهابة كالتفكّر في زواج لا طلاق بعده، وكأنّ الأحبّة يعودون جميعاً إلى بيت الطاعة والوفاء. ولربما كان الخلاف حول عنوان البيت ذاتاً!! أم هو خصام لم يتنضّج ودّه!! قولوا تخوّفٌ من نكسة أشدّ مضاضة ومرارة مما سبق وكان.

الوصف يستوعب مئة لونية طالما **أن الحزب الأصلي، الأول، الفردوس المفقود، متغيّب غيبة كبرى، وليس يستوفيه أيّ فرع، ولا شلْح، ولا أدعياء سراب وأضغاث أحلام.** الحقيقة العظمى فأنّ الزعيم غاضب لا ريب وأن عبسته حاقّة.

وأما صحة العقيدة فقول ثقيل وخصيب كمثل عبارة الحزب الأصيل: عبارتان تأباهما الجبال الطُّود الرواسخ، والعقول ذات الحكمة والحنكة. ومع ذلك ندّعي أن بعض المحبة قد بانت طلائعه وبواكيره في تحقيق خطوة **الدمقراطية المشاركة والمباشرة والمستقيمة،** عبر الانتخاب الحرّ والهرمي المتسلسل، خلال الشهر القادم. وهي حقبة ملكوتية يتنزّل منها تنزيلاً وينبثق منها المجلس القومي. هذا المجلس المنتخب من القاعدة بعد تصفية وتنقية سيقرّر الموقف الحقيقي وسيبتّ بما يعكّر الآن صفو الخواطر المخلصة.

رجاؤنا لو يتدارك الله والعقل والدهر مَن انشقّ ومن ضلّ ومن ظلّ. ولعلّهم يهتدون. وما هو بقولٍ هجر ولا هجاءً منفّراً ولكنها قلوب باعدها النوى وعقول جفّاها قطيعة الحوار والتأويل والتفسير والتطوير.

وما فاز يوماً قاعدون يتثاءبون، أو يلَوطِعون دون ثقافة مجاهدة. الحاجة الحقيقية فإلى قاموس جامع وإلى صراط حق وحياة، وإلى حرية ثقافية.

ولكن التخمة تقلّل الزخم وقد يضيق صدرها بكلام الجياع أو بملامة من يصدعون بما حبّذا لو يصيخ إليه **الوسيط السامي المقام والأخ الأكبر** الساعي بصدق إلى إحلال وحدة ووئام.

وبعدُ، فإن الكيود لا تليق بحَمَلَة العقائد ولا بطامحين إلى **دمقراطية مشاركة أي إلى سلطات منفصلة ومتضافرة معاً**. وهذا الكلام موجّه إلى توائم الأمس والغد وإلى إخوتنا في الرضاعة والقسم. غير أن البادىء أظلَمُ. وما ضرّه لو بادأ وبادر بقولة تبرّد الغيظ المحقّ وتمسح بالبلسم النهضوي خاطر المكلومين. ولربما كانت هذه الصلحة مثالاً أمام إخوتنا في البعثَين وفي القطرَين، وفي الكيانات اليتيمة والهضيمة الأخرى في **أمة واحدة هي دوماً فوق الجميع**.

حكمتنا في القول الجلل أن القضاء بعد طول الزمن يتحمل تفسيراً وتأويلاً وأعذاراً تطيّب القلوب وتجبر الخواطر وتليّن القلوب المتحجّرة بالأسى.

يا ويحكم!! إنّ العقائد الكبرى ليثريها التأويل البليغ فتفجّر من الصخر الأصمّ ماءً به كل شيء حيّ، وبه تستقاد العقول إلى الخصب المرتجى. إن الكلمة الحسنى لتبرّد جهنّم.

وما هي بثارات ودموم قبلية. بل هموم قومية أسمى وأعمق. إننا على مفترق ومواعيد قاهرة، وإننا إزاء مخاويف أن تدوم مفاعيل سيكس بيكو وأخواتها **فتتحول الكيانات الأجزاء إلى أشباه أمم**، فيبطش بنا الاستعمار ولاحوقُه اليهودي متفرقين بدداً، وتوأد الأمة السورية في مقابر الطورانية والفارسية واليهوهية، ويُجَرّ الحبل على رقاب العرب من بعدنا وعلى العروبة رمّة.

إن أشباه العقائد المحنّطة والمنحطّة لما يهمّهم هذه الثوابت في نشوء الأمم وفي بقاء الأمم متَّحَدَاتٍ حية حتى في ظلّ عولمة تخدم الكبار. وما جلنا مرة جولة أفق حولنا، وفي الأمة المغيّبة وإن كانت حية فينا، إلاّ تعملقت العقيدة والنهضة أضعاف ما كانت أمس وثقُلَ الحملُ الملقى على أكتافنا كفناً يشرّف أعمارنا.

الوحدة الحزبية لكي تنجح فينبغي ألاّ يداخلها زغل ولا زور ولا شين، سواء في الملف العقدي الذي يغيّبه تحويل الهمّ نحو الاندماج الإداري، أم في السوية المناقبية المطلوبة رافعةً وإطاراً للعمل النهضوي المستقيم، أم في الدمقراطية الشعبوية الصرفة الخالية والنقيّة من أي طبقية، أم في النظر الجدّي **إلى فدرالية حركات قومية سورية عربية أولاً، وفي العالم العربي تالياً، بغية فتح ثلم أفقي في الأمم العربية جميعاً يؤانس بين المثقفين الناطقين أخيراً بالعربية** الفصحى، والمرتحقين ألف ثقافة من أيّ مصادر شأووا بشرط تعريبها وضخّها في وجدان العرب.

إن في النهضة حماة ديار يأكلون حسرات الموت فلا تخافوا عليهم ولا تحزنوا ولا تيأسوا!! الخوف الأوحد هو من مافيا العجمة والشعوبية وإسرائيل ومن يردفهم من استعمار. يقيننا أن حلفاً يلوح في الأفق بين شمالي المتوسط وجنوبه أي بين أوروبة وسميتها العروبة. والجدلية العظمى ستكون ما بين عروبة وهمية رومنسية غيبية وغبية وبين عروبتنا الحقيقية الحضارية الثقافية. الصراع سيكون بين عروبة عرقية متصهينة وفاشلة حتماً وبين عروبتنا الثقافية والاجتماعية. الصراع سيكون بين عروبة جامعة ومدركة هويتها وبين شرق أوسطية بندوقة متهودة متصهينة. إن إسرائيل تحمل بذور دمارها في صلب تكوّنها. والمعركة الآتية ستكون ما بين المسيح الحق وبين نكرانه. ولن يهدأ بال التاريخ هذه المرة حتى يجلو اليهود عن فلسطين جلاء تاماً. والسؤال: من البديلُ عن اليهود بعد رحيلهم؟ لا تقولوا نبيع جلد النمر، بل هي أبجدية الصراع القومي أن نتبصّر بالخطوات المقبلة حتى وإن كنا في قاع التاريخ وفي أدنى الزمان.

الحزب السوري القومي الاجتماعي

مشروع الندوة الثقافية[1]

حضرة رئيس الندوة والأعضاء المحترمين،

تحية قومية اجتماعية وبعد،

أتشرف بتقديم المشروع التالي بغية درسه، ورفعه إلى السلطة المختصة لإقراره.

(1) تضم الندوة المركزية الأعضاء العاملين وغير العاملين الآتية أوصافهم:

● العاملين في الشأن الثقافي والإعلامي والعلمي، في لبنان والوطن، وعبر الحدود، أدباً وعلوماً وأبحاثاً وفناً ونشراً وإعلاماً، وما قد يُحسب إبداعاً في الإنتاج المختلف،،

● حاملي الشهادات الجامعية المتخرجين،،

● المؤلفين في مختلف العلوم والفنون المشهودة مؤلفاتهم،،

● مدراء المدارس الممارسين والمتقاعدين،،

● المعلمين الذين بلغوا رتبة مشهودة في مهنتهم واحترامهم على ألاّ تقلّ خدماتهم عن عشرين عاماً،،

● ومن يزكّيه ثلثا العدد الأصلي من الندوة وإلّم يتمتّع بالمواصفات الرسمية المذكورة أعلاه، على أساس أن رصيده يشفع له.

---

(1) قدّمه الأمين شوقي خيرالله إلى المراجع الإدارية والثقافية في الحزب.

(2) وتنشأ في الحزب ندوات إقليمية، أو اختصاصية في بيئات متميزة، أو عبر الحدود، أو في مناخات علم وعمل خاصة.

تضم الندوة الإقليمية الأعضاء العاملين وغير العاملين المتمتعين بالمواصفات المذكورة في الرقم واحد أعلاه، ويمكنهم، بحسب اختلاف الحالات، أن يكونوا أعضاء في المركزية أو الإقليمية أو الاختصاصية معاً. وتضمّ أيضاً:

* معلمي المدارس والأدباء والعلماء والفنانين والمبدعين.

* موظفي الدولة الإداريين من الدرجتين 1 و2، من الأعضاء.

* والأعضاء، من القوميين، في المؤسسات الأهلية والاجتماعية.

* ومن يزكيهم ثلثا أعضاء الندوة.

* يمكن للعضو أن يكون في أكثر من لجنة من لجان الندوة، ولكنه استثناء ضيّق.

(3) في كل انتخاب في الندوة المركزية أو المناطقية أو الاختصاصية تطبق القاعدة التالية:

الناخب الواحد هو ذو صوت واحد.

والترشح فردي لا في لائحة.

* في الندوة المركزية يكون للرئيس ونائبه رتبة عميد، ويحضران اجتماعات مجلس العمد إذا شاءا.

* يعين رئيس الندوة لجاناً اختصاصية ذات أعداد نزرة حسب الضرورة. اللجنة تنتخب رئيسها.

* يمكن لعضو الندوة أن يكون في أكثر من لجنة واحدة.

* ويمكن = بأذن خاص = أن يستشار اختصاصيون غير حزبيين وأن يُشرَكوا في الجلسات.

* قد تتعاون لجنتان وأكثر في مواضيع متعددة ومتداخلة.

(4) المهمة الأساسية للندوة، والعملانية، أنها يحال إليها من المجلس الأعلى وأو مجلس العمد وأو العمدة وأو المكتب السياسي، مواضيعُ تستوجب تعميقاً وترشيداً وتوسيعاً. فتتدارسها الندوة وتعيدها إلى السلطة المختصة.

القصد: أن تصبح الندوة قدموسية الإدارة العليا وأن يحال إليها جميع القضايا العلنية (وحتى السرية) الواردة في جدول مجلس العمد والمجلس الأعلى وسواهما، قبل اتخاذ القرار الأخير.

والغاية: أن تعمِّم رصانةُ الندوة وثقافيتُها جواً رصيناً وعلمياً وتعاضدياً ما بين المثقفين والإدارة بغية تشجيع هذا المنحى في جميع مراتب الحزب، ولعله يعود إلى نهضويته الثقافية، ولعلّ الحزب يتوصل إلى استيعاب قواه الحية المطفّشة والمعطّلة.

(5) لا غنى للندوة عن إصدار نشرة ثقافية للحزب وللخارج وبخاصة للأوساط المثقفة وللجامعات والمدارس وللنقابات والطبقات الكادحة والمنتجة. بدون النشرة المجلة الثقافية/ الشعبية، تتعقّم أعمالُ الندوة وتضمُرُ روحُها وتتيبّس وتَعْنَسُ.

● ينبغي وجوباً أن تَعقد الندوةُ المركزية، إضافة إلى جلساتها في العاصمة والمركز، اجتماعاتٍ في المناطق سواء دورياً أم بحسب الأهلية المحلية والضرورات.

● ويُستحسن أن تعقد الندواتُ الإقليمية اجتماعاتٍ مشتركةً بشرط أن يديرها مندوب من الندوة المركزية بقصد التنسيق وديمومة التواصل وتوحيد الخطاب والقاموس.

(6) رئيس مطلق جلسة ثقافية هو ذو سلطان إداري كامل ولكنه غير مفوّض بفرض رأي ثقافي معيّن أو منحى فكريّ يغصب أحداً. الحرية الفكرية هي الدستور الأوحد على أن يقرّها في نهاية المطاف المرجع الحزبي الصالح، بغير تعسّف من أحد على أحد.

● الصراع الفكري الراقي مطلوب ومشجّع، بشرط ألا يؤلّف عصبياتٍ جزئية ضارّة.

● ليس ثمة مانع مبدئي من إشراك غير الحزبيين، من النخبة المثقفة، في بعض الجلسات الرسمية.

● يُفرز للندوة الثقافية المركزية مكتبٌ لائق ومستقل وغير مشترك، مع ردهة لاستقبال ضيوف مميزين، وقاعة محاضرات حسنة التجهيز تليق بإقامة ندوات محلية وعالمية،،

● وإلا فموازنة تستأجر قاعة لائقة.

(7) أعضاء الهيئات الإدارية يُمنحون رتبةَ الأمانة. وأعضاء الندوات يمنحون جميعاً رتبة **مؤهل للأمانة** مدة سنتين ينالون بعدهما الرتبة بشرط مواظبتهم على العمل في الندوات. ولقد تكون هذه الوسيلة معْبَراً إلى شبشبة الأمناء وإلى تغيير وقع الرتبة على الحزب والخارج، وإلى تطعيم جسم الأمناء والحزب بدم ثقافي مختلف وبفحوى أدْسَمَ فكراً وبدور حقيقي في تجسيد الدمقراطية المشاركة على أساس الكفاءة.

واسلموا للحق والجهاد!

ولتحيا سورية العربية!

ويحيا سعادة!

المرسل إليهم

ـ المجلس الأعلى الموقّر
ـ مجلس العمد الموقّر
ـ رئيس الحزب الجزيل الاحترام
ـ رئيس مجلس العمد الجزيل الاحترام
ـ الندوة الثقافية
ـ الأمناء

4 تشرين الثاني 1999

مقال أول!!
في البناء

مقال أول. ولا عساه الأخير!

وإنها لتجربة حاقّة. تأجيلها كارثة. والإقدام عليها مغامرة. بل كان الاتفاق مع رئاسة التحرير تحدّياً لكلينا. وهي، تجربة لا بدّ من حصولها ومن معترك استثنائي يرافقها. رئيس التحرير تمرجل مشكوراً وأنا قبلت التحدّي المزدوج: تحدّي رئيس التحرير إياي، وتحدّيَّ لوضع لستُ راضياً عنه بقدر ما أنني نهضوي ورسوليّ، ومثقف لا يفصل الثقافة عن الاجتهاد الحرّ ولا عن الجهاد.

المقال التجربة هو من جعبة عتيقة رافقت ثمانية وخمسين عاماً من العضوية المتواصلة، ومن المكابشة ضد الرجعيات خارج الحزب، وبالأخصّ في داخله. وتجسّدت هذه التجربة الصراعية في أكثر من ثلاثين كتاباً منشورة، وفي ألوف الإذاعات والمقالات والمحاضرات والخطب والمنشورات الصغرى. أقول هذا القول لا بمنّة على أحد ولا مباهلة بل اعترافاً بفضل النهضة عليّ وبما استنبطته مني لمجد سورية ولمجد العروبة. وهو مجد واحد. وإلاّ زالا معاً.

موضوع المقال الأول هذا يتناول:

* جوهر جدلية العقيدة والتأويل الحرّ، والانضباط،،

* حرية قراءات واستنباط، ولو لم تتفق القراءة مع النصّ الذي تقول به الإدارة، أو مع التفسير الذي جُعل تفسيراً أوحد في مرحلة ما،،

* أوحدية اللون الثقافي البابوي الستاليني إزاء لونيات متمردة على الاستبداد،

* هل يمكن للقومي أن يكون أمياً أم مجهّلاً معمّىً عليه؟ فما هي قوميته؟

* هل يمكننا، ونحن تحت الدستور، أن نقترح علناً وأن ننتقد وأن نعارض، بغير ما فصل أو طرد أو تخوين أو هجاءات أُخَر؟

* هل يحقّ للقاعدة المطيعة أن تفكر أيضاً بقلق بنّاء وأن تجتهد في التفسير الرسمي؟

* هل التفسير المركزي المعتَمَد هو بابوية ستالينية تقارب التنزيل المطلق؟ أم يحق للمؤمنين المثقفين أن يروا رأياً مختلفاً ثم لا يخوَّنون؟ أكلُّ حرّ غاليليو؟؟ أكلُّ حرّ مخرّب؟ أكلُّ حرّ يُصلَب؟

* هل يمكن أن نجمع الانضباط الصادق الدستوري مع حرية التأويل، وإعلانه؟

* هل نموذجنا الثقافي النهضوي هو كالخليفة المتوكل وستالين والبابا وأهل العصمة والفريسيين والكهنة وهيرودس، والذين أعدموا غاليليو، أم لنا أسوة بالمأمون وبالمعتزلة وبالرواقية وزينون وأبي ذرّ والمعرّي والمتنبي؟؟ وبسعاده؟

* هل الثقافة والنهضة والحركة توابع قبلية للإدارة المستلمة في وقتها ـ أي الموقتة والزائلة ـ في الشأن الثقافي والعلمي والفني والعقدي والديني والفلسفي، أم أن للمثقفين حرية الممارسة والتبشير والنشر حتى في المجلة الحزبية، وإلا تصعلكوا في صحف أخرى؟! وهلاّ دخلنا في عصر الأنترنيت؟!

* ما هو السرّي في الحزب؟ وأيُّ السرّيّ، وأيُّ المسرّخ والشفّاف؟ ومن يفتي بالسرّ وبالمباح في الثقافة والتحليل والتأويل؟

* هل يمكن أن تكون الشؤون العقدية سرية، والشؤون الدستورية سرّية، والبيان الرئاسي السنوي سرياً، والتأييد التاريخي الذي أبداه وأعلنه رئيس

الحزب مرة واحدة للشأن العربي العقدي والمصيري سرّياً؟؟ فما هو الحزب إذن؟؟

هي أسئلة أصرّ على طرحها في مجلة الحزب ذاتاً وليس في سواها، وأنا لست أمارس الآن مسؤولية مركزية ولا وظيفة مباشرة، ولا مداورة في مشورة أو لجنة. فهل هو إذن تجرؤٌ مرفوض ومحرّم؟ وهل لو كنت مسؤولاً ـ كما سبق لي مراراً ـ لكنتُ إذن أرتكب إحدى الكبائر؟ أم هل كانت ازدادت ثقافتي موقتاً؟

أم هو طرحي موضوعَ الحرية والصراع الفكري شأن مشكور وضروري، وتنفيس رسولي للاختناق الأكبر، وكسرٌ للصمت القتّال؟ بل أزعم بيقين تام وبأمانة وإخلاص أنها دعوة إلى الأقلام الحزبية والنهضوية والحركية المكمومة والمكعومة، أو الخجولة أو المرفوضة، للخوض الشجاع والمسؤول في مواريثها وأملاكها وحقوقها. وإننا لوارثون.

هذه الدعوة تثير سؤالاً أصلياً: لمن النهضة؟ لمن الحزب؟ لمن مواريث السبعين عاماً؟ و6000 عاماً؟ وهل فينا مالك أكثر من سواه، أو من وريث متميّز بحكم طبقية وأمانة أم ثراء أم لأسباب أُخَر؟ وما هي معايير الجهاد والثقافة؟؟ إن البراهين الحسيّة لبيان وتبيين. هذا إنتاجنا فهاتوا إنتاجكم!!

أمثقف صامتٌ أم مجهولٌ؟.

وهل من وصاية قاهرة للإدارة على العقول والأقلام والفكر والاجتهاد والتأويل والتأليف الأدبي والإنتاج الفني؟.

وهلاّ يحقّ لي أن أفسّر مراحل من التاريخ السوري العربي طوال 6000 سنة تفسيراً ليس يعجب العميد أو سواه وهو موقت في عمدته؟

هل يحقّ لي أن أفسّر روح الدستور بعكس ما يراه المسؤول؟ هل من تنزيل مبرم في النهضة؟.

تجربة قرّرتُ أن أخوضها بدافع من معتقدي ومما أنا مثقف به، ومما لا أنفكّ أتثقف عليه، ومما أزعم بيقين متمكّن أنه استنقاذ للنهضة من مستنقع آسن هي الآن غارقة فيه، فكراً وفنّاً وعلماً وسوى ذلك. فالروتين الدواويني قد أخمدَ

لهبةَ الحرية وشَرْخَةَ الروح وأطفأ الغليان الشعبي الذي استقطب أجمل الإمكانيات وأفضلها منذ الثلاثينات حتى السبعينات في جماع الأمة السورية العربية. وأتساءل وسواي أين هم اليوم مثقفو الحزب والنهضة والحركة، ومن المسؤول عن افتقادهم وعن هذه الغيبة الكبرى؟ أين معارك الصراع الفكري الراهنة؟ وهل قلانا الروحُ القدسُ النهضوي؟

رئيس التحرير هو صاحب الفضل في نشر المقال كاملاً ـ **إذا ما نُشر ـ وإلا فالاتفاق الأدبي ألا يُنشر المقال منقوصاً.**

وعسى ألاّ يردّ عليّ محاضرٌ في الانضباط وواعظ في النظام والثقافة الرسمية! رأيي أن الشأن الثقافي جميعاً، في عشرات وجوهه، هو عمل فردي يعبّر عن وجدان جماعي أو زُمَريّ أو قدموسي لعضبة كإخوان الصفا، من رفقاء متحابّين مهما تخاصمت آراؤهم. **إن أفضل أصدقائي هم خصوم لي.**

هذا القلم هو أحد المعبّرين عن زمرة وجدانات متصادقة ولدودة. وهم بحاجة إلى إفساح رحبة الإبداع لا إلى وصاية. **نحن أعضاء أحرار في حزب أحرار لأمة حرّة.** نحن رجال نهضة ونساء نهضة. وهويتنا هذه ملكنا وملك الأمة وليست ألعوبة في تصرّف أحد.

أأحزاب تغيير ومتقوقعة؟!

إنها إحدى الكِبَر. كانت أحزابَ تغيير وثورة، واثقة وطموحة، متيقنة من صحة عقيدتها، ومن عصمة قيادتها بعقلها الجماعي، ومن آلية تبشير والتزام وانضباط وترهّب وولاء. فالآمر موثوق، والمطيع واثق، والرفاقة ربيع وتبرعمٌ، والمصاعب تتذلّل. أتشتدّ أزمة تفرجُها نخوةٌ وتضامنٌ وجوع إلى العمل وأمانة التنفيذ وصحة الإفادة وكظم التبجّج. ولبّيكِ يا مهمات أُخَر!!

إذاك كنا نتعمشق نحو النهضة: العضوية تعلّمٌ وتثقفٌ وانسجام. والرفاقة قَسَم وتعاضد في حلبة حرية وواجب ونظام وقوة. والعضو أقنوم في المديرية. المديرية أمّ المنفذية. المنفذية ركن من الحزب ومن الدولة الماكوت. والجميع سدنة في ورشة النهضة، أي دولةِ المجتمع الجديد.

ويحدو الجميعَ سِرُّ الزعيم. ثم يلهمهم اعتلائُه. ثم تشدّهم غيبته ثم تلهبهم مهابة خلوده وقد مضا شهيداً. إنه الوجدان وعقيدته مسبار طالما العقل هو الشرع الأعلى متطوراً.

أكان ضميراً حيّاً في حياته وبشيراً ونذيراً! فخلوده تجاوز الأسطورة، وصورته الباقية اعتنقت ذكراه، وهو لا ينفكّ يتسامى في معارجه.

فالوفاء له إذن ترسّلٌ للنهضة وللأمة وللعروبة الجديدة، وإحياء دوّيم لمداميك النهضة المحكمات. إذاً تبقى الأمة هي الغالبة ونبقى بها ظافرين.

اللّهمّ لا تعبّداً للمومياء، ولا إيماناً بالصدى المنحلّ، وألاّ يُشَبَّهَ للتابعين

وللدعاة وللمريدين ولكهّان الصنم أن ما كُتبَ هو فُرض بحرفه أبد الدهر، وبرسمه، وأن العقيدة والحقيقة متكنّهتان بحروف ماضية، وأن الكلمة الحيّة والصدى سيّان. **ألا إن الإيمان الحقيقي متطوّر.**

سرّ النهضة أن الصواب يتطوّر، وأن للكلمة بعثاً جديداً، وأنها قابلة للتجويد، وأن الاجتهاد يُأوّلها، وأنها تتشحّل لتحيا.

أما الكسالى فيسرغسون أنهم تملّكوا، كما قطعةَ أرض، حقيقةً اكتملت وخُتمت في الربع الثاني من القرن العشرين. إذن لا تزيد ولا تنقص. إذن تُقرأ على حرف واحد أحد. إذن لا تستقدم ولا تستأخر. جَمعتْ ما قبلها وأَقفلتْ عليه، واستغنتْ عما بعدها. **ألا تبّاً للغيأرى على العدم المفقود!**

صحابة الحرف المتيبّس، الموميات، العواكف على الصنم، الشغفون بالدروب المطروقة، وكالسمك لا ينطقون، أو كالببغاء، فإنما يزمزمون كالمجوس. فرحُهم أنّ تكرارهم الرتيب مزركش مثل قلانس البهلوان وعمائم المماليك. خُشُبٌ مسنّدة مستوثقون من جهلهم كالبهلوان فوق حباله. ثقافتهم ثرثرة.

سرّ المأساة أنّ النفناف إنْ نثرتّه صيفاً فليس يستعجل الشتاء، وأنك إذا ألصقت أوراقاً خضراء على عواري الشجر في الكوانين فليس ذلك بالربيع. الروح القدس ليس يزوّر، والتجديف عليه كبيرة لا تُغتفر.

سرّ المأساة **فأنّ للنهضة ــ الثورة ــ التغيير ــ الانقلاب** حزباً ونهجاً وثقافة وعقيدة صحيحة وآلية تفكير وعمل. بيد أنّ الأدعياء يهون الاغتصاب عليهم. غداً أو بعد غد يتقبّلونه ويرضون بغير تألّم. إن الكسل والتنبلة إدمان.

سرّ النهضة أنّ فعلها وأثرها، وتطوّر الأزمنة الحبالى ومآتي الحضارة، وتجارب الأمم وصراع الفكر الحر والاختراعات قد شقلبت مواريث الأمس وفجّرت خُبُرات مكنونة، وولّدت أدوات غيّرت آفاق الإنسان والعمل والحكم والحقوق، وربّت إنساناً جديداً وأنظمة فرضت تدابير وضمانات للعدالة الاجتماعية لم يكن كمثلها قبلاً. هذا النصفُ القرنُ الأخيرُ قد رقّى الدمقراطية

من سياسية صِرف إلى دمقراطية اجتماعية عدلية مشاركة. فمثة إنسان جديد يقرع الأبواب، ومجتمع جديد يتنامى وينتصر.

فهل يُعقل أن يعمَهَ أدعياء نهضة عظمى عن سرّ ما بذلت عقيدتهم أولاً فيهم ذاتاً، وفي السوى، وعما قدّمت من أولويات حاقّة، وعما ضربت من القدوة والأسوة الحسنة وسط تهافت القيم وانهيار عالم قديم؟

أليس يرى المثقفون، مهما قلّوا عدداً واختُزلوا وقُزّموا، أو نَدَروا ندرة مخيفة، أنّ التبدلات الجبّارة قد بهّتت معتقدات الأربعينات؟ أليس يرافقون ويتدبّرون ما استجدّ منذ 1949 من أحداث وأفكار؟ وهل في تاريخ الحضارة نصوص ليس يعاد قراءتها أو لا تفسّر جديداً باستمرار؟ أليس يدرك المثقفون وأشباههم **أنّ قيمة النصوص المحكمات لفي تقبّلها المتواصل للتفسير والشرح والتأويل وأن ادّعاء الصراطية المتجمدة عيب فكري وآفة حضارية؟**

هل يصدّق عقل أن نهضة تحدّث منذ الثلاثينات جميعَ الرجعيات الوهمية في جميع الصعد بلا استثناء، بقولها إنّ العقل شرعنا الأعلى، هي إياها تتجرجر اليوم خلف آخر الساقة في مواكب الصراع والجهاد؟

هل العقل، الشرع الأعلى الوحيد، يسمح بتكرار التخلّف وباجترار القات وبالتدبيث في مهازل الحرتقات السياسية الجوفاء وفي مساعٍ تقوم على شعارات ستهرّ غداً مثل ورق الشجر؟

هل يعقل أن يعمَهَ مثقفو البلاط المندهشون إزاء الترف البطران والمجذوبون بالتنفيعات، عن مدى **سوريانا العربي، القومي والجيوسياسي، والثقافي واللغوي والاقتصادي، إزاء عهر إسرائيل وتمهترها في أعماق مقادسنا وفي قنن مواريثنا؟**

وهل يُعقل أن تعجز النهضة عن ابتداع آليّة لاشتغال العقل الجماعي، في إطار المصلحة القومية العليا؟ وهل تعجز النهضة عن تهديم ستائر الديجور والحقد والحسد والاغتياب بين القلة النوادر المثقفين وبين الإدارات المتوليّة؟؟

غداً يقولون أفشيت سراً وأكثر؟! ومتى كانت الأمية سراً؟ إن الأمية

ليفضحها ويهتك سترها صمتٌ جهول وخرس مفتَعَل فيما الأمة السورية العربية والعروبة رمة يتساءلون بقلق عن حزب الثقافة والحرية والروّاد والتحدّي: أين معاركهم؟ أين إنتاجهم؟ ولماذا التعسّف العقيم في كمّ أفواه الحق، وفي حطم أقلام الحرية بالتجويع والحرمان؟

على بساط أحمديّ: **أين الباذلون للثقافة؟ وما ينفقون؟** بل يصحّ القول ـ والثقافة عبادة ـ إنه لم يُعطَ لإنسان أن يعبد الله والمال معاً، ولا المال والثقافة معاً؟ فإما هذا وإما تلك؟ أليس المترفون هم المفسدون في الأرض؟

نهضة النهضات إلّم تتثقف بادت كما عاد وثمود، ولن ينقذها جنون الخلود. الخلود حقيقة لا جنون. والحقيقة ثقافة وحرية. الذليل لا يخلد. والجاهل لا يخلد.

على أعتاب 8 تموز

في اليوم السابع من الشهر السابع من العام الاستقلالي السابع شُبّهَ للنيوفرّيسيين أنهم أعدموه وقتلوه يقيناً، بالدمدم وبالجور والهمجية.

الساعة الرابعة إلا ثلثاً، فجراً، من 8 تموز 1949، أُطلق الرصاص لدمدم فردّت عليه المآذن للحال، في جوامع منطقة الطريق الجديدة وسجن الرمل، فيما كان هو يسلّم الأرض والأمة وديعتها على رمال بير حسن: الله أكبر!!

في اليوم التالي، 9 ـ تموز ـ 1949، تسلّل الطالب ميشال نعمة = الأمين اليوم في الحزب = ابن خالتي نجلاء، إلى موقع الإعدام وحوّش كمشة من رمل مجبول بالدم وبقطعة لحم وعظم هرَّث من كتف الزعيم بأثر الرصاص الدمدم. بعد أسبوع تسلّمتُ الصرّة من ميشال في بيتنا ببحمدون، في الغرفة إياها التي كانت للزعيم عندنا أثناء تحويلاته وإقامته الطويلة في العامين 48 و49.. الصرّة مَحْرمة لميشال فيها الخبيصة الجسدية وخمس رصاصات دمدم انفلشت بفعل اصطدامها بالهدف. وضعها ميشال على الطاولة متهيّباً وقال: فلفشْها أنت!

أما أنا فكنت أرتجف كالورقة كما ولا مرة طوال حياتي، وبدون أي قدرة على التماسك أو الكلام. فلفشتُها وكدّني عرق كالشلاّل وقعدت شبه غائب على كرسيّه المعتاد. ثم تمالكت ووضعت الصرّة في محرمة إضافية أودعتها في علبة خشبية ظلّت عندي حتى أُحرقت جهلاً في ظرف لا يشرّف ذكره أحداً، في العام 1984.

ودارت الأيام وغاصت المحنة في حشاشة القلوب، وتواصلت الحياة، وتنقّلتُ في مواقع الخدمة وصروف الحياة. فأُبعدتُ عن الوحدات المقاتلة عبر بعثة إلى أميركا في مدرسة مشا خريف 1952، ثم مباشرة بعدها في مدرسة لوجستيات ومخابرات (الأولى في فورت بننغ، جورجيا خريف 1952 والثانية في فورت هالابيرد، بولتيمور ربيع 1953). ورجعت وقد عُيّنت رئيساً **للمصلحة المشتركة** للهندسة والمخابرات (الإشارة والمواصلات) والصحة، في ثكنة المصالح قرب المتحف.

تولّيت المهمة وليس أمامي، راضياً أم غاضباً، إلا أن أضبط الأمور وأصلح العمل بدقة وأمانة سواء في إدارة ومحاسبة أم دفاتر شروط وتلزيم واستلام. العمل كلّه مزالق وتجاريب وتحدّيات وإغراءات، وإفخاخ تنصبها الشعبة الثانية لكي نقع فيها فتتحكّم هي بولائنا وخضوعنا. إنها لحرب طويلة ظلّت مستعرة حتى الثورة القومية الثانية. ولعلّها مستمرة بطرق أخرى!

المافيات وارعة في المصالح. وفؤاد شهاب قائد الجيش على علم بالحالة. اليوم صرنا نذكر الأسماء والأحداث بأقل قدر من الحقد سوى ما أن حفظُه هو واجب وطني وبعض من ترسّل القلم. قال لي اللواء شهاب ـ وأنا ملازم أول حديث ـ قال: أنت تتذمّر من المصالح وانتقالك إليها!؟ أنا اخترتك بعد رأي الحسامي رئيسك، وبخاصة بعد رأي الزعيم جميل لحود قائد الموقع. المصالح كرخانة وبدّي ياك تشتغل بنظافة مثلما كنت بالفوج الثالث. بو طقّة يقول عنك إن جنودك يعربشون بأمرك على حبل ولو غير معلّق! بدّي شغل إداري نظيف بالمصالح أيضاً لأنّو فلان سرّاق وفلان لصّ وفلان هيك وهيك. بس انتبه لأنهم مش راح يطيقوك لأنك مش مثلهم!!

حيّيتُ وخرجت. ودغرتُ في ورشة عمل لم يخطر ببالي ذرّةٌ من أوصافها. تسلّمتُ لا مصلحة بل هيشة داشرة لا توصف، أقرب شيء إلى سوق سرسق وقد تزلزل في الليل ولم يبقَ فيه محلّ سليماً، والبضائع مخلوطة، وعليّ أن أرتّبها وأُرتّب ديونها وحساباتها المفقودة. هي أصغر مصلحة من حيث الموازنة ولكنها الأكثر عتاداً وأصنافاً واتساعاً وتوزيعاً ومهمات. ويتراوح العتاد

من حَمام الاستقلال وكشّاشي الحمام إلى المحدلة والبلدوزر وعواميد التلفون وجميع عتاد المخابرات (الإشارة واللاسلكي والهاتف) والكهرباء والهندسة والبناء والصحة، وكل عتاد يجدّ. وعندي أيضاً المزادات العلنية على الكسْر والمصادَرات والعتاد المستهلَك. البيع بالمزاد مع الدلاّلين والجرس كان نكتة المواسم والقصص: **على أونا على دوّا على ترا!!**

رتّبنا وهندسنا وغيّرنا وبدّلنا حتى صرنا شبه مصلحة. مرة كنا نعدّ عواميد التلفون ونصنفها فوقع نظري على عامود مهشّم مجرّح مثَقْوَب ومبَهْدل. قلت ـ يا رقيب أول بريدي، هذا العامود صرّفه لأنه لا ينفع. بالعادة يقول لي حنا البريدي: أمرك سيدنا، وأتأكد مئة بالمئة أن الأمر حتماً تنفذ. فلم يجبني البريدي. سمعت؟ ـ سمعت سيدنا بس... وساعده العريف عارف بوذياب قال: سيدنا، هذا العامود له قصة. بكرا منشوف.

هذه اللغة جديدة وليست دارجة معي. شو بدّك تشوف بكرا؟ فتدخّل النائب أول إدوار بخاش رفيق السلاح منذ المالكية والفوج الثالث:

ـ يا سيدنا القضية مش هيّنة... طوّل بالك!!

بهجت هرموش قال: إحكوا الصحيح وارتاحوا!! وصارت الجلسة نحنحة وصوفية ولاهوتية. ففهمت من عزيز عيد، رئيس المحاسبة وأمين القسائم، أنه عامود الإعدام، وأن حنا البريدي عمل من لقشة منه ذخيرة وحرزاً، وألاّ أحد مستعداً أو يتجرّأ أن يصرّف العامود!!

في اليوم التالي كسّرته وأحرقته حتى رمّد، ونثرت الرماد بغير أثر، وأنقذت ذاتي والمستقبل من تصنّم محتم. ولست بنادم.

هذه القبّولة كانت حدثاً. إلا أن غياب سليم الصابونجي عنه ـ وهو في مكتب الإدارة، المختلف عن المستودعات ـ جعله يبقّ بحصة أخرى وهو خير أمين إدارة في لبنان. قال: «يا سيدنا، وليش ما سألتني عن العامود؟ وليش ما قالوا أيضاً عن الحبل؟

ـ أي حبل يا سليم؟

ـ حبل الإعدام، سيدنا!!

هرولت مع سليم إلى المستودعات. اجتماع مثل الطير!! ركضوا. أين الحبل؟ عرفوا بخيانة الصابونجي. هاتوا الحبل!!

حنا البريدي تجرّأ وسأل: بشرفك سيدنا، بدّك تحرقه؟؟ ـ هات الحبل!!

جابوا الحبل وعليه، شفعاً ووتراً، أثرُ دم الإعدام متراً نعم ومتراً لا. كان في كيس على رفّ خاصّ. أخذت الحبل ووضعته في كيس ثانٍ أيضاً ونقلته إلى البيت. وظلّ مع صرّة الرمل والرصاص وشقفة الكتف، (صرة ميشال نعمة) إلى أن أحرقته الظروف التي لا ينفع وصفها.

لست بنادم على إحراق العامود. ولست بنادم على احتراق الحبل والصرّة بعد ثلاثين عاماً من الحريق الأول. تخوّفي من الصنميّة كان في محلّه لأني لا أزال أتلقى الملامات إذ لم أسلّم هذه «المقدسات» إلى السلطات الحزبية. بل دقَّ بابي مرة مندوبان من رئيس حزبيّ ما، ومسلّحان!! خير إنشالله؟؟ ـ بدنا الحبل والرزمة. ـ لن أسلّمكم شيئاً. لا تتعبوا! وهي أصلاً ليست في البيت معي، لأني منتظر حضور أمثالكم ومتخوّف من السرقة. إنها في محلّ آمن ومؤتمن ومجهول. ولن يمسّ هذه الأشياءَ يدٌ حزبية ستسيء التصرف بها. سلّموا على من أرسلكم، ولا تعودوا مرة أخرى أنتم أو غيركم بمثل حالتكم هذه. وإلا فلن تسلم. شكراً!

بعد أيام التقيت الرئيس وحصل كلام في المقدسات والمسلّمات، وفي الأعواد المقدسة والأشياء المقدسة، وفي أضرار هذا المنحى الصنمي على التنشئة الحزبية. وقلّما اتفقنا.

* * *

ليس أحد من موظفي المصلحة المشتركة عضواً في الحزب، اللهم ربما العريف عارف أبو ذياب. أما أنا فكنت أتّبع تعليمات الزعيم ألا أتورّط فأخرّب وجودي الحزبي العسكري.

إلا أن عزيز عيد، من الدامور، طلب مني فيما بعد أن أكون إشبينه في الزواج، ثم عمّدت أولاده فهم فلاييني، وتوائم بالميرون والمعتقد مع مئة آخرين.

سليم الصابونجي مستغرق في صور والأبرشية وسواها، وفي شؤون الأوقاف والكهنة والصلاة. تسرّح أثناء أسري الطويل. عندما خرجت من الأسر والأعدام بعد عشر سنوات، كان سليم يضطاف متقاعداً في بحمدون. جاء وسلّم علي وقدّم لي مسبحة وقال: «اقسم لك أني لم أقبض قرشاً رشوة ولا تقبّلت هدية طوال خدمتي معك في المصلحة. وكنت أعرف أنك لن ترحم هفوة. إلا أن هذه المسبحة قبلتها من سعيد تقي الدين يوم التزم شريط الهاتف وقدّمه في المستودع. بعد أن قُبلت البضاعة قدّم لي المسبحة نكاية بك. وأنت اليوم أحَقّ بها مني».

المسبحة لا تزال عندي.

بهجت هرموش، المتقاعد، ظلّ يزورني في مكتبي بالحمراء كلّما نزل إلى المدينة، في التسعينات. وأحسبه حياً طال عمره.

عارف أبو ذياب، من الجاهلية، أكثر المعارضين لحرق العامود، مات وهو يوصي أولاده بالحفاظ على الودّ. والودّ محفوظ.

إدوار بخّاش لم أعد أسمع عنه شيئاً، ولكنه من أشرف من صادقتُ في حياتي.

النقيب طانيوس السمراني ـ مات عميداً ـ كان من هيئة المحكمة التي كُلّفت بمسرحية محاكمة الزعيم. وحده في المحكمة رفض المسرحية وبهْدَلَ الضباط، وحمّلهم مسؤولية عبوديتهم، ولم يَحكُم بالإعدام. وكان من أشرف من تعاملت معهم في الجيش بغير إنكار لمعتقدي، وأيضاً بغير نشاط إعلاميّ ظاهر. أولاد طانيوس السمراني يحفظون الودّ. أما ابن الزعيم إبراهيم السمراني، (رئيس المصالح آنذاك)، العميد رينى، فلا يزال على الودّ والاحترام المتبادل.

أكثر هؤلاء الشرفاء هم من ثمرات 8 تموز، بغير انتماء حزبي ولا التزام منضبط.

خاتمة

أحقيقة مات؟

إذن كيف الخلود؟

وهل من خميرة وَلُودٍ وخصيبة أكثر من حقيقته وأسطورته ونهضته؟؟

أين شوكتكم يا طغاة!؟

هل استُشهد جُزافاً؟؟

عفوكم وعذيركم، فأنا قومي اجتماعي. أنا نهضوي عقيدة وحياة وجهاداً واجتهاداً. جُلّ مناي أن أطابق الفكر بالعمل بالمناقب بالتقوى المجتمعية.

ميزاني، مسباري، النعمة القصواء أن يرضى عني ضميري وعقلي ووجداني بحسب ما أنا مؤمن به ومنتسب إليه فكراً شرفاً وحقيقة ومعتقداً. مسند روحي في الملمات العظمى، ومتكأ منطقي وينبوع حجتي هو تدبري المثقّف والمهذّب والمتعقّل لأُنظومتي الفكرية الخلقية النفسية التي هي ملاذي وصفو البال وطمأنينة الخاطر كلما أدلهمّ المصير.

منطلقي في ذلك جميعاً هو رجل اغتيل شهيداً في مثل هذا اليوم. وهم، أهلَ الغيلة، شُبّهَ لهم أنهم قتلوه جسداً وروحاً وحلماً وأسطورة وحقيقة ورسالة وعقيدة صحيحة توحي البطولة والصدق. قصاراهم أنهم اغتالوه كمثل قرود في غابة استوائية. فمنهم من لحقه القصاص، ومنهم من تاب عن جبانة، ومنهم من مات مجنوناً، ومنهم ملعوناً، برغم شكر الزعيم لهم أنهم أكملوا له المسيرة المكتوبة في صفحة الغيب وعلى لوح الأقدار كما لكل رسول يتصدّى لنفاق طغمة الأشرار.

* * *

الزعيم سعادة، منذ البدء، رمى القناع وبيّن الحقيقة واتّبع سبيله وقدره. وما كانت النهضة التي امتشقها من خبرات أمته وأخيارها وأغوارها، ما كانت محطة له لوجاهة أم لمنصب، بل أداة تاريخية عظمى لمنع الوأد عن سورية

وبالتالي عن العروبة، ولمنع المخطط الصهيوني الاستعماري لمحق أمتنا وابتدالها باليهود.

والزعيم أدرك، ببداهة الصادقين والأحرار، أن الناس، وقد وافقوا على الفكرة والمعتقد والخطة والغاية، ليرفضون أن يبقوا قصّاراً وتحت وصاية مطلق شخص أم طبقة أم طغمة. لذلك عجّل منذ التأسيس لأن ينشيء المؤسسات الجماعية والهيئات المركّبة والمشتركة، **بغية ترصين شركة المؤمنين. العقيدة هي نقيض الإنسان القطيع بل هي روح الإنسان المجتمع.**

ومنذ البدء استبعد الزعيم قيام السلالات والعائلات ومراكز القوى فأنشأ الندوة الثقافية فتكون هي مفقسة التعلّم والتبصّر والتدبّر بدلاً من التعبّد للحرف والشخص والسلالات الزرقاء البلقاء. **الزعيم لم يدّع النبوّة ولا العصمة.**

الزعيم استبعد نشوء رعية ورعيانها وحرّاسها. بل كلٌ متساوٍ بالجوهر بسواه، ومشارك، على رتبته، في التقرير غير مصدود برتبة مزورة يتمانحها اليوم الملأ الأعلى المغتصبون. **ترى من أقامهم ملأ أعلى؟؟ ومن هم الأدنى؟** ومن علاّهم ومن دنّى الآخرين من المؤمنين، فجعلهم المحرومين كأنهم عيرٌ معبّدة؟؟ **مقصدي رتبة الأمانة.**

أيسألون بعدُ لماذا تقوم الرّدات الشعبية = القواعدية = الرافضة للتصرفات الفوقية المستكبرة التي ما أُنزل بها من سلطان؟ ترى من أعَزّ الأعزاء وأذلّ الأذلاء ورفع المترفعين وأنزل وأهبط أهل التراب والرغام وجعلهم، في مؤسسات الحرية والأحرار، من الطغام؟

ولكن سعادة قرر بعزمه، أن يتخذ القرار، وأن يعلن الجميع أحراراً متساوين في رفاقة تامة. ولم يجعل مؤتمنيه طبقة أخرى ولا أولاهم الحكم والنبوة ولا كلّفهم بالدينونة ولا احتكر لهم وبهم سلطة هي أصلاً ملك العضو/ الزعيم.

في مناسبة رحيل الزعيم عنا، في عيد استشهاده الأغرّ، لا يبكي المؤمن ولا يستبكي، بل يناجيه ويحتسب لديه ويجدد العهد والعقد والوعد، ويرتفع

إليه بالحوار والسؤال، وبالتقليل من الأحقاد، وبالتصميم على تحقيق النصر الموعود. وإنه لمتحقق مهما قصّرنا دونه أو فررنا منه.

المستقبل لن نقيّمه بحزازات الأمس بل ينبغي أن يتوحد العمل بأصوله المنطقية والدستورية والخلقية والجهادية، وأن يتحالف الطيّاح والشرّد والبدَدُ والصعاليك والمطفّشون لكي يفرضوا على هذا الرئيس وذاك وذلك وعلى المجالس العليا أن يصححوا الخلل وأن يقيموا المؤسسات لا ظلَّها ولا شبهها ولا اختزالها المنقوص. **الدمقراطية المشاركة المجتمعية** في الدولة القومية الاجتماعية هي الدمقراطية العددية في الحزب. والمجلس الأعلى هو القنّة السياسية التي تتمثّل فيها **المجالس الدنيا المهنية والحرفية والثقافية والاختصاصية والقطاعية**. ومجلس العمد = مؤسسة مجلس العمد = هو كذلك ممثل تنفيذي لقطاعات الاختصاص والقوى والآراء. وليس بأي حال إقطاعاً تنفيذياً للرئيس. نقول هذا القول ونحن من المؤمنين والداعين إلى تقوية سلطة الرئيس وإلى اقتصار المجلس الأعلى ورئيسه وأعضائه على دورهم الدستوري فقط وحسب ودون سواه. ونذكّر أن رئيس المجلس الأعلى هو رئيس هذا المجلس أثناء انعقاده في جلساته الدستورية فقط، وليس رئيساً أعلى للحزب ولا أميناً عاماً كما في الأحزاب الأخرى، ولا هو صاحب رتبة فوقية ومطلقة. وصلاحياته الدستورية والعرفية والمنطقية واضحة بغير إشكال.

وليس أحد، بفضل الدستور، هو زعيم آخر، ولا خليفة الزعيم أو نائبه. بل هو رئيس **بفضل انتخاب القاعدة**.

ولذلك دعونا وندعو إلى تصحيح الورم الدستوري المتفشي باسم الأمانة المُساء تفسيرها وتأويلها وتنفيذها. ونطالب، قبل استفحال الخراب، أن تعود السلطة فتنبثق فقط من شرعية العضو الفرد.

إذاك لا يكون الزعيم قد استشهد جزافاً، ويعود الجميع إلى رحاب النهضة التي هي فوق الحزب الحزوب، كما عيب عيوب.

حول هوية اللبنانيين وتاريخهم

نشأنا في بحمدون ضيعتنا وكانوا آنذاك يتعلمون عن تاريخ لبنان بفوضى وتردّد كأنه عدّية صندوق الفرجة. يبدأ الحكواتي بنفير يستجلب الأطفال ويعلن عن قدومه، وينتهي بنفير بعد أن وزّع بفنّه البدائي خبريات مصوّرة عن عنتر وعبلة، وعن بو زيد الهلالي وعن قيس وليلى وعن معارك سلطان الأطرش ولكن بغير مسٍّ بفرنسا. تلك كانت سينما الشعب وعمدة الثقافة.

وكما صندوق الفرجة كذلك قصص التاريخ «المقدس» والبشري كما كان يلقّننا إياها المعلم يوسف، وهو قسيس بروتستانتي مقرّب من المدرسة التي كان يتبرّع بها آل بنتن الأميركيون للمساعدة في نهضة الشعب الجاهل! وخير مصدر لهذه النهضة كان قصص التوراة وتاريخ انتصارات يشوع بن نون على الكفار الكنعانيين الملعونين لعنة أبدية بلسان يهوه العظيم. والفصول التالية كانت تتابع سلسلة النهضة وتاريخنا القومي بتغلّب الأحبّة بني إسرائيل على الفراعنة الكفار وعلى بقية شعوب وقبائل فلسطين ولبنان والشام الهمج في رقعة أرضية غير محدّدة لأنها متروكة مفتوحة لانتصارات شعب الله المختار. هكذا.

جميع هذه الدروس كانت تتمّ تحت عنوان تاريخ لبنان وتحت مراقبة الدولة اللبنانية، وبعلم رجال الدين المسيحيين والمسلمين. ولم يحتجّ أحد على هذه التنشئة الوطنية الفذّة في دولة لبنان الكبير الفتية، ولا في أي مجتمع أو متّحد سوري أو عربي. وطن مسيّب وتاريخ مسيّب وأمة أمّيّة، وسلطنة طورانية وانتداب فرنسي وعروبة وهمية رومنسية وجاهلية.

كبرنا قليلاً وغيّرنا من مدرسة بنتن إلى مدرسة الروم الأرثوذكس. هناك بشرونا أن كتاباً في تاريخ لبنان قد صدر من تأليف أسد رستم أستاذ التاريخ في الجامعة الأميركية، وفؤاد أفرام البستاني أستاذ الأدب والفلسفة في الجامعة اليسوعية. وفي الاسمين مهابة العلم وحسّ الستة ستة المكررة، أي وحدة وطنية ما بين الجامعة الأميركية واليسوعية. والكتاب مذيّل بملاحظة أنه قد أقرّت وزارة التربية تعليمه في المدارس الرسمية. وهذه إشارة إلى صحته وإلى ضرورة اعتماده في المدارس الخاصة. وهكذا لحقتنا نعمة تعلّمه في مدرستنا الصغيرة في بحمدون المحظوظة والمحروسة. . . دُرّسناه كأنه مُنزل. وكيف لنا أن نعلم أنه سمّ محلول بسكّر؟؟

وإذ قامت ضجة في المقاصد الإسلامية وفي الصحافة الإسلامية أي في جريدة بيروت لصاحبها محيي الدين النصولي. وراح المسلمون يهاجمون كتاب أسد رستم والبستاني لأنه شعوبي وضد العروبة ومن وحي المستشرقين. ولم تعتمد المقاصد الكتاب ولا بقية المدارس الإسلامية والعروبية والوطنية. ولم نفهم شيئاً. ضعنا. وأعمارنا دون 15.

وكنا ننشأ على تمجيد عبد القادر الجزائري، وسلطان الأطرش وإبراهيم هنانو وعز الدين القسّام والحاج أمين الحسيني، وفؤاد علامة الكسّاب الوهّاب والذي كان «قبضاي»، وكل قوى الدولة لا تقوى عليه.

في مدرسة الحكمة، في العام التالي، احتلت الجيوش الألمانية باريس فألّف بدوي الجبل قصيدة صارت مرسلياز العرب بقدر ما كانت ضدّ فرنسا المنتدبة التي كمّشت جميع الوطنيين وسجنتهم في معتقلات مثل المية ومية وراشيا وسجون أخرى.

ولما علقت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضدّ الإنكليز كانت مدرسة الحكمة من كل قلب وربّ مع العراق. واشتعل الحماس وعطّلنا الدروس عندما جاءنا خبر أن طياراً عراقياً ثائراً من آل الهندي عرك مع الطيارات الإنكليزية فانقضّ بطيارته المصابة، على الطيارة الإنكليزية، وقفز مثل الكاوبوي من طيارته إلى الطيارة المعادية وقتل سائقها واحتلّها في الجو وتابع القتال وعاد سالماً!!!.

الخلاف لم يكن بالطبع تحت عنوان تاريخ لبنان، ولكن حول هويته، وعلى عروبته أم أروبيته وفرنسيته، وعلى العلم اللبناني هل هو ثلاثة ألوان والأرزة لبنانية أم هو كما رسمه الاستقلال، وكما بقي حتى الآن.

وهل نتظاهر مع بشامون وراشيا أم نؤيد الانتداب؟

ترى هل خرجتُ عن موضوع هوية لبنان التي ينبغي أن يوضّحها لنا وللأجيال كتاب تاريخ لبنان؟؟ رأيي أن هذه الذكريات هي مقدمة لكتابة هذا التاريخ المبهم بقدر ما يُعتدى عليه عدواناً لئيماً فيبقى بغير صيانة ولا تفسير.

لست أحاول أن أستعدي من ليس من رأيي، بل أحاول أن أقتطع لرأيي ولأشباهي، في الأيمان والمعتقد القومي العربي السوري اللبناني، مكاناً وحصة وغلبة. يقيني أن الزمان حليفنا والحقيقةَ والعقلَ والمنطقَ والمشاعر التي لا تكذب. أذكر أننا لم نكن نحبّ عبد الوهاب بل نتعصب، ولو بدون فهم للموسيقى، لأم كلثوم. فلما قصف الفرنسيون دمشق والبرلمان السوري وهدّموا وقتّلوا، صدحت إذاعة القاهرة وإذاعة الشرق الأدنى بصوت عبد الوهاب ينشد قصيدة أحمد شوقي عن دمشق إبان ثورة سلطان الأطرش ـ **سلام من صبا بردى أرقُّ** ـ. والتهب العالم العربي كلّه إزاء نكبة دمشق بالسنغال والدبابات وبالمدفعية تقصف الجامع الأموي. الله أكبر. الله أكبر. ولما صدح صوت عبد الوهاب صار بلال العروبة.

* دم الثوار تعرفه فرنسا

وتعرف أنه نور وحق.

فأي عزّة لم تملأ جوانحنا؟! والعزّة العامة ركن من القومية والهوية.

* فاستعاد الناس ذكرى ميسلون وذكرى معركة القريّة وذكرى طابور ميشو وأمجاد سلطان الأطرش وذكرى حطين واليرموك والقادسية. ولم يبق في لبنان وفي مدرسة الحكمة خاصة سوى عرب أقحاح. المهمّ توضيح هذه العروبة.

فكيف ستكتبون لهؤلاء تاريخ لبنانٍ غير مشرقي وغير عربي وغير قيدوم في النهضة؟. ومن يزايدنا عروبة؟؟

تاريخ لبنان هو توكيد لهويتنا، لأنهما توأمان، ولا يمكن أن يتناقضا، وإلا التَغَثْ الأمة، وماتت اللغة وبادت المواريث، وعمّتنا الفوضى والضوضى. وإذا ظللنا نجعل من كل هندام هوية قومية، ومن كل أكلة هوية وطنية، وظللنا نغضب لجميع ما يقول الخصم المحلّي ونكيده كيداً بالحق وبالباطل، وننكر جميع المقوّمات التي لا تعجبنا في خصومنا بالبلدية والمخترة والنيابة والوزارة، فكيف إذن سيحصل التفاعل المثمر والبنّاء؟

المخطئون والمغرضون يودّون، لغايات خصوصية، لو يجعلون الخلاف مسيحياً محمدياً، كأن جميع المسيحيين هم على رأي واحد، وكأن المحمديين هم على رأي آخر، ومختلف عن الأول. حقيقة الحال أن الخلاف عقدي فلسفي شعوري ووراثي، وأن في كل رأي خليطاً من جميع الملل والنحل والطوائف والمشارب. والحقيقة أيضاً أن مفاصل العصبية هي اقتصادية طبقية إنتاجية اجتماعية. والخلاف الباطن هو بسبب جهل أسرار التفاعل ما بين ساحل وداخل، وما بين اقتصاد زراعي وصناعي وخدماتي، وما بين مـ افيء وملاحة وقوافل، وما بين محاور إنتاج وشحن ونقل. فالاقتصاد توأم الجغرافيا والطوبوغرفيا والطرقات المحلية والطرق الدولية، منذ البحر وممرّات الجبل حتى الداخل وواحاته، وحتى البادية والصحراء وصولاً إلى البصرة وبغداد وإلى المدينة ومكة وحتى أطراف الجزيرة في اليمن وعدن. وإذا كان إدراك هذه التيارات ضعيفاً في أيام النقل الحيواني أو الآلي البدائي، فإن التطور الراهن في النقل والأعلام والتلفاز والأنترنت والتواصل راح يقصّر المسافات والوقت ويسرّع الانتقال حتى صارت السعودية بستان الفاكهة الطازجة والخضار الطازجة لأوروبا، عبر لبنان والأوتستراد العربي والشاحنات والكونتينرات المبرّدة والمجلدة. التاريخ الذي كُتب أيام النقل على الحمير والبغال والجمال وأيام الفلاحة بالسكة على الثور والحمار والجاموس، ليس هو إياه الذي سيكتب اليوم، ولا هو تحت المجهر إياه، ولا بتسليط القيم إياها والموازين والمقاييس التي كان يعتمدها القاموس والتقييم والتفسير في أيام بندق بوفتيل.

اليوم صار المواطنون يفهمون إشارات الحضارة ومعاني الأحداث وعلائق

الجغرافيا، بنظرة أعمق وأشمل وأكثر دلالة عما اصطلح عليه كتّاب القرون السالفة وحتى كتّاب مطلع القرن العشرين.

المهم أن يدرك المواطنون أن التطوّر ليس خيانة وليس قلّة وفاء وأمانة، وليس نكراناً أو نسياناً لمآثر السلف الصالح. السلَف صالح لا ريب ونجلّه ونكرّمه، ولكننا خلَفٌ صالح أيضاً وليس من الضروري أن نكون على خطأ إذا حوّرنا وحوّلنا وبدّلنا في عيارات الميزان، أو في الآلة التي استعملها السلف، أو في إدراكه المقتصر حتماً على أدوات عصره وعلى علوم عصره.

قد كان يمكن، حتى مئة سنة خلتْ، أن نكتب «تاريخ» جبل عامل أو كسروان أو عكار أو الشوف أو الأمراء الحرافشة أو مشايخ بني حمادة. فقد كان عقلنا وتخيّلنا ومقاييسنا تعجب «بتاريخ» (!) آل فلان الإقطاعيين أو آل فليتان الذين تولّوا تجارة توسكانة في حلب، أو تجارة مرسيليا في القدس. وكان ذلك شأناً هاماً ومصدر ثراء ومهابة اجتماعية. اليوم صارت كل هذه المهمات تشبه دكّان الضيعة إزاء سوبرماركت عظيم.

لبنان لم يعد يحرز أن يُكتَبَ له تاريخ، وهو أصلاً تاريخ جزئي ومقطوش ولا يقوم له قوام مستقل، فكيف الآن وهو لم يعد يستوعب شعبه، ولا بنيه النخبة، ولا جميع الأنتلجنسيا الذين يطمحون بالهجرة إلى حيث يجدون عملاً وقانوناً وكرامة؟

وليس لبنان وحده في هذه الحالة. فلا القطر الشامي يحرز تاريخاً منفرداً ولا العراق ولا السعودية، ولا مصر، ولا أي دولة مغربية. خارج دورهم في العروبة الواحدة ماذا هم؟

وخارج التاريخ العربي منذ 6000 سنة من العروبة الفاعلة قبل أن تسمّى، كيف نفهم تيارات التاريخ الكبرى التي تولّدت عندنا أم التي اقتحمت علينا؟ وكيف نفهم الإسلام بغير تأحّد بتاريخنا الأقدم والأطول والموحّد؟

وهل يا ترى تُفصل المسيحية أم الإسلام عن التيارات الفكرية والقومية السابقة لهما، وعن كبار الفلاسفة والأدباء والعلماء، وعن العمران، الذين

سبقوا ظهور المسيح والنبي؟ وهل تأسست الدعوة والدولة والفتوح سوى على من سبقوا وكانوا طليعة روحية وعملانية لما سيقوله المسيح والقرآن ولما سيفعله المسيحيون والمسلمون من بعد ذلك؟

أم ينتظر النخبات الحلول الإسرائيلية والشرق أوسطية كي يبدأوا بكتابة ما لن تسمح لهم إسرائيل بنشره آنذاك ولا بقوله؟ وماذا تنتظر الدول والأحزاب والمؤسسات القادرة حتى تبدأ تنشر، أو حتى تشجّع على كتابة تاريخ قومي واحد جامع يرسي الهوية العربية الجديدة على مداميكها الدهرية وقبل موسى ويشوع بثلاثة آلاف عام، وبدون اليهود، لكي تقاوم الأعاصير المتلبّدة والمتجمّعة في أفق كمب ديفد؟؟

لقد راح الوقت يسبقكم وأنتم مختلفون على جنس الملائكة. وماذا يهمّكم جنسهم؟

كتابة التاريخ اللبناني
وشرف المسؤولية القومية

هل يقدر أحد أن يكتب بصدق علمي تاريخاً لسورية غير عربي؟ الشرط الأوحد أن يُعرض هذا التاريخ على عشرين ناقداً حراً ليبتّوا أنه تاريخ وليس تشقيع أحداث، وأنه حصيلة علمية متكاملة لنظرة صحيحة إلى الوقائع والأحداث، وتأويل سليم للتيارات الثقافية والسياسية التي حصلت مع مجرى الأيام. وينسحب السؤال بالطبع وبالمنطق إياه على لبنان ـ مطلق لبنان ـ وبمطلق حدود ـ ومطلق عهد، منذ 6000 سنة حتى نهاية القرن العشرين.

فيصبح السؤال الأرحب والأعمّ: هل من تاريخ للبنان مستقل ومنفصل وغير موحّد المصير مع سورية الهلال الخصيب سوراقيا العربية؟

وهل من تاريخ لسوراقيا الهلال الخصيب منفصل ومستقل عن الجزيرة العربية بالأخص، وعن مصر، وثم عن إفريقيا الصغرى؟ ألا تلكم العروبة وإن وهمية. وعلينا نحن أن نصوغ العروبة الحقيقية المستقبلية وأن نصالحها مع الزمن المتحرك ومع العلوم المتفجرة ومع زحمة العلوم التي راحت تغير القيم العتيقة. بل تلك هي النهضة ورسالة النهضة.

لتبسيط جوهر السؤال وقصدنا من الولوج في الموضوع نسأل: هل لجزيرة باريس وحوضها **تاريخ مستقل** عن تاريخ مرسيليا وبوردو وفرنسا؟.

وهل كان لفرنسا أم لمطلق دولة حقيقية في أوروبا ما بين الأطلسي والأورال، وبين المتوسط والقطب الشمالي، هل كان لها تاريخ مستقل عن

المصير **الأوروبي العام** منذ أن دخلت القارّة وأجزاءُ القارة في القاموس التاريخي وفي الوجود الحضاري وفي عملية التجاذب؟؟

وبما أن التاريخ الحقيقي هو سجلّ جدلية عظمى ما بين الصغير والأكبر، وما بين الأكبر والحضارة، وما بين العقل والآلة، وبين المجتمع والسياسة، وبين الواقع والمرتجى، فهل كان لأيّ ولاية في أميركا تاريخ حقيقي مستقل عن قدر الاتحاد، وعن القدر التالي الذي يجمع القارة كلها من القطب إلى القطب؟؟

وإذا كان التاريخ هو أمثولات من الأمس بقصد إنارة المستقبل فهل من نور عاقل وهل من منطق سليم يفتي بأن نفصل كسروان عن المتن، والمتن عن الشوف، والشوف عن البقاع، **والساحل عن الداخل، والداخل الشامي عن المهاد العراقي، ولبنان الصغير أو الكبير عن فلسطين العربية، وكل الهلال الخصيب عن الامتداد الصحراوي وعن الحضر اليمني؟؟**

وإذا كانت صناعات سورية ومصر، وحضارتهما وعمرانهما وعلومهما، متشابكات ومتفاعلات، فكيف لا نفتش عن نواميس وحدتهما؟؟

وإذا كان الشمال الإفريقي، في كل صحوة بعد صحوة من تاريخه، منجذباً حكماً نحو مشرقه، فلماذا لا نستخلص نواميس هذا الانجذاب وأسباب هذه «العودة»؟

وإذا كان المتوسط جميعاً، في جنوبه العربي وشماله الأوروبي (العروبي)، يحنّ، كلّما استراح، إلى وحدة ضفتيه وإلى تكامل ثلوجه ومياهه مع الرحب الإفريقي ومع المهد الكنعاني الأرامي العدناني اليمني العراقي والقحطاني، فلماذا لا يجتهد العقل المتحد لاستخلاص نواميس هذا الحنين البنّاء لكي نستطيع معاً، متضامنين متكاتفين، أن نواجه التحدّي الكاسح، الذي يهب كالأعصار الهمجي، من الاستكبار الأميركي ومن الدسّ اليهودي؟

إن السكوت عن الجريمة لا يلغي الجريمة. وإن التعامي عن الضرر لا يلغي الضرر. وإن السكوت «المفروض فرضاً» عن الاغتصاب الإسرائيلي لا يلغي الاغتصاب. وإن العودة إلى منطق المؤامرة الصليبية والجريمة العظمى التي ارتكبت منذ ألف عام لن يلغي الغرارة الدينية الهمجية، ولا الهمجية

الرومانية المستفيقة مع البربرية اليهوهية، في نهاية الألف الثاني بعد المسيح وفي مطلع الألف الثالث.

كتابة التاريخ ليس عملية بعث أحقاد وثارات، بل هي عملية استذكار لحسنات الأمس ولأخطائه معاً كي لا نعود نقع في مآسي الغد مع أسلحة كلاّنية أشدّ فتكاً وأشد إبادة. وإذا كنا لا نستغرق في أحداث سياسية معاصرة في صلب هذا المقال ـ ومقالات مماثلة ـ فلأننا لا نريد أن نحصر النظر إلى التاريخ في عين سياسية جزئية ومتحيّزة. ولكننا لا نقدر أن نتعامى عن أسباب الأحداث المعاصرة ولا عن نسبتها إلى جدودها وجدّاتها، **لأن الأفاعي اليهوهية التي هاجمها مثقفو كنعان ثم لعنها المسيح عادت اليوم تَبِيْض وتفرّخ وتفحّ سمومها بوسائل متطورة وبمحالفات** مع دول عظمى تدّعي أنها مسيحية ومحمدية، وبرغم ذلك تحالف اليهودية ضد الحضارة العربية وضدّ حصاد قضت البشرية ستة آلاف سنة كي تصل إلى حسناته.

كتابة تاريخ لبنان ليست عملاً انتقامياً ولا سياسياً صغيراً ومقزّماً حتى ذهنية إمارة بائدة ومتصرفية هزلية، أو انتداب سخيف واستقلال غشيم وأعشى.

كتابة تاريخ لبنان المشرقي العربي الحضاري هي صناعة سلاح واقٍ من الصهيونية المجرمة ومن يهوهية طوفانية الزمن والذهنية والقيم والأخلاق، ومن استعمار يخرج من الباب ليعود من الشبّاك، ومن طورانية ابتُلينا بها كالسرطان مهما تغيّرت أسماؤها وصفاتها، ومن فارسية تنهش أرضنا وتغتصب حضارتنا.

العروبة الحقيقية إذن ليست ترفاً كلامياً، وليست رومانسية وهمية، وليست هوساً دينياً، وليست أحقاداً بين نجّادة وكتائب وبين بسطة وجمّيزة ولا بين وطني ودستوري. العروبة الحقيقية شأن حضاري ثقافي لغوي مصيري أخلاقي. العروبة حقيقة وجودية، أصلية وإرادية معاً، وسلاح تامّ وكامل يمنحنا هوية واحدة وسلاحاً ماضياً ضد الشعوبية والعجمة واليهوهية، ويفتح لنا أبواب المتوسط وأوروبا التي هي منّا، مهما استقوت علينا بعد أن تحررت من سيطرة الدين على الدولة فيما كنا نحن نتقهقر لنتعبّد، كالرومان، للبازيليوس ثم للخليفة ثم للسلطان.

عند مشارف الألف الثالث لا يمكننا أن نبقى بقاء طالما إسرائيل إلى استقواء، فيما نحن نحكّم فينا **العقم السياسي الديني** وأخلاق الرشوة والفساد وذهنيةَ الاستبداد والاستعباد.

إن طريقنا القويمة والمستقيمة لأوضح من الشمس: لا بدّ لنا من الدمقراطية المشاركة ومن حقوق الإنسان، ومن الحريات ومن العدالة والمساواة. ومهما هربنا أو هُرِّبنا من هذه الحضارة المتكاملة فسوف نضطر بعد عقد أو عقود أن نعود إلى صيغة تحوي أكثر هذه القيم. وكل تأجيل خسارة ودمار. وكل تسويف جبانة. وكل استغراق في الفوضى والضوضى والانعزال والتفرقة هو انتحار يؤدي حتماً إلى نزوح النخبات نحو بلاد أخرى، وإلى ركود مجتمعنا ومجتمعاتنا على رجعيات مبيدة، وعلى أجيال هرمة وشيخوخة عاجزة، وعلى ابتدال أسمائنا البائدة بأسماء غازية كالأعصار تستعمر بلدان الخمر والخمير والعسل واللبن.

أزمة لبنان واللبنانيين أنهم يعرفون كثيراً وجيداً، ولكن تغلبهم النكاية وحبُّ الهوينى وسرغسة الجدل العقيم، واستهوان الكلام. ويحسبون أن أغانيهم وأناشيدهم وفنونهم البدائية ستقوم مقام البناء والحماية والصيانة، وبديلاً عن الدولة القادرة التي يتهربون من إقامتها، وبديلاً عن المجتمع المتماسك بالحرية والعدالة والدمقراطية، والمؤهّل أن يقيم الدولة القوية.

الجهل والحماقة وخفّة العقل جعلت من أكثرية الشعب هَرَدات لاهية ساهية، وشلعات ملذات وتحشيش في ملاهي الساحل والجبل وملاعب التسلية ومظاهرات البغاء الفكري. فكأنما هذا الشعب وقياداته سوّاح عابرون في أجمل وطن، يتفرّجون ويرحلون بغير أنفة ولا حسّ بالعزّة ولا رادع أخلاقي من مسؤولية وكرامة وتصدٍّ للجلّى وللمصير.

ولذلك يقبلون بقيادات مزوّرة، ويلعب الكشاتبين في موقع الجدّ والمصير، وبنكتة موفّقة تقوم مقام نواميس الاجتماع والفضائل والكدّ والجهد والعمل والرصانة.

وإذا كانت الأجيال الفتية غير مسؤولة بقدر ما أنها جاهلة، فالعارفون هم

المسؤولون، والقيادات الروحية والزمنية هم المسؤولون، والأحزاب العقدية هم أول المسؤولين، والمثقفون هم المسؤولون، والصامتون المتحضرون للرحيل والهرب هم المسؤولون.

المثقفون الأثرياء والقاعدون واللاهون هم أسرى أموالهم. المال يملكهم بالحري وليس يملكونه. وصدروهم فارغة من العزم ويخافون الإقدام. **والجدلية بين عبادة الله أو المال تسحقهم لأنهم لا يملكون أخلاق معرفتهم ولا شجاعة الالتزام المنفِق. ولذلك لن يكونوا هم كتبة تاريخ الغد. والمهمة تنعي فرسانها.**

التاريخ اللبناني «الحقيقي»

هل هناك مستند ماروني واحد كُتب بغير العربية؟ (I)

1 ـ في القاموس والخريطة

أي لبنان سيُكتب تاريخه؟

ـ لبنان الكبير المستقل والانتدابي؟

ـ لبنان الصغير ـ المتصرفية؟

ـ الإمارة الشهابية؟ وهي لم تحكم لبنان الحالي، وبالكاد حكمت لبنان الأوسط الماروني ـ الدرزي الذي تكوّن تحت حكم المعنيين؟ وما الإمارة جميعاً وما قيمتها القومية الفعلية طالما هي تعيين من السلطان، وطالما ليست بشعبية منتخبة، ولا هي منبثقة من رجاء قومي ولا من تطور اقتصادي مجتمعي؟

الشرعية الوحداء في الإمارة متأتية من فرمان تركي جاء بشحطة قلم، وتزول بشحطة قلم.

أي بقعة من هذه الإمارة كانت تشعر بولاء لوحدة وطنية أو بانتماء إلى دولة قومية، أم إذا فُصلت عن حكم **الأمير** (المير) كانت تطالب «بالعودة إلى **الوطن الأصلي وإلى العرش القومي؟**»

ـ وحتى **الإمارة المعنية** (وهي أقرب إلى مشروع قومي) لم يكن **لبنان** هو خميرتها ولا خميرة مشروع الوحدة السورية الذي رنا فخر الدين الثاني إليه وحاول تحقيقه ليكون نداً ممكناً في وجه السلطنة الغازية؟

وبعد فالمعنيون كانوا سنّة وأمراء على الدروز والموارنة، ولم يكن في سلطنة بني عثمان السوبر سنّية أي أمير أو حاكم غير سنّي. ولذلك ورث الشهابيون السنيون الإمارة بعد المعنيين السنيين التنوخيين، الذين كسبوا موقعهم في العهد العباسي من الأيوبيين في صراعهم ضد الصليبيين. وقد كان المسلمون الروافض جميعاً موالين للصليبيين. وقد تآمروا مراراً على صلاح الدين الأيوبي، فيما كان المسيحيون الشرقيون حلفاء الأيوبيين ضد الصليبيين الغربيين الذين ألغوا الدولة البيزنطية وحولوا أكبر كنيسة في الدنيا آيا صوفيا، طوال سبعين عاماً، ياخورا للخيل.

ـ وحتى في أيام المماليك لم تكن لفظة لبنان تعني أي مدلول سياسي بل تعاطى المماليك **في جبل الدروز (أي المتنين والشوفين)** مع التنوخيين، وتعاملوا في كسروان (منذ نهر الكلب حتى الأرز) مع مشايخ يوالونهم، ومَنعوا من مطلق إطلالة على البحر أيَّ حليف للصليبيين الذين كانوا قد أُجلوا بُعيد حطين إلى أوروبا وقبرص. فكان يُمنع على الروافض أن يروا الماء الزرقاء كي لا يخابروا أسطول قبرص بالقبابيل والإشارات النارية: لا بالنار ولا بالنور.

ولذلك اعتمدَ المماليكُ التنوخيين في الغرب أي في المشارف الجبلية على البحر منذ نهر الكلب حتى قلعة صيدا. فقد أمنوا لهم لأنهم سنّيون.

ويبقى أن اللقب الحقيقي هو المير وليس الأمير. بل كان الباشا التركي **يُقطِعُ ميراً لجباية الميرة العينية** أي القمح والشعير والأعلاف للسلطان وسرايات السلطان ولخيل الدولة (كما النفط اليوم)، ولجباية الضرائب والمكوس، وبالأخص **لإدارة شؤون الجفتلك** أي المياه الغزيرة والأراضي المروية بها. وهي ملك خاص للسلطان وإرث له منذ أيام قياصرة روما. هذه الأراضي **الجفتلك** الشاسعة والخصيبة والمروية كانت هي بالفعل **أهراء روما** أي مصدر تغذية شعب **مدينة روما** التي كانت مسؤولية القيصر ووسيلته الفضلى لضمان ولاء شعب العاصمة للعرش: بالقمح المجاني وبالألعاب الرومانية أي ميادين الصراع، وميادين استشهاد المسيحيين بأنياب ضواري الحضارة الرومانية. **قمح**

مجاني مقابل ولاء للقيصر. ولم تكن هذه الأهراء حكراً على المشرق بل موزعة في أرجاء الإمبراطورية.

وقد حافظ العثمانيون على هذا «التقليد الشريف» كما اعتمدوا أيضاً، إرثاً بيزنطياً، تلزيم الوظائف المالية ووظائف العشارين لمدنيين غير موظفين رسمياً في الدولة يتعهدون جباية العشر من الناس، وتوصيل الضرائب العينية والمالية للباشاوات والولاة. وكان أحد مقاصد هذه **الخصخصة** إبعاد الجند عن مهمات الجباية منعاً لفسادهم. **فكانت الوظائف الملزّمة بمعدل 90 في المئة من المدنيين**، وأما الوظائف المركزية العليا في العاصمة وسرايات السلطان فلا تتجاوز 10 في المئة. وبرغم ذلك تدخّل الجند وفسدوا بغير حدود.

وليس إلا بعد قرون أن طوّع الأتراك في الجيش جنوداً من غير الترك الطورانيين، أي من الشعوب المستعبدة كالعرب والأرمن واليونان، بعد أن أمّنوا أنهم هجّنوهم وأنسوهم هوّيتهم وثقافتهم ولغتهم. **ولا مرة طوّع العثمانيون من هم اليوم لبنانيون لأنهم يعتبرونهم عرباً. وإنهم لعرب.**

أما الانكشارية فجلّهم أولاد من الصقالبة مسروقون بالقرصنة من شواطىء المتوسط ومن الواحات البعيدة، فيربّون في ثكنات السلطان **على أنهم أولاده**. فهم يحرسون **أباهم السلطان وحريمه ضد الجيش التركي وضد أعداء السلطنة**. وهم الوحدات الخاصة الأفضل تدريباً وتسليحاً، والأبعدون عن إمكان الإغراء السياسي أو العقدي ضد السلطان. **الانكشارية** صقالبة وبنادقة وليس فيهم طفل عربي واحد (ولا لبناني واحد)، على أساس أن اللبناني هو عربي مهما كان دينه.

ـ في العهد البيزنطي اعتمدت الإدارة المحتلة في سوريا تقسيمات تحت عنوان فينيقيا الساحلية وفينيقيا الثانية وفينيقيا الثالثة، **وكانت دمشق والغوطة إحدى هذه التقسيمات الفينيقية. وكذلك حمص**. والغريب أنه في الأعوام 1920 ـ 1926 وفي أوائل الانتداب الفرنسي ومعاهدات الصلح في ڤرساي، كانت تُرسم الخرائط الجديدة للتقسيمات بحسب سايكس ـ بيكو واللنبي وسواهم. فتكبر الخريطة وتقلّ بحسب التجاذبات. إحدى الخرائط النهائية

ضَمّت إلى متصرفية جبل لبنان الأقضيةَ الأربعة المعروفة اليوم، **ومعها وادي النصارى في بلاد العلويين، وأيضاً دمشق والغوطة بعد وادي القرن ووادي الحرير**. القصد أن يطلّ لبنان الكبير على شرق حرمون وجنوبه وعلى معلولا ومنطقتها وعلى بحيرة حمص شمالاً، **بحسب رأي المطران مغبغب**.

إلا أن البطريرك الحويك عارض هذه **الزيادات الضارة** وعارض المغبغب لأنه يخربط مخطط بكركي. كيف؟ لأن زيادة وادي النصارى تكثّر الأرثوذكس في دولة لبنان، ولأن زيادة دمشق والغوطة تزيد الأرثوذكس أيضاً والسنّة، **وليس لمثل هذا الكيان اللبناني تشتغل بكركي**، ولأنّ معلولا وجيرتها الأرامية تنافس المارونية على ادّعاء الأرث السرياني.

أما في الجنوب الحاصباني فقد ظلّ سهل الحولة حتى مشارف طبريا وجسر بنات يعقوب وبعض الجولان تابعة للأراضي اللبنانية، إضافة إلى أن القنيطرة، عقارياً، تكاد تخص أهل مرجعيون. وظلت فصيلتا درك حاصبيا ومرجعيون تبلّغان الحولة أوامر الدولة اللبنانية الجديدة حتى العام 1926، برغم احتجاج الصهاينة واليهودية العالمية على مخطط الحدود بين الانتدابين الفرنسي والإنكليزي، وعلى خطر فقدان مياه الحاصباني وبانياس والحولة والليطاني.

2 ـ في نواميس التأريخ والتاريخ

يكون التاريخ وطنياً أو قومياً إذا ما اقترن بدولة ذات عمران وسيادة وذات جيش قومي ذي قيمة ستراتيجية وسياسية، وإذا اختصّت الدولة بأرض/ وطن وبشعب ومجتمع وتاريخ وحضور إقليمي وعالمي ذي ديمومة وعَلَم.

ما من مرة، مثلاً، حسبت دولة جدية ومشهورة **أن أحداثاً محلية وطفيفة وعابرة** في منطقة منها أو في مدينة، **هي تاريخ قومي** لها وينبغي تسجيلها إرثاً للأجيال المقبلة أو في كتب التاريخ. وليس في وسع لبنان الراهن أن يزعم أنه **وريث وحده** لمآتي دويلات الفينيقيين في جبيل وطرابلس وبيروت وصيدا وصور. كما لا يمكن الجمهوريةَ العربيةَ السورية أن تحتكر إرث أوغاريت أو ماري أو تدمر أو العهد الأموي أو العهد الحمداني. وليست الأحداث الفينيقية

مؤهلة لأن تؤسس لتاريخ لبنان وحده، وما كان اسم لبنان آنذاك معروفاً في القاموس السياسي. بل يمكن أيّ كاتب في التاريخ السوري التام ـ السوراقي ـ والعربي أن يرتب الأحداث المحلية وأن يرصفها ويقارنها ويتممها ويتمّم بها تفسير تيار تاريخي حصل أو اختمر أو اكتمل آنذاك، في إطار نشوء الأمة السورية العربية، وتالياً في إطار نشوء العروبة الحضارية رمّة. العروبة والمشرقية توأمان، أو وجهان لعملة واحدة، منذ ستة آلاف سنة، ولبنان من صُلب هذه الورشة التاريخية الواحدة.

وما من باحث، مهما تقصّد أو حُرّض، بقادر أن يزعم أن حروبات فخر الدين المعني الثاني ضد بني حرفوش وبني سيفا وبني الصغير كانت بقصد إنشاء دولة لبنانية ما، أو هذه الدولة الراهنة بالذات. بل كان قصد فخر الدين ـ وتوسكانة ـ هو إقامة دولة تسيطر على مرافىء المتوسط الشرقي منذ كيليكيا حتى عريش مصر، وعلى خلفيّات المرافىء عبر الجبال والممرات والواحات وطرق القوافل: نحو خليج البصرة عبر واحات دمشق وحلب وحمص وتدمر، ونحو العقبة وشرق الأردن والجزيرة عبر الشوبك والكرك والقدس. القصد السيطرة على طرق الحج والحرير والأفاويه طالما بقي ممر السويس القديم مقفلاً. وكان فخر الدين يسعى لتجهيز صليبية جديدة فأخفق.

بعد شَقّ قناة السويس الثاني أو الثالث في أيام دولسبس ستتغير القيم.

* * *

إن بعضاً مهماً جداً من تاريخنا يتمحور حول جدلية وتكاملية قناة السويس والبحر الأحمر مع مرافىء المتوسط الشرقي وطرق القوافل البرية التي تصبّ في البصرة والخليج وإيران وحتى الصين. وفي مجال مسكوني أوسع ثمة جدلية ما بين طريق رأس الرجاء الصالح وبين طريق السويس ـ باب المندب ـ طرق المرافىء ـ القوافل والواحات، منذ عدن واليمن حتى سورية الغربية والمتوسط. وثمة جدلية متشابهة ما بين النيل الأعلى والأدنى، وكذلك بين خليج سيرته ومرافئه في ليبيا وبين القوافل الصحراوية. وكذلك بين المخزن

المراكشي في الشمال والصحراء الجنوبية. تاريخ قرطاجة كله انبثق من جدلية أسطول وقوافل، كما جدلية الهلال الخصيب والصحراء الوسطى واليمن.

وليس لبنان بغريب عن هذ الجدلية، بل يفقد قيمته الدولية إذا ما مارس الانعزال السياسي والاقتصادي عنها وخرج من هذه المعادلة الأزلية ما بين استقلال واقتصاد وشبكة الاقتصاد العالمي والإقليمي.

3 ـ في شروط حصول تاريخي حقيقي

للتاريخ الحقيقي شروط دنيا، وبدونها نهبط إلى الفولكلور والبهورة الكلامية وإلى توهمٍ إلا لينتهينّ في سراب وخراب. وليس يقيم أودَ التاريخ شعرٌ حماسة قبلية أو تبجح أو تورّم أو زجل.

شروط التاريخ هي التالية في الحد الأدنى:

ـ شعب متماسك، منظم في مجتمع، ودولة مركزية مستقلة وضابطة الكل.

ـ أرض تُعرف بأنها وطن هذا الشعب، ذاتُ حدود مرسومة ومعترف بها إقليمياً ودولياً. **وهذا الشرط ينقصه أحياناً تطابق الكيان مع القومية.**

ـ مؤسسات تشريع وحكم وقضاء، وقوانين للعقود والموجبات وللملكية والبيوع ولانتقال الملكية، وللاستثمار وللمشاعات والأملاك العامة.

ـ قوانين للأحوال الشخصية من زواج وولادة وَتَبنٍّ وموت وطلاق وخلْع وموارث وأوقاف.

ـ عملة ونقد وقوانين مالية وتجارية، وعلاقات تبادل تجاري.

ـ حريات اجتماعية وسياسية واقتصادية وحقوق الإنسان.

ـ ولاء قومي وسلّم قيم أخلاقية وأدبية.

ـ علاقات خارجية ذات صدقية دولية لعقد المعاهدات والاتفاقات، ولشهر الحروب ولعقد الصلح والسلم.

ـ ولم يعرف التاريخ مجتمعاً بغير دين منظم. (أو لا دين منظم).

وإذا لم تتحصل هذه الشروط فليس لأولئك الناس كيان سياسي رسمي مهما كانوا متكتلين تحت رؤسائهم بدوافع قبلية أو دينية أو طائفية.

التاريخ إذن يُستحقّ استحقاقاً بناء على شروط أصلية. وغياب هذه الشروط يلغي عن الأحداث اسم التاريخ. فليس للقبيلة **تاريخ حقيقي** مهما كانت أحداثها ويومياتها وأيامها القتالية وقصائد شعرائها، ومهما كانت غزواتها في معترك الماء والكلأ والمراعي والثأر.

التاريخ إذن، كناموس أول، هو سجلّ العافية الاجتماعية **الحضرية** وسجل استقرار واستمرار وعمران، وهرمية مجتمع منظم. فليس للهيئة القبلية تاريخ. بل تستحق التاريخَ ويستحقها إذا ما اقتطعت لها مكاناً في اتحاد شعبي مستقر وصارت أقنوما من الدولة. **لذلك لست أرى من عبارة تعني اللاتاريخ أفضل من البداوة** لأنها جوزة مقتصرة على قشرتها. ليس في البداوة زمان موصوف بل تعاورُ ليل ونهار، وشمس وقمر ودماء وكلاء وترحّل. **البداوة هي اللاأمة وهي اللادولة الحقيقية وهي اللاكيان. ليس الأعاريب عند الله من أحد. وأما العرب والعروبة فهم الحضر وهم التاريخ.**

وهل تجرأ أحد يوماً على كتابة اللاتاريخ، أو على شرح اللازمان؟ وهل عُرفت البداوة يوماً سوى خاضعة أو ملحقة للدولة الأقوى؟ التاريخ لا يتحمل الفراغ السياسي الجغرافي ولا الهباشات المترحلة ولا خُرّاب البوادي والعمران والزرع والضرع عند أطراف الصحراء. **التاريخ يدرك للتوّ أنّ هذه الهباشات مجلبة للتنافس عليها وللصدام حولها وللحروب بسببها.** لبنان هو أبعد شيء عن البداوة وأقرب شيء إلى العروبة الحضارية بشرط ألا ينعزل. **انعزاله موته.**

وهل إذا تمّ إخضاع الهيشة الداشرة والهوية الضائعة للأستعمار وللأستكبار هل يصبح هؤلاء البشر البدائيون أعضاء حقيقيين في نسيج الدولة، وهل تصبح الهيشة جميعاً عضواً حقيقياً ومساهماً في حضارة الدولة الغالبة؟ هل يصبح المواطن العادي أقنوما في الامبراطورية الغازية؟ ـ **لا. المستعمَر ليس حراً وليس مواطناً إنه حيوان ناطق وشغّيل لحساب سواه.**

ويظل الجواب لا، مهما استحلب الاستعمار من نخبات المغلوبين إمكانات فردية وبدداً. الوجدان القومي العميق لا يتجيّر نهائياً فوق أرضه القومية لأحد، وليس يستذيب في سواه مهما كَمَن رابخاً في الطوايا المقهورة. فما أن تلتوي شوكة الاستعمار وتميل شمسه حتى يستفيقَ الوجدان المتجمد في ثلاجة الزمن وصقيع الجهل، ويصحوَ على اختمار معتَصَم ناءٍ أو على تمرد بقعة أو على صيحة قائد استلّته القومية من طوايا أمةٍ مكتوبٍ عليها أن تنهض.

هكذا استفاقت العروبة واستفاقت سوريا واستفاق لبنان، وقد كانوا مخدّرين ومقهورين في خدعة السلطنة العثمانية والخلافة المغتَصَبة. منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت الاستفاقة على خطاب ثوري، وضد طورانية كشّرت عن أنيابها، وضد صهيونية راحت تبخّ سموماً قديمة/ محدّثة. الصحوة جميعاً تمحورت حول **عروبة جديدة** في جميع الأقطار المتعطشة للحرية والاستقلال. **وجرثوم الوعي القومي الجديد كان عروبة تغالب طورانية همجية وصهيونية أنجس من الأصلال، وتقاوم فارسية تعجّم على السكّيت الأهوازَ التي سُلخت عن العراق، كما ستُسلخ فلسطين عن سورية الغربية**. الجرثوم الصهيوني ينوي أن يجعل من فلسطين المغتَصَبة منطلقاً إلى الهلال الخصيب جميعاً بما فيه لبنان ومياه لبنان، ومنطلقاً إلى وادي النيل ومياه النيل، وإلى الجزيرة حيث ستقاسم على النفط، **قبل أن تعيد الناس قبائل متخلّفة ثم بائدة مثل عاد وثمود.**

هذا الإطار هو الأكثر اختصاراً، والأضيق، حول لبنان والبيئة التي لا يملك لبنان أن يخرج عليها. السؤال متى كان لبنان غير معنيّ مصيرياً بما يحدث في القارة العربية جميعاً؟ وأي فترة من التاريخ كانت أقرب، في الوجدان اللبناني، إلى عصر ذهبي في التاريخ؟ راجعوا ذاكرتكم!!

وصلنا إلى المحك والحاقّة وإلى مقطع المياه ومفصلها عند خط القمة، حيث لا يمكن لأي نقطة أن تكون من الميلين معاً. بل ميلة واحدة. مَن أنتم؟ **مَن نحن؟**

ومتى كان لبنان بهذا القدر من الاستقلال قبل هذا الاستقلال الراهن؟ -

ولا مرة. وأنا الداعي لكم بالخير أدّعي **أني الأكثر لبنانية في لبنان طالما نظامه هو موئل ومعتصم ونطاق ضمان للفكر الحر وللصراع الثقافي الحر**. بل إن في النظام اللبناني، في كثير أو قليل، دمقراطية عددية. وأن فيه قضاء مستقلاً أو مناضلاً لكي يستقل أكثر. وفيه حرية أحزاب ومعارضة ونقابات وتظاهر. وفيه صحافة حرة ومجلس شورى يحاكم الدولة. لسنا النظام المثالي ولكننا نقدر أن نعقد اجتماعات وتنتقد وتقترح، وقريباً نقترع بحرية أكثر في الدولة كما في الأحزاب.

99 في المئة من تاريخ لبنان ــ أي البقعة التي صارت لبنان الراهن ــ مشتركة مع التاريخ العربي الأقدم منذ **شمّر وعقّاد** (الاستشراق علّمكم أن تقولوا سومر وأكّاد)، ومع تاريخ الدعوة الإسلامية والفتح الذي تلاها، ومع تاريخ الكنعانيين والآراميين. **وجميع هؤلاء عرب قدامى وأواسط ومحدثون، وكانوا في لبنان الراهن وأيضاً في جميع الهلال الخصيب.**

وما من مرة استثنى التاريخُ لبنانَ من نواميس نشوء دولتنا البرية في العراق ومن الإثم المتوسطي والانجذاب غرباً نحو الشواطىء والمرافىء، ومن التكامل القومي، في العهود الشمّري والعقّادي والآشوري والبابلي والكلداني كما في العهود الراشدي والأموي والعباسي والأيوبي والمماليكي. سرّ تاريخنا، الذي ما استثنى لبنان يوماً، أن قوتنا هي في اتحاد الشاطىء مع الجرود مع الداخل الشامي ومع دجلة والفرات والخليج، وحتى قلب الجزيرة واليمن. والفترة الذهبية القصوى هي تمدد هذا المنطق الاتحادي نحو أفريقيا الصغرى منذ السويس حتى رأس جذور على الأطلسي. إنها تعاضدية اقتصادية بين مختلف أنواع الإنتاج، وبين الأسواق.

ومن نواميس تاريخنا التي لم يغب عنها لبنان أن التوسع العربي الحضري شرقاً في آسيا قلما تجاوز حدود التوسع النسطوري، فيما التوسع غرباً قلما زاح عما توسّع فيه الكنعانيون بناة قرطاجة، وعما بشّر به **المسيحيون (لا النصارى)**، منذ أنطاكية وطبريا حتى أقاصي أوروبا وروسيا. **فحيث كان الأيليون والمسيحيون قد توسعوا غرباً توسّعَ الفتحُ الإسلامي العربي. ولذلك تكلم**

بالعربية بعد الفتح من كانوا على الآرامية والكنعانية وفروعهما، ولم يستوعب العربيةَ ولا تكلم بها من كانوا فرساً أو أتراكاً أو من فروعهم الطورانية والآرية، أو المشبّه لهم أنهم آريون. وما من عجب أن لبنان تحوّلَ للحال من قيدوم في الآرامية السريانية إلى قيدوم في العربية. ومثلَ لبنان وادي العاصي جميعاً وواحاتُ الداخل والكوفة والبصرة. هل أذكّر الناسين أم الجاهلين أن هرقل البيزنطي ـ في العام 626م ـ أي قبل الفتح بعشر سنوات، قرّر أن يعرّب الولاية السورية ـ البيزنطية وأن يجعل العربية لغة ثانية رسمية في الأمبراطورية؟

وهل أذكّر أهل النسيئة والشعوبية أن الهلال الخصيب كان أكثره عربياً وناطقاً بالعربية، كما كانت تتطوّر، منذ منتصف الألف الأول قبل المسيح، وأن العرب السوريين والجزيريين كانوا من أوائل المؤمنين بتعاليم عيسى بن مريم الآرامي الذي تجسد فيه كلمةُ الله وروحُه وفلسفةُ بابل والرواقية؟ وكم مسيحي يعرفون أن مريم العذراء عربية آدومية وليست يهودية؟

أما بأي عربية نطق الهلال الخصيب في العام 500ق.م. فهي اللهجة التي تنامت وتشكلت من تفاعل الآرامية والنبطية وظلت تتطور حتى استقرت في نهاية الجاهلية الأولى على عُليا مَعَدّ والمضرية القرشية.

أخيراً فليدلّني أحد على مستند ماروني رسمي، منذ ألف عام، وهي عمر المارونية، كُتب بغير العربية.

وعاش لبنان!! وسوريا والعروبة!!

أي تحيا سورية!! سوريانا!!

حول كتابة تاريخ للبنان

= حلقة الأولى = 2/1

تعود «النهار» تثير هذا الموضوع المهم، وقد سبق أن كتب فيه كثيرون. واليوم تعود «النهار» مشكورة إلى مقالات استفتاء حول الموضوع المصيري إياه.

وبعد، فلو تكاشفتم لما تراقبتم. ولو كنتم تتحاورون بقصد الاتفاق أو التآلف لما ظل اختلافكم قائماً. وستبقون مختلفين أبداً طالما تحسبون أن التاريخ هو الماضي فحسب وألا علاقة له بغاية التاريخ من الحضارات ومن الأمم ومن الكيانات. لذلك طالما بحثتم جزافاً وعبثاً وباطلاً ـ أيها الباحثون ـ لأنكم تعتبرون لبنان موضوعاً **فوق العلم، ولأنكم تصرون على اعتباره أقدم من الزمن الحي ومن التاريخ الجلي، وثابتاً في الزمان والمكان والوظيفة والحدود.**

إن لبنان ليتشرف جداً بأنه **جزء أعز من كلٍ عزيز،** وأنه مظهر حيّ وفذّ ونموذج بديع ولكن من ضمن التزامه المصيري بمن هو رمز بينهم للفذاذة والحياة والإبداع.

الباحثون والمتحاورون والمتجادلون يُسِرُّون نجواهم ويختبئون خلف التوهّم والزجل، ويحسبون تموّهاً أنهم قد نجحوا في التآمر على السوى فيما المؤامرة تدمّرهم ونظريتّهم في انعزال متعالٍ وفي تنظير مقتبس من أرشيف أعداء لبنان، أعداء المشرق، أعداء العروبة. غير أن أهل العلم والمتبصرين والواطئين أرض الواقع والمعانين للمآسي القاصمة التي تولدها مؤامرات التوهم

والجهالات، ليعرفون إحداثيات لبنان القديمة **الغابرة**، **والوسيطة والراهنة والمستقبلية**.

لذلك يستشرفون بمسؤولية راقية إمكانات الغد وإحداثيات لبنان الثوابت وهويته الواقعية ودوره الأسنى في أرومته وأهله الأقربين. هؤلاء ـ ونحن ـ يعرفون أن خطاباً سنوياً يقارب الدس والتحريض ليس أهلاً لأن يخلق وطناً ولا أمة، بل قصاراه أنه يشعل ناراً قد تحرق وطناً وقد تحرض ما تبقّى من الفتنة الرابخة.

أليس في كل قرن ـ أو في كل جيل ـ «يولعون القبّولة» كأنهم يصلبون لبنان موسمياً فوق لهيبه الملتهم؟ ولكن لحساب من؟

أهل المعرفة مطلعون يقيناً على اسم لبنان وهويته ودوره، ويحفظون على لوح قلوبهم سجله التاريخي الذي ما غاب عنه تفاعل الساحل بالداخل، ولا توأمية سلسلة جبال لبنان وحرمون مع الشرق وواحاته وباديته وتدمر، ومع الشرق العراقي، ولا مع مجرى العاصي شمالاً، ولا مع وادي الأردن جنوباً، سواء أكانت الهوية السياسية فينيقية أم متغيرة ومتبدلة. وما غاب عن أي عقل محلل دورُ الجرود العصية، والشعاب المعتصمات، مع الثغور العواصم، ومع الواحات الأسواق، ومع القلاع والأديار والمعابد والمناسك، منذ ألوف السنين، قبل المسيح كما معه وكما بعده.

والعارفون لهم العقل والحصافة والتركيز حتى يموضعوا لبنان في إطار التاريخ المحلي والإقليمي والعام، وفي التحولات الصغرى كما في تيارات التاريخ الكبرى. هوية لبنان ودوره ومصيره أشبه شيء بالكواكب والسيارات وبالأرض وأخواتها، في دوران متوازن حول الشمس، وبالشموس والمجرات في دورانها حول ما لا نعلم.

الكلام الأدق والأصرح وذو الجدوى العلمية فأن لبنان ما كان يوماً ـ ولا يجوز أن يكون ـ في انعزال معادٍ عن جيرته الجيوسياسية والقومية، وما عاش يوماً على **أساس أنه أطروحة نقيضة للمشرقية أم للعروبة الحقيقية التي طالما عبّرت عن حقيقة التواصل المصيري ما بين المتوسط والخليج، وما بين**

الشاطىء والداخل الحضري والخلفية الصحراوية وحتى اليمن. لبنانُ هو بعض من الواجهة العربية البحرية المتوسطية، والجزيرةُ هي الخلفية الأعرابية المعتصمة خلف فيافيها **كأنها البروليتاريا الخارجية المتأهبة،** في منأى عن الغزوات، لتكون الرفد الستراتيجي المقتحم عندما يهترىء نبض الغزو الغريب والاغتصاب وتدقّ ساعة التاريخ القومي في الحضر المشرقي العربي الموحد مع أرومته جميعاً.

ولا مرة في التاريخ الجلي كان لبنان حقيقة تاريخية أو حضارية **متناقضة، بإرادة نخباته وشعبه،** مع لعبة المصير الكبرى التي يلتعبها مشرقه وعمقه الصحراوي واليمني.

هاتوا لنا مرة واحدة أفتى فيها لبنان الموحد، أم ثغوره المتنافسة، بتميز معادٍ ومنفصل عن تيار الإنتاج والملاحة والقوافل والثقافة والاستهلاك والسوق الواحدة المعتمدة **على الملاحة كما على القوافل** من أعلى البحار إلى عمق الصحراء والشرق البعيد.

الأحداث والحوليات الفينيقية وما بعدها حتى الإمارة والمتصرفية والانتداب والاستقلال، لم يكن لها يوماً **معنى منفصل ولا متفرّد** عما يهتز له المحيط المصيري سواء في مشرق أم جزيرة، ولا في قرطاجة، عندما اكتمل وعيها المغربي والمتوسطي واستغرقها الصراع ضد التنين الروماني. **هانيبعل هو أول منظر جيوسياسي لستراتيجيا متوسطية كنعانية عربية.**

؟ أيُّ أحداث لبنانية، **مرادة بدعم شعبي واضح،** توخّت يوماً أن تقاطع المجرى الحضاري الإقليمي العربي أو اللغوي أو الاقتصادي أو العسكري، **فيكون للبنان إذن ــ وأي لبنان ــ ناموسٌ تطور مختلف أم غائيةٌ متماسكة مع غير العروبة منذ ستة آلاف سنة؟**

القصد أن العروة الوثقى المتعددة الوجه واللفظة والركن التي اعتملت منذ ستة آلاف سنة ما بين شمَّر وعقاد واشور وبابل وكلدة مع كنعان وآرام في الغرب المتوسطي **هي إياها العروة الوثقى التي راحت تتصف بالعربية المُضرية منذ أن توضّحَ دخول القوافلية البرية والصحراوية توأماً مكملاً ومتمماً وموسّعاً لقوافلية**

البحر والملاحة. السفينة الشراعية وذات المجداف هي الركن التوأم للجمل ولقوافل طرق الأفاويه والحرير والجيوش والفتوحات والتوحيد، مقترنة ببؤر الزراعة والحِرَفِ والثقافة والأبجدية واللغة الأمّ الواحدة ذات اللهجات المتطورة التي صبّت جميعاً في العربية المضريّة القرشية. ترى هل من عبث أم بصدفة غشيمة إن سادت عُليا معدّ على جميع التوائم ووحدت جميع الناطقين باللغات الشامية (مع تشديد خاص على حرف الشين بسبب عدم وجود السين في جميع ما سبق المضرية القرشية)؟ فكيف إذن صاغ لكم اليهود وجود اللغة السامية الوهمية (بالسين) **واللغات السامية** التي حشروا فيها العبرية، وما هي بلغة حية قبلاً وبعداً، بل بربرة غجر وبالكاد استقت من العامية الفينيقية بعض عناصر الوجود والهوية. وإلا فلماذا كُتبت أسفار التوراة الأهم بالآرامية السريانية؟ ولماذا تكلم المسيح والحواريون بالآرامية لا بالعبرية؟

فما هو هذا «الشعب ـ الأمة» الذي يتكلّم لغة سواه والذي يخاطبه المسيح بلغة غير اللغة العبرية الميتة؟

هل من قومية حيّة ذاتُ لغة ميتة؟؟

النهار حلقة أولى ـ 22 نيسان 1999

حلقة ثانية وأخيرة.

مَن مِن أصحاب الخطب والنظريات الجزئية يفسر لنا أحداث القرن التاسع عشر، ثم فتنة القرن العشرين العام 1975، ثم التوجه الشعوبي الراهن الذي لم يتعلم شيئاً ولم ينسَ شيئاً، بقدر ما أنه يفكر بعقول أهل الفتنة وبمنطق «كمب ديفيد» والصلح مع إسرائيل؟ **من يقدر أن يفسّر لنا إمكان مصالحة تاريخية وثقافية ودينية ـ وإبرهيمية ـ مع اليهودية والفريسية والصهيونية ومع بروتوكولات صهيون؟ وما علاقة إبرهيم باليهود؟ بل هو إبراهيم من حواريي ملكي صادق الذي كان على رتبة المسيح. وإذا كان إبراهيم آرامياً ويتكلم الآرامية فكيف يكون العبرانيون أحفاده وهم يتكلمون العبرية؟**

ترى هل ستظل وظيفة الانعزال أن تؤمن عودة الصليبيين إلى مواقعهم في الفردوس المشرقي المفقود منذ حطّين، والذي لم يدم لهم طويلاً **بعد ميسلون؟**

هذا التحريج المصطنع لتدبيج **ملحمة تاريخية لبنانية مستقلة استقلالاً تاماً عن المصير المشرقي العربي** بماذا يختلف عن مشاريع تواريخ يسعى إليها مهووسون آخرون قُطريون وكيانيون وشعوبيون في جميع الدول العربية المتحصلة من تدابير الاستعمار منذ البرتغال وهولندا، ومروراً بفرنسا وبريطانيا واسبانيا وتركيا، ووصولاً إلى الأميركيين، ولولا قليل إلى النفوذ الياباني المتحفز تأميناً لنفطه العربي؟ إذن سيكون لنا حوالي العشرين تاريخاً للفتافيت كما للجبابرة من تاريخنا، من المحيط إلى الخليج ومن الشواطىء إلى الصحراء، ونزولاً إلى قبائل كبرى تطمح أيضاً لأن تنال حظوة، كما الاتنيات التي يدغدغها الاستعمار الأميركي كي تعلن قوميتها واستقلالها تمهيداً لاستغلالها **في مشروع إلغاء العروبة ومقدمة لمحو الإسلام والمسيحية المشرقية، وطليعة لسيطرة إسرائيل ولبناء الهيكل الثالث. تُرى متى كان الأول والثاني؟**

العجب أن هذه المعارف لا تستوجب فحولية فكرية لأنها واضحة كالشمس، غير أن أقلام العبودية تتنظم سريعاً، في هذه الفترة، لكي تكتسح آخر المعاقل المجاهدة والرافضة الخضوع للاستكبار العالمي الذي أخذه البطر منذ أن انهار الاتحاد السوفييتي بغير ضربة كفّ ولا إطلاق قنبلة ولا انكسار في ميدان. ما هي مصلحة لبنان في هذا التهافت المعيب والمريب؟

وبدلاً من التضامن في معركة الفناء هذه تزداد الصيحة المصطنعة لتدبيج **تاريخ لبناني لا علاقة له بالمستقبل ولا بماضٍ حقيقي وواقعي،** وكأن التأريخ أرشفة ناشفة ويابسة. أليس يرافق هذه الموجة المجنونة كتب تأريخ للطوائف وللعائلات وللقرى وللإقطاع ولعنزة بو طنوس وللشيخ قعدان وسلمان وجريس ومارون ونقولا ولجميع حطام الأمة وإشلاء الوطن ونتف الثقافة المومياء؟

أهذا التفشير سيولّد مقاومة؟

ومتى ستنهض **النخبة المعاكسة حقاً** وتقوم بالهجوم المعاكس على كل تنين همجي وعلى كل تنظيم خبيث يتأكّل جوهر الأمة كالسرطان لتنهار القلاع ـ وأولها لبنان ـ أمام زحف اليهودية؟

علم التاريخ واضح: إنه تأسيس للوجدان القومي المستقبلي. والعولمة جميعاً وجميع البهورات لن تلغي جوهر الوعي القومي الخالد، ولا نواميس النشوء والارتقاء في إطار الوطن والقومية.

وعلم التاريخ يبتّ أن القطر ليس يصبح هو الوطن المرتجى، وأن الكيان ليس يتحول إلى الأمة الحقيقية والمرتجاة. فلن يستغني المشرق الواعي عن قوميته الاجتماعية ولا عن عروبته، كما أن لبنان لن يستغني ـ ولن يبقى ـ بغير مشرقيته العربية. وكل حلم آخر فهو إضغاث ليل وويل وجهل يضخّها الاستعمار وإسرائيل في عقول مجهّلة قصداً عمداً كي لا تعود تدرك عبء المصير ولا تعود مؤهلة في معترك الصراع والبقاء.

وأول التشويه تشويه الهوية وإلغاء القومية وعرقلة القومية الاجتماعية وتهديم صروح المعرفة والإعلام والتعليم.

أليس ذلك ما هو حاصل اليوم؟

تاريخ لبنان ينبغي أن يُكتب بصدق وبذهنية زمان مشترك تقاسمناه أبداً مع مشرقنا ومع عروبتنا، ولن يكون غداً بأي حال مع إسرائيل والصهيونية واليهودية. إننا لنستشفّ تشريخ الصراع القديم والمتواصل ما بين المسيح المطلق واليهود، وما بين النبي محمد واليهود، وما بين العروبة الحقيقية وجميع الشعوبيات التي طالما شحّمها الاستعمار ضدّ جوهر العروبة وضد وحدة الأمة.

اكتبوا تاريخ لبنان السياسي، ولكن لا تعمينّكم السياسة الجزئية عن الحقيقة القومية ولا عن العروبة الحاقّة. إذاك فكأنكم تركّبون محرك الطيارة على الدراجة الهوائية، أو كأنكم تكدنون الحمار ليجر القطار.

اكتبوا للبنان تاريخاً يربي الفتوة والمدارس والأحزاب جميعاً والعقائد

جميعاً على ثوابت الصراع الأزلي ضد إسرائيل، وعلى ميثاق تربوي واجتماعي وقَسَمٍ أبدي على عدم نسيان فلسطين والقدس، وعلى عدم المصالحة الثقافية مع إسرائيل أياً كان حكامها.

الحيات، كما قال المسيح، لا تلد سوى الأفاعي. وأفاعي إسرائيل لا تكره شيئاً ولا أحداً كرهها لبنان. **إسرائيل تكره لبنان أضعاف ما تكره العرب أجمعين.**

النهار - 23 نيسان 1999

فتى الفتيان الشيخ عبد الله العلايلي

دخلنا بيته خاشعين. وإنه لمحراب قومي. فيه علم وتقى، وفيه رأي أصيل، وذو مواقف قدوة طوال نصف قرن.

قال عندما كان يعزّ قول وموقف، وكتب في كبائر القضايا السياسية والأدبية والفكرية واللغوية والقومية. نشر في أجلّ المجلات والجرائد. اعتلى المنابر وأمعن في الرأي الحر أيام الطغيان المستشري. هاجم الفساد المتعدد في أوجار الفساد الظلوم وأوكار أهل الاستبعاد فاضطهدوه وحرموه وأبعدوه عما كان يستحقّ من مواريث رتبته ومقامه ومعراجه.

ألّفَ لنا وللأجيال، لطلابه ولمرِيدِيه ومقدّريه كما لخصومه وأعدائه وللزمان الحادي بفضله. ألّفَ القواميسَ والموسوعات والكتب والاجتهادات الأجرأ في حاضر اللغة العربية وجذورها واشتقاقاتها وتفاعيلها وتراكيبها وإعرابها.

ترجم في العلوم والتقنيات الحديثة فاستنبط واشتقّ واستخرج، من ذاكرة اللغة ومن السابقين الأفذاذ ومن المتون العتيقة والأصيلة، ما يضاهي اشتقاقاته الجريئة والصيغَ التي نبغ بها وفرضها وسيّرها في العقول والمفاهيم والأقلام وفي اللغة الغالبة المعاصرة.

منذ أكابر أعلامنا ومطالع تاريخنا وأفذاذ أقدارنا وعلمائنا وعباقرتنا، ومنذ أساطيرنا وكتبنا المنزلة، ومنذ الجاحظ وأبي تمّام وأبي حيان التوحيدي ومسلم

وابن قتيبة والمتنبي والمعرّي وابن جني وأكابر النحويين، كنا حَسِبْنا أن الوحيَ اللغوي قد انقطع أو قد تمّ وانتهى، وأن ينابيع الإبداع قد نضبتْ وأن الرحمة شَحَّتْ عن العربية وأنّ الله قلانا. وحَسِبْنا، في العالم العربي جميعاً، أننا مجترّون اجتراراً غشيماً وعقيماً تعابير الأمس، وأن مآتي الحضارة الوافدة علينا والغازيّنا سوف تنيخ على عقولنا وألسنتنا بلكنتها المنتصرة على يباب الألفاظية المتحجرة. **فما هو إلاّ أن امتشقَ ربُّ العربية لنا، من أصلابنا، نابغة عبقرياً تصدّى للتحدي اللغوي الحضاري الاشتقاقي في مرحلة تخلّف عقليّ وتهافتٍ انحلاليّ إزاء الاحتلال الحضاري الزاحف والقاهر.**

جاحظُنا المعاصر امتشق ذاته من القمقم المقفل ومن الكهف المسدود والمسحور، كما انتضى أبو الطيب المتنبي وانتفض بعربية نبوية وبشهامة فكرية أشبهية، وكما هوّمَ كالنسر الأوحديّ فوق تلجلج الألسنة المستعجمة، ولكنة شويعر وقزم، وترجرجِ ناثر ببغاء، وكتبة يجترّون السخافةَ والتقليدَ والتفلَ التافهَ في بلاطات الأتابكة والترك والديلم.

يقينه، فتاناً، أنه لا تقوم قومية حقيقية بغير لغة وثقى وبغير أدب يوشّح المحرومين والأميّين بقضية وهوية، فيسرّح للأفكار سبلَ العبارة ذُلُلاً ولونيّاتِ اللغة وأشكالَ القول المبين.

فتى الفتيان تسامَقَ وتسامى قنّة بعد قنّة، متعامياً عن العدوان والبغضاء وعن استبداد الحثالات وعن طغمة الكافرين بالعلم والحرية وبأهل العلم والأحرار. دينه حرية. وديدنه التحدّي الأكبر في معمعان التزلّف والتذلّل والتمدّح والاغتياب. المنابر هي سعت إليه، والمطابع هفت إلى ثمرات روحه. وعيون العرب العرباء دمعت سخيّاً إزاء ما كان ينثر من درّ خالد ومن يقين عام ومن بلاغة تتوكّد فيها الذات القومية ثقة وثراء وثقافة.

له الله أيّ فتى الفتيان كان، وأيُّ نابغة عبقري هو وسيظلّ، طالما أننا إلى ألف جيل وإلى منتهى الدهر ناطقون بالعربية الجامعة وبلغة تنزّلت على حبيبها كما لا أحد، ثم اعتنقها أحباؤها كعشق المؤمن للجنة وكعشق الشهداء للخلود.

يا فتى الفتيان، يا عاشق البلاغة والبيان، يا مقلع الفصاحة، يا أبلغ من

عليها، يا حصيف الحرف والعبارة ويا أشبهيّ الأشتقاق الأجرأ، **كيف يكون اسمك سوى الشيخ عبد الله العلايلي؟!**

قولَ الحق أوليتُكَ يا ناسك القلم في شيخوخة مباركة منتجة! طال عمرك **باسم لغة هي عروةٌ وثقى كما لا شيء سواها.** إن قدوتَك لمثال يُرتجى. أُخلدْ على عرش رصفتِه لك أيادي العرفان بفضلك، واستحقَّه لك نعمةُ ربك عليك وعلى عروبة تكاد تكون يتيمة لولاك في أيامها العجاف.

أنت رضابٌ على يباسنا يا عملاق هذا الجيل. طال عمرُك. وإن صداقتك لنا لشرف من مشارف عمرنا. وإن فتاويك واجتهادك وتأويلك ليشرّفن كل اجتهاد حق.

رجوتك سيدي لو تتقبل مني هذا التكريم أيام لا خيل نهديها ولا مال. وأما المترفون فإن الترف لكنود. ولكنّ عزّك أسمى. وإن نفحة ربك الحسنى عليك لأبهى وأجلّ مما تتورّط فيه سمعتنا في معاهر المواخير.

يا أهل القلم، يا أنسال التقى والبلاغة، ويا أبناء أصلٍ يتذكر العلماء المخلصين، مجّدوا هذا الشفيع حياً، طال عمره.

هل تقبل احترامي وإجلالي؟

آمين.

بو فارس الأمين جورج معلوف

لا هو كان يستحبّ الاسم الطويل، ولا نحن. إنه بو فارس. وإنه للفارس الأحد الصمد، بغير منّة ولا بهورة. بل أريحيّ نسيج وحده يقارع الدهر بموقف، ببسمة، بمثل عاميّ، بقولة ذات حكمة. النكبة القصوى تأخذ من عمره برهة، لمحة، وقفة عزّ. ثم يكمل المشوار مستنداً على عصمة من إيمانه ومن نهضته ومن صداقات ربّاها هو كما شتلة الأرز كما نصبة الزيتون، كما كروم الخير وقد اشتقّها في الصخر الأصمّ، وفي المجتمع العقوق، وفي دهر أعمى وأقدار تحرّض جدلية صبرٍ وإيمان وجهاد مثالي.

كان يغضب علينا غضبة نهضوية مؤنّباً متجرّءاً كما لا أحد. وإذا ما أخطأ هو ورَمَحَ بعيداً وشَلْفَطَ ونأى، ردَّه إلينا وردّنا إليه تحدٍّ خلوقٌ ومناقبية تشرئب من أغوار نفس سبحانه كم كلّفه نسجُها من دقّة ورهافة وجود وسخاء!!

في فترة صعبة مرّت بنا على خلاف وعبسة زمان، توزّمت الحال حتى خلنا أننا هالكون، وأن المقدّر قد وقع، وأن العصبة العصماء إلى تشرذم مقيت. وكان بو فارس قطباً في الخلاف. وقيل وقالوا. وتدخّل أقارب وأحبّة ومسؤولون فما تحرّك وترّ نحو المرتجى. وكنت أنا من معارضيه ومن رأي خصمه. وأشهدتُ معي أقرب عائلته، وفي بيتي. فأجمعوا على رأيي ضدّه ومع خصمه في المعمعة. فازداد حرداً بو فارس وأسمعني وأسمعنا جميعاً ما لم نسمعه من أحد وما لم يتجرّأ عليه مخلوق، وأنا إشبينه في الميرون، وأم عليّ عرّابة ابنه الشهيد.

فلم أنتفض على ما فاه به بل شكرته على جعلي رأس العداوة والأسوأ والشر، وهو يعرف براءتي. فصَفَنَ إزاء النكتة كالجلمود، وقدّر لي تمرّدي على الغضب. وأذعَنَ كبيراً. ففرضتُ عليه ما تأباه الجبال من اعتذار للخصم المظلوم، ومن ذلّة مؤدّبة، ومن ألف عقوبة. فوالله أذعَنَ وأطاع. وكسرَ خشمنَا جميعاً بدعوة إلى وليمة لا تزال أطايبها تحت اللسان، وكلماتها وروحيةُ الودّ المستعاد. ولا أذكر كم واحد قد بكى.

بو فارس أشبهيٌّ مضا كما تمضي النسور وحيدة في شعاب حرمون. مضا بكبر بصمت بوفاء بجود وبأمانة وبرفاقة قلما حملها أفضلَ منه أحدٌ. هذا الطود مثال لنا جميعاً أنّ الأمّة لتبقينّ طالما أشرابٌ من صُلبها وأرحامها أشباهُ بو فارس، مهما قلّوا.

أتقولون مات!! النهضة لا تعترف أن الموت فناء بل صيغة أخرى للحياة. ذكراه حياة. مناقبه خلود ومقلع رجاء لمن يستحقّون. ولست أراه، في التخيّل، في خلوده إلا هازئاً من مصاعب كونٍ وَدَّ اختزالَنا فغلبناه بالتعملق، وقد مُنحنا نعمة نهضة ذات ألف مرتبة من التسلّق المستحيل.

بو فارس عَمْشَقَ حتى لما يُرى، ومترَسَ في حرمون في الشاهق اللائق بالخالدين. والبقاء للأمة.

الشاعر جودت حيدر

أُقيمت حفلة تكريم للشاعر والمربي جودت حيدر في قاعة أروين هول بالجامعة الاميركية اللبنانية: LAU. وكان لي شرف تقديم جودت حيدر.

20 آذار 1997 بيروت.

* * *

أيها الحفل الكريم،

نحن مقبلون الليلة، في النيّة والوجد واللهفة، إلى جلسة شغف، وحضرة أُنس، وإلى مقام شطحة وانخطاف.

وإمامُنا فتى في التسعين وأكثر، يساقينا خمرة عُلوية من مقامات شعره ونثره. وسيلقيها، كما خَبَرتُه، إلقاءً يفعّل النصّ، كالترتيل، تأسّياً واقتداء بكتاب ليس له شبيه إلا من ذاته. ورتّلِ القرآنَ ترتيلاً، إلاّ قليلاً.

سيُلقي جودت حيدر شعراً ونثراً، بالإنكليزية الشكسبيرية، وكذلك بالفصحى من عُليا مَعَدّ. وسيظلّ الشعر مرتاحاً على أرائك الأستبرق في مراقيه، وسيظلّ النثر متربعاً على سدرته، بغير تزاحم ولا تنافس. إنّ بينهما لبرزخاً ولا يلتقيان. وكلٌّ في فلك يَسْبَحون. وتُقرأ يسبّحون. والقراءتان جيّدتان.

أيها الحفل الكريم،

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن ناطقاً أو لم يكن سمّيعاً بصيراً؟ ولم يكن عاقلاً، ولم يكن طموحاً؟

وهل أتى على الله حينٌ أو حال، من الدهر، لم تكن ذاته كلمة وكلاماً؟ وإلا كيف كان الناس عرفوه أو كيف كان تجلّى لهم بغير أن يروه؟!

الكلمة إذن مقدسة والكلام. والمكان والزمان هباءٌ خام وسديم لولا الكلام، وبغير الإنسان. الأدب بشقّيه كلام. والكلام الحقّ حرية.

لذلك ينصّ ناموس الحرية أن أدباً حقيقياً وطقوسَ عبودية واستبداد لما يجتمعان. ليس في الأدب طغوى ومحرّمات، وليس في الإبداع أسلوب مختار وكفّار، مهما ادّعى السلف الصالح ورسم في عصور الاستبداد. موقفنا أن الحرية هي تصنّف ذاتها، وتفرض ذاتها، وليس يعلوها شيء أبداً. السلف الصالح كانوا رجالاً ونحن رجال. وكلٌّ في عصره. والله لا يموت والدهر قائم. والصلاح لم ينقطع. ولسنا نتّهمهم. ولكننا لسنا نقلّ عنهم. نحن حُماةُ حريتنا وحقيقتنا وأصلحُ منهم طالما نحن أقلام حرية في معارك الحرية، وفي الصراع الفكري النهضوي ضدّ كل استبداد واستعباد وفساد. الأصغر في الملكوت هو أكبر من المعمدان. والمعمدان كان خير من ولدت الأمهات. وهذا الكلام للمسيح.

نحن أقلامَ الصراع الفكري، صنعنا قدرنا وارتضيناه، ونحن أعداءُ النفاق والمنافقين أنّى كانوا وأيةً فعلوا، لأنه، في العربية بالأخصّ، لا يجتمع بلاغة ونفاق. البلاغة صدق. والنفاق لغو مهما تستّر. والمنافقون خُشُبٌ مسنّدة مهما كان المساندون. ومن العوسج لا يُجنى عنب.

البلاغة بالعربية هي الحق. وهي النسغ الأبقى والأقوى. وأقوى من كل غاشم. البلاغة هي التقوى سواء في إيمان أم في مناقب أم في تعبير. وجودت حيدر من هذا الرعيل الأسنى، وإلا لكنا ضدّه ولو على هذا المنبر. ولكنّ قامته الأدبية ونهضويته وأصالته يجعلن هذا المنبر محراباً. ألا صلّوا على القلم الحرّ وسلّموا!

الناموس التالي في الصراع الفكري أنّ الأيمان الحق والبليغ هو نقيض التعصب والعرقية واليهوهية والتزمّت، وأنه المجلّي في الجدلية ما بين محكم ومتشابه وزائل ودائم ودائل. يقيننا، على شبه جودت حيدر، أنه إذا كانت اللغة

هي مرجعية المعاني والتفاسير، فالأدب الحيّ هو مرجعية الاجتهاد والإبداع. والحرية والإبداع هما ركنا الجسر الجامع ما بين أحرار الفكر وأقلام الحرية مهما اختلفت مشاربهم ومللهم. الكفر ملّة واحدة. والحق ملّة واحدة.

الأدب الحيّ إذن هو المأوّل والمجتهد والمجاهد والمجدّد حتى في المتون العقدية الثوابت. وهكذا فقط لا يعود يقيّدها لفظُها، ولا يحجّرها كهانُ الطقوس. والأديب فمن يستلّ روحها، ويطعّمها بالنور، ويخوض، بحرية العقل والتدبّر، في لجج الصراع المصيري. والعقل الأمام هو القائل إن التعددية الفكرية هي أمُّ الدمقراطية وأمُّ الأوجُه في النصوص المحكمة. لأنه لو شاء المنزَلُ ـ حتى المنزَلُ ـ أن يكون أوحديّ التأويل كلفظه الظاهر **لكان قد قال، ولكان بطَلَ و أبطَلَ سواه**. ولكان استبدّ. والاستبداد إلغاءُ الذات قبل السوى.

ولكن العكس هو الصحيح:

1 ـ لأنك لست عليهم بمسيطر.

2 ـ أأنت تُكرِهُ الناسَ أن يكونوا مؤمنين؟

3 ـ لأن السبت خُلق للإنسان، لا الإنسانُ للسبت،

4 ـ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

5 ـ ولأنه ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.

فهل يمكن إذن أن يكون إكراهٌ في الأدب؟

* * *

الإمام عليّ قال، في التعددية والتأويل والتنزيل، قولة ليس مثلُها وليس فوقها: قال: «القرآن بين دفتي المصحف ليس ينطِق، وإنما يتكلم به الرجال».

ليس ينطِق ـ ليس يدلّ بذاته وليس هو يفسّر ذاته.

ولكن يتكلم به الرجال أي يفسرُه ويتدبّره القارىء الحصيف في كل زمان ومكان ومقام. والرجال عقول متعددون، وأفهام متمايزون، وآراء مختلفون.

واختلافهم رحمة. وكل أوحدية استبداد. والاستبداد رجعية.

لقد نُقل عن الإمام عليّ قوله: **المرأة شرّ كلُّها وشرُّ ما فيها أنها لا غنى عنها**. وأنا بسلطاني أعارض هذا النقل وأرفض أن يكون الإمام علي قد قاله، وبخاصة أن الحرف العربي آنذاك غير منقَّط ولم يكن على رسمه الراهن. **الإمام عليّ قال لا ريب: «المرأة سرّ كلُّها وأعظم سرّها أنها لا غنى عنها**. ولا يمكن، وحوله ثريّا من خير نساء العالمين، إلاّ أن يكون هكذا قال.

النقل الببغائي إذن يميت النصوص، والأرشفةُ المحايدة تحنّطها. أما الأدب الحيّ فيحييها. إن الأدب المتمرد لقيّوم. **والجميع في الأيمان واحدٌ بتوحيد صوفي، وبوحدة فلسفية ثقافية عقلية لا وحدة حسابية رياضية. إنّ التوحيد لشأن عقلي بالامتياز.**

إن العقل لغةٌ وثراءٌ روحي بغير تزمّت ولا غباء ولا لغو. وأما الغباء ويحكمْ فأقربُ وسيلة غشيمة وعقيمة إلى الغيب السحري، وإلى التوهم والانحطاط والعبودية.

هنا نلتقي أيضاً بجودت حيدر: فإنّ للكلمة عنده منازلَ تتجاذبها المعاني والمقاصد والجَرْس الخفيّ. وجودت حيدر يستلّ آلآه من تجارب عمره، ويصوغها آياتٍ شعرية ونثرية باللغتين، وبأسلوب يصدّ أن تُغيَّر فيه كلمةٌ واحدة. ويتحدّى.

* * *

وبعد، فالقصيدة كالمقالة، إمّا يبتدرْها الجَرسُ الخفيّ وتُرضِ الفؤادَ تصبحْ هويةً وعَلَماً وخلقاً جديداً، وشراكة في الخلق، وخلافة في الأرض.

أحدكم قال لي إني بالغتُ حتى الشرْك. بل قولوا بلّغت بالحق. وليس لأحد أنْ يكفّرني لأنه لم يعطَ لأحد، ولا حتى لندامى السدرة، **أن يبِتّ في مخاض الكلمة، وفي انبثاقها، وفي تجلّيها.**

ولم يُعطَ لبشر قط أن يحيط علماً بجدلية وحيٍ ووعي، أو بجدلية حلول الوحي في الفؤاد وكيف يستحيل كلاماً. وتذكّروا أنّ الوحي تنزّل على الفؤاد لا على اللسان. الوحي واحد والألسنة عديد.

ولم يعطَ لبشر قط أن يؤكد أنّ الوعي واللسان والقلم أهلٌ أو على قدرْ استيعاب الوحي كلّه.

لذلك أشار الوحي أنه مردَف بنعمة العقل والتأويل والتدبّر. وإلاّ لبقي الناسُ بغير كتاب ولا سراج منير.

ومن ذا يجرؤ فيقول إنّ المعاني الموضوعة تستوعب معاناة الروح مهما كان ثراء الكلمات؟.

ترى هل كلمات الشعر هنّ ذات الشعر؟ ـ لا. وإلا لماذا لم يقل شعرَ المتنبي سابقون له أو لاحقون طالما الكلمات جميعاً في القاموس؟؟ المتنبي أجلُّ من أن يكون ببغاء قاموس، كما عليّ والقرآن، وكما بولس والإنجيل، وكما الأحرار وعقائدهم.

جودت حيدر، كغيره من القلة العباقرة، وَلَجَ القاموس إياه، لكنه أعطيَ أن يبعث الكلمات القديمة بعثاً جديداً بفضل صيغة أسلوبه. لقد شحنَ الكلمات بتباريح روحه ووجده، ووشّحهنّ ببكارة عنقاء برغم ما قد طَمثَهنّ واستهلكَهنّ من قبله كلامٌ ونصوص وأقلام، وإنس وجانّ.

الأدب الذي ستسمعون هو أدب قيوم متمرد مشرئبّ ونابض.

* * *

استرخوا واستمعوا وسرغسوا لآيات ولأوتار هذا الساحر جودت حيدر، أديب اللغتين.

بيروت 20 آذار 1997

حول رسائل حبّ:

من أنطون سعادة إلى أدفيك جريديني
ثمانية عشر بلاغاً في الحب

الرسائل حصيلة التقاء نجمتين، في ذلك الزمان، وشرارةُ وجدٍ قدسي تحصّل بينهما. ولكننا نشعر يقيناً بأن الرسائل موجهة أيضاً إلى الزمان الذي يمتلك كل شيء، كالبحر، والذي إليه ترجع الأمور وتؤوب. ويقيننا، مهما بالَغنا، أننا سدنة الزمان القومي الموروث منذُ مطلع الدهر. **كل قومي حقيقي هو قائم الزمان.**

القاسم المشترك بين المعلّقين تعجُّبهم أن الرجل الفذّ قد أحبّ، وأنه باح أيضاً وتغزّل، وأنه يستخفّه العشق ويسعده، وأن قلبه خافق يَجِبُ. الصدمة لدى القراء أن **الزعيم** قد يخرج، لسبب ما، من التمثال الذي يسكنه، ومن الأيقونة، وأنه أرخى العنان لفؤاده المعنّى فتضوّع منه أدبٌ منقّى كالبلور وصافٍ كماء مترقرق.

الرسائل طلّة استباحها الرجل من كوّة خلوده، مثل شرّاقة الزنزانة، ليذكّر صحابته بأنه كان من لحم ودم مثلهم.

ونحن، وأيّ معرفة عرفناه وبأي علاقة وأي التزام وتعاقد، فقد حقّت علينا قراءةٌ أخرى مختلفة، بمسامّنا، وبلهفة ذوي القربى، وبغيرة الوارثين. إن لنا في الرسائل حصة كما للحبيبة التي تَبَلَتْ فؤادَه. طوبى لهما!!

إن واحدنا، **من النخبة المعاكسة البديلة،** ليقرأ الرسائل ـ الإرث كأنه وسط جماعة منا في جلسة رسمية افتتحناها باسمه والأمة، أياً كان موضوعها فإن لها طابع الانضباط الأقصى المتوجب إزاء عظائم الأمور. فكيف إذا كنا

نقرأ، بعد طول انتظار، رسائل كانت موؤودة وأمرها شائع بيننا؟!

لذلك قرأتها، وقرأناها، على أنها ثمانية عشر بلاغاً في الحب. وثمة منبع الأزمة: فالتأويل الحرّ بعدد القارئين، والتنوع وقفٌ على مواصفات العاشق الفذ المتميز.

رأيي، وحيداً، أن كاتب الرسائل اثنان لا واحد: أنطون سعادة المجنّح هياماً، وزعيم وقور يشوهر على المشهد كله من أعلى عليين، يكعم القلم دون الزلل، يروّق الأجنحة دون الزوغة النشوى. الزعيم المطلق يَزَعُ **الرفيقَ أنطون العاشق** دون تمادٍ قد يمجّه يوماً قاموسُ الترسل الأعلى ونواميسُ النهى.

ولكان ينقص الرسائلَ المحبوكة كالمسد **أن** يقول الرفيق أنطون لِحِبّه تبلّغي وبلّغي!!. ثم يختتم بالمثاني الحزبية.

المحذوف من الرسائل هو أن **الزعيم** قد اطّلع على حالة **الرفيق أنطون** وأنه سمح له بكتابة رسائل حب **على أن تكون بمواصفات مثالية كمثل كاتبها أنطون وعرّابها الزعيم**. فالعواطف بمقدار. والوله بغير إمعان.

الجدلية الحقيقية أن الكاتب اثنان: واحد مندفع نحو البوح الحر، وثانٍ متحكم بالحكمة، مترصّن بالوقار الأسنى. وما من رسالة استقرت ديباجتها إلا بعد تجاذب العملاقين، وإلا بعد أكثر من عبسة رادعة وازعة. الصياغة حصيلة شراكة ضيّقة ومتزاحمة، وكلٌّ محقٌّ في رتبته ومقامه. إني أتصورهما، على ما بينهما من تمايز أدق من الشعرة، يمعنان تدقيقاً وتنقيحاً حتى استقام النص المجنّح واعتدل في أحسن ديباج، لا تزمتاً ولا غرارة بوح.

الزعيم ما غاب لمحة عن صهوته ووقاره ومهابته، مراقباً صنوه وتوأمه أنطون مخففاً من غلواء قد لا تَحسُن في أعين الدهر الآتي.

وكما أن في الخمر معنى ليس في العنب، فقد حدب **الزعيم** على النسر المولّه فلا يعلقنّ على خوافيه ولا القوادم غبرةٌ من انتقاد. ولعله نجح!! بصيرته ظلت تخترق ضباب الدهر بقدر ما كان يحدس أن يوماً تموزياً ليس ببعيد، وأن

ثمة مشهداً مطبوعاً على حمرة شفق مدمّى، في ضحى مأساوي مرسوم ومحفوظ على لوح لبيب.

برهة واحدة ما انفك الزعيم يكرز في وجدان صنوه أنطون وأقنومه أنهما في هذا العالم بلى ونعم، ولكنهما ليسا منه: «إن حدود إسرافنا ومناقبنا لأضيق من خرم الإبرة. وغرامنا فمقتصِر، وشوقنا فبمقدار. إننا لمنذورون. فلا تأخذ حميّا الحب منك أبعدَ من حق النضال، ولا يتسجلّن عليك نأمةٌ من تخلٍ!!

«زعامتك يوماً، في تجليها الأبهى، فأن صورتك وحقيقتك وباطنك كلٌّ منصهر. فإذا ما صُرْتَني يوماً وتقمّصتني يا فتى الربيع، واكتمل عليك رضى سورية الملكوت، وحلَّ فيك الوجدان الأعظم، فتيقّنْ أن ساعتك قد أزفت، وأن رصاصات الدمدم المجهزة لاغتيالك مكتوبة في سجلّ الأستبداد وفي غيب الليالي. معراجك مرسوم منذ العرزال حتى أقاصي سورياك وأقاصي العروبة والأرض. أنّى توجهتَ، فستلقى وجه آدون وجلقامش وتموز وأنظومة الآلهة والشهداء المطوبين.

«أمثالك ليس يجْنون ما زرعوا، أمثالك يضمّخون الزمن ويمضون إلى أفق مستحيل، فلا تجعل رسائلك معثرة!!

«ازرع وارحل يا أنا!! إن غارنا الموعود لأحمر قانٍ مثل أرجوان الضحى. ولن تستقدم ساعة ولن تستأخر».

* * *

أختتم بشكر السيدة أدفيك جريديني شيبوب على أنها كانت الموحية الأرقى للرسائل، وأنها كانت المحرّض التي عاد فأكد الصورة العليا المتكونة عن الزعيم في مخيلة تلاميذه الأكثرين. والشكر الأقصى بعد مقدمتها الرائعة والرصينة أنها حفظت هذه الرسائل من عوادي الدهر والقهر والغزو والضياع. إن لك فضلاً عميماً في قلب كل نهضوي وفي وجدان كل متأدب وفي فؤاد كل وفيّ أمين. لبنان يشكركِ وسورية والعروبة. ومقامكِ في سجلّ النهضة محفوظ.

شوقي خيرالله

السفير 20 أيار 1998

في ذكرى عمر أبو ريشة

أهدتني السيدة أدفيك شيبوب نسخة من **رسائل الحب**، وأصرّت هي وصديقتها راغدة جابر ـ وصديقتنا ـ أن أكتب عن الكتاب. فتخوّفتُ ألاّ تنشر الجرائد تعليقي عليه. فتعهدت السيدة أدفيك أنها كفيلة بنشره في السفير. وهكذا كان. فنشر التعليق في السفير بتاريخ 20/ أيار/ 1998.

بعد أيام دخلت عليّ في المكتب سيدةٌ واثقة تصرّ عليّ أن أتكلم في حفلة تكريم عمر أبو ريشة.

ـ ومن أنت سيدتي؟

ـ أنا زوجة عمر أبو ريشة.

ـ فتأهلت بشكل مختلف.

وسألتها: من أين لي هذا الشرف؟

فراحت في شرح مسند عن علمها بصداقة ثقافية كانت تربطني بالشاعر العظيم وعما قاله لي، يوم تأبين محمد قره علي في الجامعة الأميركية عن كلمتي في الفقيد. والله لقد أسمعني بحضور العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين كلاماً سأفخر به إلى أجيال.

وأضافت السيدة أنها سمعت كلمتي في جودت حيدر وأنها لا تقبل اعتذاري.

ـ إذن ماذا تأمرين يا سيدتي؟

ـ لا أمرك ظالم!! قالت: وإنما أريد في ذكرى عمر كلمة من هذا المقام، أي من نوع تعليقك على كتاب رسائل حب، وبرتبة ما قلت في جودت حيدر.

وراحت في مدح وتعليق لا استحقّهما. فرضختُ وقد كانت تصطحب صديقة أخرى هي **نادية صفي الدين** بنت أخت السيد حسن مرتضى من صور. فكيف لي بعدُ بالرفض؟! حسن هو أخ لي لم تلده أمي.

***

مطعم المسكوف الروشة

14 تموز 1998

النصّ:

مشهد عجيب. وورشة أعجب: خلقٌ من لا شيء! تخيّلوا شاعرنا إنساناً فرداً، وقلماً أبكم، وقرطاساً خاماً، وثلاثين حرفاً بدداً، وأفكاراً هباء، وكلماتٍ غيرَ مكتوبة، منثورةً في البال، في العقل، ومشاعاً لمن يسعى.

هي ورشة في السراب، كالسديم، بغير مادة، بغير قوام. غيرُ موجودة بالفعل، كالغمام. وما من مادة تُلمَس أو توزَن أو تُمسَك أو تصنَّع أو تحوَّل. ومع ذلك يخرج بفضلها حيٌّ من العدم. وتقوم قصيدة، مقالة، وجوداً حياً وواعياً. النطق والكلمة وجود.

الشاعر الكاتب الفنّان النّحات هم مبدعون. والإبداع بَرْءٌ من العدم، من شبه وجود بالقوة ولا وجود.

أنا أفكّر فأنا موجود. ولقد كان الأصحّ: أنا أفكر، **وأنا أعي تفكيري، وأنقده، فأنا موجود.** وأنا وأنت وهي: كاتب وناطق وناقد بجدلية جوّانية عجب!؟ بنا نحن يتسلّل الغيب إلى الحقيقة. قلْ أنا وسيط من الغيب، أنا الأديب.

أنا أنقد ما فاض به عقلي أو عقلك، فأنا حرّ بغير حدود. أنا شاهد للحق. وقوى الأرض لا تستعبدني.

أنت، يا كاتبُ، خليفةٌ. أنت وكيلٌ قيّمٌ ومفوّض، بحكم القلم والنطق الأعلى، من قِبَل الكون ومَن أوجد الكون. ومن ذا فوقك؟

أأنت كاتب؟ ويتحدّاك موضوع؟ سلاحك الأول قبول التحدّي: أن تتصدّى. أن تتمرّد على السؤال. أن تتحدّى العدم بالوجود، بالكلمة.

أيقلقك همٌّ؟ سينجدك جناحاك، كالنسر. وإنْ يُقفِلْ التعسّفُ ورقُ الكائنات مدى الكلمات أو يقزّمْها، يتوقّدْ وجدانُك بعنفوانِ شجاع فيغتصبُ الرغامَ، يُخضعُه، يغزوه بالقلم الغلاّب: يغلُبُه بالمقال، بالوعي، بالنقد، بالبيان.

الله وحده البارىء الخالق، يقولون، ولكنه أعطاك رؤيا تُصرّ هي عليك بالنعمة، بقدْر طموحِك أنت، أنْ جسّدْني، دعني أكون!! فتكونُ ولو كرهتْ نواميسُ المادة وثوابتُ العلم جميعاً. ألاَ ذلكم الأدبُ شعرُه ونثرُه. **ومن ذلكم انبثقَ عمرُ أبو ريشة.** هو شاعراً محترَبٌ لجميع هذه النّعَم والنوازع والمواهب.

هل يقيّدك العُرف وسوابق الأوائل؟! أتصمتُ؟ أتسكتُ؟ أتقعدُ حسيراً؟ لا. بل هو التمرّد الأشبهيّ يقطّع العُقُل. والحدْسُ يصارع أحكامَ الوقت والمدى ويختلسُ ما شاء، ويتنكّرُ للنواميس المألوفة. إن القلم المبدع ليهزأ من القول المألوف، ومن قيود الزمان، ويدّعي في كل آنٍ أنه هو جِدّة الكون والفكر. الأديبُ فالمبتكرُ أبداً كأنّ الخليقة قد عادت إلى قبل يومها الأول، وكأنّ السديمَ، سيدَ العدم، مُنحسرٌ أمام غزوة الفكر، وأنه ما من حيرة إلا يغلُبُها القلم.

الكتابة، يا أهل القلم، فأنْ تحتدم الكلماتُ حبالى وحيارى فينبغ منكم عزمٌ ثاقب، ويقتحمُ مواتَ الخلق، ويفجّر من المعاني جميلاً وجديداً. وإلاّ كانت كتابتنا اجتراراً. الاجترار يمضغ الوقت ويسقمه.

أم حسبَ قِصار الأيمان والجهاد أنّ معرفةً وذاكرةً تتلاشيان إلى عدم! وهل نسي أحدُنا، أهلِ القلم، أنْ قد أُعطيَ للشاعر أنْ يتسلل، **من زنزانة الوقت والزمان،** متأبطاً، كالصعاليك المقاحيم، **الثلاثين حرفاً،** كالسهام في جعبة ممزّقة، وقلماً حمّلَه الوحيُ شرفَ القَسَم به، تعظيماً وتكريماً، وجعلَه خليفةً له ووكيلاً وناطقاً، يحيي المواتَ، ويجدّد البلى! إن أقلامكم لتتصدّى، أبداً، لما أبَتْهُ الجبالُ من فصاحة وبلاغة وبيان، متسلّحةً بجرأة متجدّدة أبداً فوق كل ما

سبقَ وكانَ. الأدب الحقّ لا يتحمل ثرثرة ولا تكراراً واجتراراً، ولا يعترف بعتق الزمان. **نحن جِدّة الزمان. والكلمة الحقّ ألوهة**. وحدها الكلمة تقهر الزمان وتحيي الموات.

تُرى من علّم الإنسانَ، واللسانَ والقلمَ، ما لم يكن يعلم؟ أإنّ من البيان لسحراً؟! بلى. فمن وكيف أوحَى إليه ذلك السحرَ؟ وكيف علّمه البيان؟ أم يكون القلم شفيعَ الإنسان؟ أيكون القلم سرّ الإنسان؟ وسرَّ الله؟

بربّكم، كلماتُ القاموس من زركَشَها بالسجع، بالقوافي، بلونيات الجذور: ثنائيةٍ وثلاثيةٍ وسواهما؟. من ضبّط القواعد في أحسن تقويم؟ ومن نضّد الكلمات كالدرّ، ورتّبها على المعاني؟

وبعد، كم من الناس أُعطيَ أن يتسلّق إلى حيث المتنبي، إلا إذا طغى بالسؤدد، وتمرّد بجُناح أم بغير جُناح في الميزان المُقام، وجوّدَ حقوق البيان؟

وكيف ينال مخلوقٌ ما ليس يُرامُ إلا إذا شردَ عن الصراط المرسوم، وتجرّأ على صهوات كلمٍ ومعانٍ، واستعلى على الأوائل والأواخر، وأوتي، أي إستأتى، ما لم يجترحه إنسٌ ولا جان؟؟

يا سبحانَ الحرفِ والجرْس والعبقرية! وحده الخليلُ بنُ أحمد مسحَ جرْسَ الكلماتِ مَسْحاً، وطوّبها مكرَّسةً محرّمةً كأنها أرض الله، وقاس المدى، وعيّنَ الأوزان، ونوّطَ أطوالاً وألفاظاً، ودقّق في الجرْس الأعلى.

من أطلق للسوابق العراب مدى الكون ميداناً لعربسات الخيال المجنّح، ومرامحَ مفتوحة للعبقريةِ إذا اشرأبّت؟

العبقري فمؤمن مقتدر يستنبط لونيات المعاني وفروقات التفاعيل. إنّ مجانين العربية هؤلاء ليعرفون أنّ لكل حرف شخصيتّه، وأنّ الحروفَ المتبادَلَة، في الجذور الثنائية وما بين الجذور، فكأنها، بآليّة تبدّلٍ وتقمّصٍ، تخترق الحواجزَ والمدى بفعل الفنّ، عبر صوفيةٍ رحبة في صلب اللغة تغالب الزمان والمقاييس. مجنون ومعتدٍ مَن يحاول سجنَ الكلمات أو الحدَّ من الحرية والأبداع. إذن لبَادَ الأدب من زمان. إذن لما كان.

الحروف لا تُغتال، واللغة لن تتقزّمَ طالما الأدباء والشعراء يستنبطون من أسرارها جواهر جدداً، كما فعل عمر أبو ريشة. ألا يا حيفاً على أدعياء صراطٍ أوحَدَ في الأدب، وفي ملكوت الكلمات العذارى، وفي خصيب حروف الحرية.

أولُ القداسة فللكلمة. والأدباء المصارعون هم صانعو اللغة وليسوا صنائعَها. أنتم، يا زملاءَ القلم الحر، أنتم وارثون أحرارٌ، ولستم أرقّاءَ في مناخس التقليد. حيّوا على الفلاح!!

واذكروا أبداً عمر أبو ريشة!!.

الشعائر الحسينية:
الخطاب والدلالات

في 13 آب 1999، النبطية، في بيت السيد هاني الزين، عقدت زوجته السيدة سلام بدر الدين الزين ندوة حول **الشعائر الحسينية: الخطاب والدلالات**، شارك فيها نخبة من السياد والعلماء والمشايخ ومن الأساتذة الجامعيين. وكنت أحد المتكلمين.

* * *

نصّ الكلمة

أنا المتكلم أمامكم أتلو بالحري شهادة من شهيد لم يُستشهد برغم أنه حُكم بالإعدام وأمضى ثلاث سنوات يعايش تنفيذ الحكم، قبل أن يتحوّل الحكم الأصلي إلى أشغال شاقة ومؤبدة، ثم إلى عشر سنوات من الأسر الهمجيّ. فإنّ لي مع الاستشهاد صحبةً مُعاشة.

وثانياً: طوال خدمتي في الجيش، وفي الجنوب أكثر الوقت، كان من نصيبي ومن اختياري معاً أن أحضر العاشوراء في النبطية وأن أتضرّج بدم النائحين.

وثالثاً: أطلب الأمان على ما قد أقوله إذا كان معاكساً للتيار الغالب، **ولكن الحسين ليس ملكاً للشيعة ولا القرآن ملكاً للمسلمين، ولا هو الإنجيل ملك المسيحيين بل كلّ مُلك ومَشاع** وتراث للعالمين، مؤمنين وغير مؤمنين.

* * *

أبـو أن يـفـرّوا والـقـنـا فـي نـحـورهـم ... ولـم يرتقوا من خَشية الموت سلّما

ولـو أنـهـم فـرّوا لـكـانـوا أعـزّة ... ولكن رأوا صبراً على الموت أكرما

لكان في قدرتي أن أجلس وقد كفيتُ ووفيتُ في وصف المستشهدين، والحسين. غير أن اشتياقي إلى نقدكم الأكرم، مشكورين، قد غلبني، فغامرتُ واثقاً من عهد الأمان منكم، لأننا وإياكم زملاء في تحمّل الأذى منتفضين، **ولأنه إذا أنتم ظلمتم أظلمت الدنيا.**

لولا إيمانُهم بالقيامة، الحسينِ والشهداءِ، ولولا يقينُهم بالخلود، مستَحَقاً ومتزامناً مع لمحة مضيِّهم المضرّج، ومع صعودهم وارتفاعهم مجنّحين: مَن بطعنة خنزير، ومَن بخنجر من شرّير، ومَن على الصليب: أنّى قرأتم الآية، وأنّى أسندتم كلمة «يقيناً»، ومَن بألف قَطّة من مئة سيف، ومَن بالرصاص الدمدم، وإن تَعُدّوا سيئات الشرّ لا تحصوها،،

لولا صبرُهم هؤلاءِ، ويقينُهم بالوعد الموعود، لصُنِّفوا إذن منتحرين، ولمَا كان لاصطبارهم معنى، ولمَا كان لاحتمالهم الأذى ولرؤية جُناته نكهةُ رجاء وإيمان.

الشهداءُ: فمَن عاندوا الأقدار، ومن بإسراءِ عَجَبٍ، بغير بُراقٍ، قارعوا شروراً كانوا ضدَّها مرسَلين، فترصّدوها، ورابطوا لها، وهم يحدسون موتتهم بالعين الباصرة، وبالغيب يشاهدون نهايتهم المضرّجة، على أفق الزمان، رمزاً ليس يفنى.

أَلَم يَرَوا ألفَ تنّينٍ وألفَ عبدِ عبيدٍ يترّبصون بهم، كُلَيلٍ ينسدل، وكالموج العاتي يتخطّفهم، فصابروا على المرارات، واقتحموها هم، ولو غيرَ مُعِدّين لها قوةً ورباطَ خيلٍ؟ إنّ في الشهادة رمزاً يخترق الأفئدة، ويعدّي عن العقل، ويتجاوز أسباب النزول.

هل أغلو إذا ما أعلنتُ أنّ جميعَ الحُسَيْنِين في التاريخ قد حرّضوا هم أقدارَهم الرابخة والمتلبِّثة، وهم أحرجوا الدهرَ فأخرَجَهم؟ وإلاّ فما مَنَعَهم، إزاءَ الحاقّة وقبلها أن يتراجعوا ويفِرّوا من العواصف الهوج؟ ألا لسواهم يُبسَط هذا الإثم وليس لمن على سيمائهم طلّةُ مُحرِمين إلى مناسك الخلد، وعلى جبينهم بسمةُ نور. منذُ نُطفتِهم الأولى مكتوبٌ ترسُّلُهم المضرّج والتعاقدُ أنهم إزاء الحاقّة ليُستَشهدُنّ حُجّةً على العالم، وشهوداً أيضاً ـ واللّهُ أكبر ـ على

مؤمنين رضُوا بالتسكّع في نعمةِ الخوف، لأنهم من خوف الذلّ في ذلّ. وبعدُ فما هو الخوف؟ من يحدّده؟

هَذْيُ الحقّ هؤلاء، أبعدَ من تفاهة الزمان وأهل الأرض، هم رواضعُ نُسغٍ من فواطمَ ذواتِ نِعمة، مأمورون ضدّ يهوه، وضد الخنزير، وضد التنين، وضد الأسخريوطي والفريسيين، وضد أبي لهب، والشمْر، ويزيد، وضدّ أعداء النهضة. وهل ينتهي التعداد؟؟

أَلِلّهِ مئةٌ أسماءَ حُسنى؟ فإنّ للشرّ كمثلها سوءاً. ألا ثمة شعائرُ الحسين وحسناتُها، فإنْ تعدّوها لا تحصوها.

أهو الله يبعث الرسل؟ بلى. ولكنه يردُفُهم بالشهداء على إثْرهم أوتاداً وشهوداً فلا تحيد العقيدة ولا المؤمنون لأنّ اللون القمزيَّ ينعشُ ذاكرةَ الناس فترتضعُ نسغَها من زيتونة لا شرقية ولا غربية، ولا طائفية ولا مذهبية، فلا ينحبسُ الدينُ في الطوائف، ولا الإيمانُ في الأديان.

لقد قاربْنا المقطعَ الخطر: طالما ساءلتُ أصدقاءَ كباراً أُنعِمَ عليَّ بهم فتحمّلوا «أسئلتي الخوارجية»:

لماذا لا يُخرَجُ الحسينُ من قمقم شيعيته فيصبحَ لجميعِ الأمم رمزاً للتمرد على الجور وللاستشهاد؟

ولماذا، بالمنطق ذاته، يَحتكرُ المسيحيون المسيحَ والمسلمون القرآنَ والنبيَّ الأعظم، وكلُّ دينٍ ومذهبٍ داعيتَه والحواريين؟ ولماذ لا يُبعث الحسين في شعائر قيامة؟

الاستشهاد ليس بمادّةِ لاهوتٍ خاص ولا علمَ كلام ولا فيزياء. الشهيد، كالنجم الثاقب، يتداخلُ نورُه وضوؤهُ وجسدُهُ وروحَهُ تداخلاً ليس في الكتب. ومن يفرفطْ هذا العِقدَ العَجَبَ تلدغْه الأفعى.

الاستشهاد كالبيان والتبيين، وكالبلاغة. وما من قاموس أو ناموس يشرحُ يقينَ الشهيد، وكيف يغْلِبُ الموتَ بالموت، وكيف يتسرّبُ نورُهُ إلى عرفان الناس. الإحاطة بالاستشهاد عرفان خالص لا معرفة.

وإنْ كلُّ شهيدٍ إلاّ غالبُ الزمانِ والمكانِ معاً، وإلاّ طاوٍ الأزمنةَ بيمينه كطيِّ السجلِّ للكتب، وإلاّ يختصرُ الدهرَ بومضةٍ، ويخترقُ المدى كالسهم، وكما الضوءُ الظلماتِ، وكما جبريلُ إذ ينقلُ الوحي. أما كيفَ كانَ جبريل يحملُه وما هو بجسد، وكيف بَثَّه لمريم أولاً وللحواريين وللنبيّ؟ وهل يتكلّمُ الظلّ المطلق؟؟ وإلا فما هو الملاك؟ وما هو التأويل الأصحّ؟ الجواب في العرفان.

أليس قصارى قَتَلَة الشهيدِ أنْ يشبَّهَ لهم أنهم قتلوه؟. وكيف تُقتَلُ كلمةُ اللّهِ وروحُه؟ وكيف تُقتَلُ الرسالة والفكر؟ من يقسّم الهواء؟؟

الشهيد أكبرُ من زمانٍ ومكانٍ وقد رَفَضَهُما.

إن قيمة كلٍ لِما يرفض. بل هو أكبرُ منهما. وليس يبقى أكبَرَ إلا اللّهُ. وتلكم قُنّة الحرية.

يا سادة هذه الندوة!

هل في ما قلتُ كلمةٌ تنزلقُ عن الحسين، أم لا تتكنّهُ به؟ أم يستنكف الحسين عن ختمِها والتصديق عليها؟

حُدَيّا مؤمناً لو يختزلُ حرفاً!!

مقصدي في هذا الإطار القدسيّ لو نقرأُ الشعائرَ قراءةً روحيةً صِرفاً، بغيةَ استنقاذِ الحسين من الشعائر، ولكي ننقّي الشعائر، ولتعميق الخطاب، ولتنزيهه، ولتعميم الدلالات على العالمين. الإيمانُ روحٌ صِرف، وجوهرُ الخطاب روحٌ، أما أدبياتُه المتكدّسة فليستْ مُلزِمةً لأنها بعدد الممارسين، ولأنّ القراءاتِ ليست لأكراه الناس على حرف واحد، بل لتحرير الإيمان والذَّوق، ولتفعيل العقل والحرية.

منيتي، وأنا حسينيٌ بقدْر ما أنا حرّ، لو أحوّلُ التفجُّعَ والعويلَ إلى بهجةٍ مستكبِرَة، وإلى تمرّدٍ متعمّم على كلّ ظلم وجَور، بغير لقلقة ولا تسكّع. أعظمُ الحزنِ وأعمقُهُ وأثراه الجوّانيُّ المفتخر، كقولهم:

«أُصمتْ يا عبدَ العبيد!!».

«وأنتم قوّصوا صائباً!!! وشكراً».

إنّ طَرَبَ الألم الكبيرِ لَيجعلُ المؤمنين سُكارى وما هم بسكارى، ويُبرزُ أنّ في الشهادة معنىً ليس في الموتة الصدفة.

يقيني أنّ الحسين هو من وُلْدِ عليٍّ بن أبي طالب (ر). بَيْدَ أنه ابنٌ من لمعة الإمام الأكبر إذ قال: كلا ظالمٍ ومظلومٍ في النار. الحسين ولد عليّ لكنه شهيدٌ ابنُ شهيدٍ، ودلالةٌ ابنُ دلالة، ورمزٌ ابنُ رمز.

أيها المثقفون، كل شيء يقلَّد ما سوى الاستشهاد. الاستشهاد لا يُزوَّر. لا تمثيلَ في الاستشهاد. الاستشهادُ هو الحقُّ مصفّىً.

ومن يحتجَّ ضدّي صَدَدْتُه بالحسنى،

ولذتُ إلى القول المرفوع:

كلُّ مؤمنٍ هو آلُ البيت، يا آلَ البيت!!

والشكر للسيدة سلام.

13 آب 1999

مرايا الزمان

كلمة نقد لكتاب مرايا الزمان
تاليف د. منيف موسى.
ألقيت في صيدا، مركز الدندشلي الثقافي

يشرّفني أن أخوض في الكتاب، وفي الكاتب، بغير تمدّح، وبصدق ومحبة، وبغير عدوان.

هذه المناسبات هي أشبه بجمعية عامة حول الثقافة والأدب وأهلهما، بحرية لا تَخشى الكردينالَ المفتش ولا رقابة عبد الحميد.

من مواضيع الكتاب استوقفني موضوعان، رأيتُ أني لخوّانٌ إلم أتصدَّ لهما.

الموضوع الأول: طه الحسين الذي يراه المؤلفُ منيف موسى قدوةً في النقد وعملاقاً في الفكر. وأنا أخالف الصفتين لأني على يقينٍ أنَّ طه حسين لَطَشَ مئة بالمئة جميعَ معركته العظمى، التي شهرته في العشرينات المنصرمة، لطَشَها من إرنست رينان وادّعاها. ويوم تُنشر أطروحةٌ ما، في لبنان، فسوف يذوب التمويه والمساحيق، وسيعرف الناس أن الرجلِ ابتدأ، كما انتهى علناً، **داعية للتطبيع الإسرائيلي.**

الموضوع الثاني: هو مجلةُ شعر وجميعُ أحصنة طروادة في معتصماتنا. لقد كُلّفوا تكليفاً بغيضاً ومدبّراً باحتلال المواقع الثقافية والإعلامية، وروّجوا لمقولات لا تقلّ غاياتُها عن تدمير الذاكرة العربية، وعن تشويه اللغة، وعن بعثرة لغة القرآن، وإلغاءِ العروة العظمى التي تُواصِل ما بين المشرقين والمغربين. **حاخامو مجلة شعر** خرّبوا وبعثروا وعجّموا حتى لما يروي عربيان اثنان في العالم العربي، جملةً منهم، وحتى لما عاد يجمعُ أيَّ بيت من الشعر

بين مثقفين اثنين. بل جنّدوا الأجهزة الإعلامية، بقدرة قادر، لنشر العاميّات الشعوبية، ولنشر النسيئة والغربة من المحيط إلى المحيط. وقد حذّر حديث شريف: **احذروا كل منافق عليم!**

* ولن أناقش يا صديقي منيف **نظرية لبنان القوي بمساحته الصغرى**، وبطموحه الكبير، **أي بلبنان الذي قوّته في ضعفه**. لن أخوضَ في المهاترات. بل يكفي أن أذكّر، وأنا الضابط السابق (والحالي)، أنّ لبنان المستعجم بَخَلَ على الجيش بكل شيء حتى كاد أن يلغي جوهرَه ومادتَه، وحتى خاض (أو تفرّج) الحروبَ، بعديدٍ أقلّ مما كان أيام الانتداب، **وكأنّ إسرائيل لم تكن**.

* **أما الكاتب!!** الكاتب الصديق، الدكتور منيف موسى فأفتتحُ الكلامَ عنه بمطلع ملحمة شمّرية عنوانُها: **في العُلى لمّا**، حوالي العام 4000ق.م.

يقول المطلع: «ابتغَى الآلهةُ كمالاً وارتقاء وتجوّداً فتأنسَنوا. ألوهة بغير تأنسنٍ سرابٌ خلّب وإنْ كان سراباً سماوياً».

* لاحقتُ نشوءَ الأديب منيف موسى فلمحتُ في تأسيسه ثلاثةَ مداميك، ثلاثَ أمثولات، ثلاثَ أصايل. هؤلاء ربُّوه تربية.

الأولى: امتطى الفتى جوادَ أبيه، الفارس في لواء الخيالة بالجيش، فشُبّه له أن الأصيلة أسلست له، وأنه اتقن الفروسية. بعد برهة ألقته الأصيلةُ أرضاً ورفضته محمحةً. لقد توهّم الفتى الغرُّ أن الفروسيةَ تُنال بالقربى والزلفى، فساءَ فألُه.

المتنبي كان قد قال:

لولا المشقّةُ ساد الناسُ كلّهمو   الجود يُفقر والأقدام قتّالُ

أبوه الخيّالُ الممتهن، والعقيد جوزف سمعان قائد اللواء، شرحا له معنى حمحمة الأصيلة. قالت الأصيلة: «صهوتي يا غرُّ لا يعتليها سوى خيّال أشبهيّ يلجُمُني بالسؤدد وبآداب الفروسية والوغى. أنا سليلةُ الضابحات المكرّمات يُجاعُ لهنّ العيالُ ولا أُجاعُ. حديثٌ مرفوع رسَمَ أنّ تنقيةَ علفي صلاةٌ وصدقة، وأنه إذا ما أُذّن يا خيلَ الله اركبي فمعراجنا الجنّة. فما أنت وصهوتي؟!

الدرس الثاني: تولّته **اللغةُ العربية** وهي كذلك أصيلة الأصايل. بعد قصيدة ألقاها الفتى في الابتدائية خُيّلَ إليه أنه أُوتي جوامعَ الكلم. أحلامُ الشباب اغتصبنَ براءته البكر فأدّبته الحياةُ باكراً بأنّ عنبَ المية ومية ما استوى، **وأنّ أدب التسرع حصرمُ مرّ، وأنّ في الخمر معنى ليس في العنب**. العربية، عُليا معدّ، العنودُ العصماء الغيورة العنقاء، صدّته بجفاء حنون: أنّ دون امتلاكها أهوالاً، وأنها، منذ فجر الخليقة وحتى قيام الساعة، **لا تنفكّ تختار مَن يجتلون ليلَ معانيها، وأسرارها وعبقرياتها. الجاحظ**، صحّاهُ استغفارُ بدويّ جلفٍ أميٍ، في الربع الخالي، كان أنهى صلاته مجادلاً اللهَ: **«أغفر لي اللّهمّ!! نحن أمة مهديّة وأنت ربّ غفور»**. فالتمعت في وجدان الجاحظ قولةٌ غيّرت حياته: **إذا كان القرآنُ تنزّلَ على واحدٍ بَيْدَ أنه عبقريةُ أمةٍ جمعاء**. وراح العبقري ينقّب عن الشوارد يقتنصها، ويتنصّت على ذبذبات البلاغة والعبقرية أينما ثَقِفَها، حتى **ارتقى هو إلى رتبة متنبي النثر (ولو قبل المتنبي) فيما أصبح أبو الطيب بعدَه جاحظَ الشعر**. وأصبحا الجاحظ والمتنبي قائمتي سلّمِ الرتبِ في الأدب: شعرِه ونثرِه. منيف موسى وسواه من كوادح القلم والإبداع مرصودون للتصنّف على هذا السلّم. وطوبى للفائزين!!

الصدمة الثالثة: التي أيقظت منيف موسى **هي الأصيلة حوّاء**. حواءُ منيف - حوّآته - هي هويتُه وعنوانُه: لأنها تساكنُ فيه القلمَ والكِلَمَ والوجدانَ. من حوّائه تعرفونه. حواءٌ في المطلق، حباها ربُّها حدساً كالنحل تروز به المترشّحَ لعسلها ولودّها: أَدخيلٌ هو إلى خدرها الأُنُف، أم فاتكٌ وقنّاص مصير؟ وهذا المتولّهُ المستشفعُ ربابَه، الطارقُ برمحه على الوتر والوتد هل هو ذو مِرّة ومهابة، أم هو قنّاص مبتزّ للصهوة العذراء؟! أمتذلّلٌ أم حيدرٌ نمرودٌ يُهدي جِبّةُ قنيصَ الدخلة، لعلّه يستحلّ لُبدتها الحرام!. **الأصيلة لا كانت إذا استردَّها من لا يستحقُّها. البدوي يقول: تفنى الأصيلة ولا كديش يردّها!!**

* * *

الأصايل الثلاث علّمن الفتى أن العلم ابن المشقة والسعي، وأن المرأة ملك للجَسور، وأن العربية لا يحيط بها إلا كالأنبياء. والجندي المتأدب تعلّمَ

أنّ خير الرماة من استبقَ ظلّه وأرداه. الظل كالاجترار عدوٌ. والظلّ كالمومياء والأطلال معيق للتقدم..

التثقف المضني كثّر القلقَ المحيي في الفتى وطَرَحَ الأسئلةَ المستحيلة: مَن المقدَّم: **القاموس أم الأسلوب؟!** هل الشعر يحتكر الهدير الجواني، والهديلَ، أم النثرُ أيضاً؟

الأصالة والحداثة؟ متى بدأتا، ومتى تتبدّلان؟ **وهل يتوقف الزمان؟** أأنت ملك الزمان؟؟ وما شعرٌ بغير نشوةٍ ولا موسيقى ولا قافية؟ وما شعرٌ لا يُنشَد ولا يُحفَظ ولا يُسكر العذارى؟ وأسئلةٌ يطول بها المُقام.

* أخيراً عندي سرّ أحتارُ هل أُفشيه. ولكنكم مستودعُ الأمانات، فلا بأس!.

قُدّر لي أنْ لطشتُ شريطاً مسجّلاً سرّياً بعثَت به الأصايلُ الثلاثُ (أعلاه)، إلى منيف. هذا نصّه: **«أتبتغي صَهَواتِنا ذُلُلاً، صفواً وعفواً، ولمْ يجمَلْك كدمةٌ ولا نُدبة، ولمّا تُشطَّبْ؟ وخيرُ الوجوه المشطّبُ؟! مَهْ! ما أنتَ وليس في سجلّك أحلامٌ فاشلة/ ولا أتواقٌ منحطمة/ ولا جهالاتٌ مشاعة؟»**.

«أين أشلاؤك متبعثراتٍ مُغتَجراتٍ على دروبِ جرأةٍ ومغامرة؟ أين أحلامك؟ أتراكَ وُلدت كهلاً؟؟ أين آثارُ عنفوانك الأشعث، وقصائدُ حبّرتَها بالدموع، ورسائلُ نبغَ بها صدود الجميلات؟، وأين صُوَرُ مغناجٍ خفِرةٍ، وأنوثةٍ تفوح، وجمالٍ إذا ما أطلّ قيلَ جهجه الضحى؟! إذا لا؟ إلا؟ فَهيتَ لك الدنيا مباحةً/ فاغتصبْها!! وما لنا وللإنسان خام؟! وما مومياءٌ مقمّطة في ذَهَبها؟» انتهى البلاغ.

خبّرتني العصفورةُ أن منيف صُدِمَ، وقرّر كسرَ القشرة فغابَ بغير خَبَر. وعادَ بعد زمن، إلى خليلاته الثلاث، متقلداً وشاهراً سجلاً عدليّاً مُفَهْرَساً، بتوقيع مئة مختار. **قوامُه: ممنوعٌ من الإقامة أينما حلّ. مشاكسٌ يتبعُه الغاوون. مجهولُ المبيت أبداً. مَن يتعرّفه داخلَ أي حَرَم فليرجمْهُ!!**

وأقسمتِ العصفورة أيضاً أنه قد كان عيدٌ عند الخليلات الأصايل.

الخليلاتُ وقينَه الأذى، وقد قام من بيت الأموات، فالتَهمْنَه كالقربان مغمّساً في خمرةٍ من كروم الميّة وميّة، منذ أيام عشتار، عمرُها من قبل أن يُخلقَ الكرْمُ. والعهدة على الراوي.

ومن يومها، **من بعد مرايا الزمان،** قرّر منيف أن يردي ظلّه بالضربة القاضية، وبرصاصة الرحمة، وأن يتجاوز حالة **الرضى** التي تُقعده وتعقّده، وأن يمشيَ على الماء، **وأن ينسى ما كَتَبَ، وأن يبدأ الجهاد الأكبر، وأن يكيدهنّ كيداً، إن كيدهنّ لعظيم.**

(الضمير هنّ ليس مضافاً إلى كيد في الإعراب الحقيقي، وإنما هو بمثابة مفعول به للمصدر (كادَ كيداً). **تأويله**: **إذا كدتهنّ فأنت تفعل عظيماً.**

صيدا مركز الدندشلي الثقافي

24 حزيران 2000

حول كتاب «صراع الصدى والصوت»

تأليف فهد الباشا

أيها الضيوف الكرام،

هذه الندوة شرف ومأساة. هذه الندوة اعتراف شجاع بانفصام الواقع المأساوي عن المرتجى الأشرف. وشرفها أنها تمرّد منضبط وتوضيح ملتزم لما يفرّق قلادة عن قيد.

* هذه الندوة ثمرة حلوة من صراع مرّ طويل، طالما تولاّه النطقاءُ ضد عبيد العبيد في إطار **جدلية ما بين قَسَمٍ وتجلٍّ أو فمعلف ونير**، وما بين رسوليين وفجّار، وما بين نواب ذوي أنياب يخدمون منافعهم وبين نخبة رسولية معاكسة وبديلة تعمل للمجد القومي بمناقبَ وبأخلاقٍ نهضوية. هذه الندوة ـ بمفهومي ويقيني ـ هي معركة ما بين ملح صالح وبين الفساد والمفسدين، بيد أنّ الكفر ملة واحدة كالفساد.

هذه الندوة التحامُ سيوفٍ مكتوبٌ منذ التأسيس بأحرف حارقة لا تنفك تتقمص على شفق المغيب، وعلى الضحى المتمرد، وقد تبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وقد جهجه في وجدان الأحرار أَلَقُ الخجل، وقد عاد إلى الأيمان الملتزم قُلقُه العضوي. إذاك تنتفض نخوة المسؤولية والرجاء، وفي التمرد حسُّهُ بالانضباط، لأن هذه الجدلية كامنةٌ في المعتقد كمونَ الشرر في الحجر، وكما بين الصوت والصدى. فإذا نشز ما بين الصوت وصداه فقولوا أزمنة عجاف.

ويبقى القاسم المشترك والدائم أنه إذا فقعَ شرش الحياء واستهتر الولاة

فقد أزفت الساعة، وأنه إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله انشقّ القمر.

* **الثابتة الثانية:** أنه إذا كان المعمدانُ خيرَ مَن ولدت الأمهات فإنّ الأصغر في الملكوت لأعظم من المعمدان. وبورك الصدق في القلم وفي الكَلِم، وبوركت أقلام الحرية في معارك الحرية والصراع الفكري!! وبئستْ أقلامُ العبودية في معارك الحرية، وألسنةُ العبودية وأموال العبودية!! وإذاك **يتوضّح للأحرار كم هو مضْنٍ تعاكسُ الصوت والصدى، وأنه لا يستقيم الظلّ والعودُ أعوج. الجذع المنخور فليُقطعْ!!**

إننا لندرك، في معركة التجهيل والتخميل، أن النخاس يعمد أولاً إلى تخدير سؤدد الانتماء في من يتولى استعبادَهم، ويتقصّد تهديمَ المهابة التي تُضَاعِفُ المواطنَ المنتميَ، فتجعله عشرةً، والعشرةَ مئتين. ويسعى النخاسون إلى إسكات النطقاء بالحق والى استبعادهم ومحوِ إنتاجهم وكمِّ أفواههم. ويستهزئون من عنفوان البلاغة التي تستقي من صدق المعتقد. ويمحون معارك العزّ من الذاكرة الجماعية. ويسفّهون حَمَلَة المشعل. ويمرّغون الهوية الثقافية. ويسفّهون قاموس المحبة والتراحم. ويكسّرون الأقلام العصيّة. إذاك ينسدل ستار الجهل ويفرح الأمّيون وتعمّ الردّة وتزدهر الجاهلية. وإذاك يطاردون أمثال الصوت والصدى. عدوُّهم أنّ القلم قد أقسم به الوحي، فلتُقصَفَنَّ إذن أقلامُ الحق!!

* وبعد فما هو حلم إسرائيل يا رفقاء؟

حلم إسرائيل أن تعمّ النسيئةُ الثقافية وأن يتبربر كلُّ لسان عربي، وأن يتحوّلَ اللاهوتُ القومي إلى صدى للعدم. فتتحوّل الصفوفُ، البديعة النظام المعقدنةُ والمتفقهةُ بالشرف وبالعقيدة والحقيقة، إلى **شلعاتِ غجرٍ** تُساق إلى حيثُ لا تعلم متَنَبِّلةً بخشخاش انضباطٍ لا يفقه نقيرا، ومخدوعةً بقدسية طاعةٍ لا تَسأل ولا تحاسِب.

ولكن ما أن يصدر عن الوجدان القومي مقالٌ أو كتابٌ أو خطاب أو لقاء أو ندوة حتى يتلقّفها الأعضاء الحائرون العطاشُ الجياعُ إلى كلمة حق وشَجاعة. من هذا السياق **كتاب الصوت والصدى.**

* **أيها الضيوف والرفقاء،**

أولُ ردٍّ وآخرُ ردٍّ في النهضة هو الصراعُ الفكري والتمرد المنضبط وكلمةُ حق في مقام حق. **أول الردّ ألاّ يكون أحدٌ صامتاً متآمراً فكأنه يخون.** بلى إنه ليخون. يخون طالما هو مؤمن بصحة العقيدة، وبضرورة العقيدة، وبضرورة تواصل المؤمنين، وبضرورة الصراع الفكري ضدّ جميع المضادّات والمقومات، وضدّ مخرّبات العقيدة والنهضة، والحركة والحزب، **ثم يصمت لأسباب مشبوهة.**

مشرف الباشا، أو فهد جرجور، أو كيفما جمعتَ الاسم واللقب، ليس ممن يؤثرون الهوينى ويديرون ظهرهم للمأساة ويرتاحون. منذ أن كَتَبَ ضدّي في الديار، لم أعرف أنه استراح أو تنصّل من مسؤولية معتقده، ومن ترسُّله في معتقده. **ولم يتشرّب سُمَّ الانضباط الأعمى والأصمّ والأبكم،** بل طالما غلّب القولَ الشريف **لا طاعةً لمخلوق في معصية الحق ـ والحق عندنا هو النهضة ـ،** ولم يؤخَذ ببدعة أنّ القيادة السياسية والإدارية هي المسؤولة وحدها، والمعصومة، عن الثقافة، وعن الحق والباطل، والحلال والحرام. **هذا الكتاب إذن فليُفهَمْ** أنه كلمة من النهضة **وروح من النهضة أُلقيتا على قلم ملّ الركودَ في قِرابه، فشامَه وشَهَرَه أَنَفٌ عبوس، وتعبيرٌ أشوس، يطلقه صافياً صادقاً مثلَ سنديانات مزيارة وبشنّاتا فتسوح الكلمات مرسَلاتٍ لا في قفر موات بل في أسماع تترصّد كل قول ثقيل قد تأباه الجبال، ولكن يظلّ يحمله مجانينُ الله والعقيدة والنهضة والأمة والعروبة الجديدة.**

لا تضِلّوا ولا تخافوا الحقيقة! **كل قومي نهضوي صحيح هو وكيل الزعيم، وهو خليفة، وهو مسؤول، بقدر ما أنه سائلٌ ومؤمن ومحاسب وناطق ومحاكم.** كل نهضوي صحيح هو شاهد وشهادة على أن الملكوت القومي الاجتماعي قد حلّ أمسِ والآن وكل آن وبغير انقضاء، **طالما ألسنةُ الحرية وأقلامُها وبنادقُها تغتذي من الجوهر ومن التأويل والتفسير ومن العقل الشرع الأعلى.** وما من وكيل معصوماً سوى ندوة ثقافية حقيقية مستقلة، كالقضاء، ومسؤولة عن تقويم فساد الإدارة وتزلّم الجهال.

القوميون أُباةُ ضيم ضدّ الانتداب وضدّ إسرائيل واليهوهية والصهيونية، وضدّ كل استعمار، وضدّ كل استبداد في المؤسسة يعطّل العقل والشرف والعلم ويستأدي الجهالَ وأشباهَ الرجال. وإذا أخلّينا بأقنومٍ مما فصّلتُ سَقَطَتْ شرعيتُنا ولم نعد مؤسسة حرة ذاتَ أحرار، ومن أمة حرة، يحملون هموم عقيدة هادية.

رأيي أن **فهد مشرف جرجور الباشا** لا يزال على هذا الصراط لأن كتابه هذا على الصراط الصحيح. ولو أخلّ لقوّمناه تقويماً وتقييماً. وعسى هذه المرة أن يصدّقك «**عليٌ من صور**» وسواه أنك أنت إياه مشرف جرجور.

المهمّ أن فهد الباشا عِلِق على دبقه، والتفّ عليه فخُّ الصوت والصدى. وسوف يتعين عليه أن يغذي السعير الذي أشعلَ بأغصان صندل وسنديان من مزيارة وبشنّاتا، وبصنوبر كصنوبر العرزال ومتن العرزال.

* بورك عليكم الكتاب فهو حتماً ملككم معنوياً ورسولياً.

أُدعوا على فهد بالأرق، وبالقلق والهموم علّه يردّ عليها بتصحيح النشاز.!

يا صديقي لقد أعددتَ رباط الخيل ورباطة الجأش إعداداً دؤوباً، ولقد ائتُمنتَ على قبسة وجدان من بسمة النور، زعيمنا، وعلى شرارة من أتونه الشارخ، **وأنا أمنحك بما لي من سلطان معنوي من لدنه، أمنحك رتبة سادن في شموخ العرزال.**

* وأختتم بقولة صنديد يوم صفّين قبل المعركة. اختال أمام الصفوف الخصيمة وقال لهم: **والله سنقاتلكم على تأويله كما قاتلناكم على تنزيله.**

أما أنت يا أبا إيل فأسلم معافىً للحق والجهاد

واسلموا جميعاً للحق والنضال!!

نادي شبيبة مزيارة
13 آب 2000

قانا، سناء، والشهادة

16 نيسان 2000، راشيا، نادي بكّيفا، احتفال الأحزاب الوطنية والمقاومة. كُلّفتُ بإلقاء كلمة الحزب السوري القومي الاجتماعي.

* * *

أيها الحفل الكريم،

عندما كُلّفتُ بالكلام في محضركم تهيّبتُ أني خائضٌ غربالاً نقدياً صارماً، فهممتُ أرفض. ولكن انتصبَ أمامي **قاموسُ النهضة** الذي جنّبنا الرفضَ، وانسحَبَ أمامي **موكبُ سناء وقانا ووجدي وعلي الحاج حسن وعساف كرم ومحمد زغيب وحسين البنّا ونضال الأحمدية وعاطف الدنف وإبراهيم منتش وخالد الأزرق وزهر أبو عساف وحميدة الطاهر ومنّاع قطايا ومريم خير الدين وعمّار الأعسر وعلي البزّال ولولا عبود ومشهد قانا، والعشراتِ سواهم ممن ذُبحوا في سراديب الاستبداد، فكظمتُ الكلمةَ الحرامَ أن تُفلتَ كالخرطوشة الغادرة فأكونَ كمنكرٍ عمراً كان قَدرُه إحراماً متواصلاً في أكفان النهضة، أو مصلوباً على قَسَم لا ينفكّ ينيّخ في أبناء الحياة والنور كبرياءَ العصبية العجفاء حتى تتعفّرَ تعفيراً عند أقدام من صَدَقوا ما عاهدوا عليه.**

فأذللتُ رفضي وامتثلتُ إزاءكم لعلّكم تغفرون.

الدافع الآخر يستوجب رحابة صدر أهل الحكم. فأما وصدارة أهل التشريع والتنفيذ يرصّعون هذا المهرجان الوفيّ للمقاومة والشهادة،

* وأما وقد كان من صدق هذا العهد وشرفه تبنّي شهداء المقاومة أسوةً بشهداء الجيش، ،

*** وأما وقد أصبح الجيش وطنياً حقاً وقومياً حقاً وعربياً حقاً ومعادياً لإسرائيل أبداً، وبغير مواربة، وبعملانية في الفقه والوجدان والموقف التعاوني والاتحادي، ،**

* فإنّا سنُظهر العتابَ المرّ وسنطالبُكم الآن وبَعداً بحقوق جميع النهضويين المهدورة منذ مطلع الثلاثينات وبخاصة منذ الاستقلال وحتى هذه الساعة. ولكن المأساة هي أن الاستقلال الأول لما يتميز عن الانتداب، وأن الاستقلال الثاني شابَهَ الأولَ. النهضة في الثلاثينات أعلنت حكومة الانتداب عاصية لأنها تعتدي على حقوق الشعب السياسية وعلى حرياتنا المدنية وتعصى إرادة الشعب، **فأعلنها الزعيم: «إني أعلنها حكومة عاصية»**. ولأجل تمرّده على غورو وسراي ودي مارتل وكولومباني وأزلامهم في لبنان والشام وبالطبع في فلسطين والأردن والعراق **عاد الزعيمُ والإدارةُ الحزبية العليا إلى السجون**، فإلى نفي عرفيّ، وإلى المعتقلات، حتى بزع الاستقلال. وقصّتنا مع الاستقلال، منذ 2 آذار 1947 و1949 و1962 و1975 واليوم، هي أطولُ سيرةٍ مقاومةٍ عرفَها شعبُنا، ولو كره الكارهون.

ولقد تَرَصَّعَتْ سجلاتُنا وسجلُ الاستقلال بشهداءَ وبإعداماتٍ وبأحكام إعدام ومؤبدة، وبسنوات سجن حقودة برغم إلغاء الجريمة، وبتسريحات متواصلة تعسّفية من دوائر الدولة/ المزرعة، وبحرمانٍ من أدنى الحقوق الدستورية والإدارية والمالية، طاولت ولا تزال الأمواتَ منا والأحياء. وأعدّي عن الاغتيالات في سراديب النور وعن التشهير الرسمي حتى هذه الساعة بالخونة القوميين في كتب التاريخ والتنشئة الوطنية في لبنان وغير لبنان. وإذا ما عرّجتُ على موضوع إعادة محاكمة الزعيم وإعادة اعتباره فلكي أصدع برأيي وسواي أن سعادة لا يحتاج إلى هذه المسرحيات الخلّب. حاكموا إذا شئتم قضاة السوء وحكام السوء وعربان السوء!! ولكننا نطالب بغير هوادة بالتساوي بإسرائيل التي حذَفَ التطبيع العرباني جميع ما يخدش خواطر الأخوة الساميين الإبراهيميين

وخواطر الأخوة في الأديان السماوية الثلاثة!! من أين جاء اليهود وكيف اقتنع المسيحيون والمسلمون بسماوية التوراة فيما اليهود أنفسهم لا يدّعون أنها موحَى بها!! ولكن للجهل سبلاً ومآرب أُخَر.

ويقيناً مني أن محضركم أصيل محتدٍ وثقافة، وتعفّون عند المقدرة، قلت: إطحشْ يا فتى وتجرّأ وامشِ على خفق الزوبعة والكاتبو ربك يصيرا! وأنتَ في النتيجتين رابح: فاقتحامُ مَنابركم ونؤوبَ مشطّبين/ وخيرُ الوجوه المشطّبُ/ لَيكرّسُنا مرة أخرى من ذرية سلطان الأطرش وصالح العلي وعز الدين القسام وعبد القادر الحسيني وغسّان جديد ومار جريس الخضر وشهداء أزمتنا الراهنة والقانية.

وقضى ربّكم على النهضة وحلفائها ألاّ تسالموا محتلاً ولا عدواً دهرياً وألاّ تساوموا على أرض وعرض وماء وحياض. أليس ذلك ما حصل أمس الأقرب في جنيف؟! ألاَ حيّوها ثلاثاً وحرّضوا المؤمنين وغالبوا الشرير ولا تخافوا، أينما ثقفتموه!! ولا تَهِنوا فإنْ تألموا فالعدو أشدّ تألماً. ومن يبغْها برسمالها فأولئك هم الفائزون. وبشّر الصابرين!

خالد بن الوليد، في ساعة موته، تحسّسَ الندوبَ وآثارَ الطعن وبَخَعَ نفسَه أَنه حيّ بعدُ، وقال: ألا تباً للجبان!! وأسلم الروح. يقيني أنه كان يعلّق لكم أيقونة العزّ في صدارة العروبة. هي كعبتُكم فاستلموها!

أذّنوا: لبنانُ أكبر، وفلسطينُ أكبر، وسوريانا أكبر، والعروبةُ أكبر، والمقاومةُ أكبر، واللهُ أكبر، تتحرروا، ولا يغلِبْكم أحدٌ، ولا يستعبدْكم أحد. وأَمرٌ من هذا الزمان قلّما يكون.

أليس من رموز أزمتنا المرّة قانا، ومِن آيات زماننا الكبرى سناء، وجميعُ الشهيدات والشهداء، وتلك الثريا التي أنارت ظلماتِ عصرِ الانحطاط؟ ولم يستقدمْ أحدٌ ولم يستأخر.

قانا، بالكنعانية الأرامية، هي الحُميراء، وحمرتُها متأتية، منذُ أزمنة الضباب الصفيقة حتى اليقين الراهن، من خمرة أُلوهة تَحَدّت اليهودَ، ومن دم

الشهداء في مقارعة اليهود، ومن لون قبّعة حمراء اعتمرتْها ليلةَ الوداع الأخير والعشاءِ الأخير، عنقاءُ من عنقون تدعى سناء، والسناءُ كالذُّكاء اسمٌ للشمس. سناء سارت على الصراط الأقوم كجميع المستنيرة قلوبُهم بفوح الجنّة.

إنّ الشبيبةَ نارٌ إنْ أردتَ بها أمراً فبادرْهُ إنْ الدهرَ مطفئُها

وحُذَيّاك يا دهرُ أنْ تطفئَها!!، وحاشاك يا دهرُ!! المسبحة الحرامُ القانيةُ، فاعلموا، قُبّتُها نجيُّ العقيدة القصواء، الكوكبُ الدُرّيّ، بسمةُ النور، الذي امتطى قدرَه برهة أذان الفجر في 8 تموز وطار مخترقاً جدارَ الخلود بوقفة عزّ هو صاغَها وأذاعها وهو نفّذها، بنجيع مخضّب كان جوازَه إلى الجنّة. ومضا في اليوم السابع من الشهر السابع من العام السابع من عمر استقلال غشيم، إذ اغتاله يهودُ الداخل والخارج عملاء مجرمين وأغبياء، كأَنْ لم يتعلّموا شيئاً من شموخ هذه القلعة التي احتضنتهم في بلدة تدعى رأس الخليقة: راشيا.

أرأيتم يا راشيا الكبرى كيف يتكوّر الزمانُ بلمحة عزّ فيعود إلى خلقه الأول، فكلّ إليه يُرجَعون؟!

واللهِ ما تملّقتُكم تزلّفاً يا راشيا، ولكني استلنتُ عنفوانَكم العبوسَ، بقولٍ مجوّدٍ ومجمّلٍ وصحيح، لأُطربَ مهزّتَكم، وإنْ تأخّرتُ عن افتتاح كلامي باسم سورية العربية، وباسم فتاها سعادة، وباسم نهضة لولاها لما أقبلنا إليكم ولما قبلتمونا.

حكمتُنا ويقيننا: أن النهضة لا تُحتكَر في قبور الرخام بل تُشرِّع على السنان والأبجدية، وأنّ العروبة الحقيقية لا توأد في تابوتِ المومياء، ولا يَحتكرُها أصنامٌ عاكفون على صنم. أما نحن أبناء الحياة والنور، فقد شَدَّنا قيدومُنا، ووليُّ قَسَمنا، وصاحبُ زماننا، برجاءِ حقيقي مجنّح، وبملكوت مُرادِ ويُستطاع، إلى مراقٍ أصبحت قَدَرَنا وصراطنا ومحورَ همومنا، وطوبى للصابرين! فكلٌّ متعاقدٌ، وشريكٌ ومساهمٌ ووارثٌ، وناخبٌ ومرشّح، وملاّك. نحن أحرار من عقيدة حرة ومحرّرة، بقصد مجتمع حرّ وأمة حرة، نحن إزاءَها مُهطِعون. نحن متعاقدون ولسنا من الطلقاء.

لذلك تروننا محمومين أبداً، مأمورين بالتعبير عن حقيقة 153 جيلاً و6000 سنة من عمر عروبة لم يأتِ حينٌ من الدهر إلاّ كانت هيَ العروةَ الوثقى في المشرقين وفي المغربين. إنّ من أقصى مهمات النهضة لأَنْ تتعمق في التأويل والتفسير كي تستنبطَ أسرارَ تاريخ سورية العربية والعروبة رمةً ونواميسَ نشوئنا وبقائنا في مواريثنا الدهرية بغير وعود كيذبانة من يهوه المجرمِ والدجّال أو من توراة مزوّرة ومزيّفة. أتُرى هذا الوعد المزعوم: لماذا لم يكرّره اللهُ في كتابَيه الأعظمين؟! بل هي كذبة كَبّارٌ اعتمدها اليهودُ أعداءُ كنعانُ أعداءُ بابل أعداءُ آشور، أعداءُ أرام، أعداءُ السريان، أعداء العروبة، أعداء سورية، أعداء لبنان، أعداء الله.

ردّتنا على هذا التضليل كانت النهضةَ التي نعتبرها نحن المشروعَ العربي الأول ضدّ المشروع الصهيوني. منذ 1924 بدأ سعادة بالردّ عليهم. فلمّا تبلورَ البيانُ في فؤاده وعقله ألّفَ الحزبَ السرّيّ في 1932، وصُدعَ بالأمر الأعظم وبالحمل الأثقل في 1935. لقد علّمَ ونفّذ: لم آتِكم بالخوارق، أنتم الخوارق، لأنَّ فيكم أنتم كلَّ فكر وفلسفة وعلْم، ولأنّ فيكم أنتم قوةً لو فُعّلت لغيَّرت وجهَ التاريخ. اللهُ أكبر، هوذا شهداؤنا/ والشهداءُ جميعاً/ ردٌّ بليغ وفصيح على الاستكبار العالمي واليهودي معاً. وهوذا التلاحُم اللبناني السوري قدوةٌ لمن يقتدي بالحق ما بين الخليج والمحيط. منذ نشأتنا أسسنا لهذا التلاحمِ ولأكثر منه. والنهضةُ قامت، **وعُمرها ثلاثةَ عشر عاماً، بأول ثورة**، في العالَم الثالث بُعَيدَ الحرب العالمية الثانية، ضدَّ حكم فاسد ومستبدّ ويصدّنا دون حقوقنا السياسية. **وقامت بثورة ثانية بعد ثلاثة عشر عاماً أخرى**. وهما شرف لنا وإنْ أخفقْنا أزاءَ الفساد المتكبشِ وأزاء مواريث خمولٍ عمرُها ألفُ عام. ولكننا نقشْناهما في الحجر وفي التقاليد والأعراف. ولسنا بنادمين. هوذا مورايثكُم فاستلموا!! نحن أسسنا المداميكَ لقيام هذا العهدِ حرسَهُ اللهُ ووقاهُ، وحرسَه شعبُه وجيشه ووقاه. نحن حماةُ الديار ونحنُ الأمة ونحن الجيش الشعبي. ونحن العروبةُ الجديدةُ المتقمّصةُ من أكفان البلى. لا تنسوا!! منذ 6000 سنة حتى الساعة ما احتاجَ المشرقان والمغربان لتراجمة ما بينهما، **بل لغةٌ واحدةٌ عربيةٌ سابقةٌ وأسبقُ ولاحقةٌ، حتى تسربلتْ عُليا مَعَدّ بالبيان وبالبلاغة، وحتى**

صاغَ الوحيُ قرآنه ردّاً عربياً على من طالماً قالوا سَفاهاً إنّ اللهَ لا يُصَلّى له ولا يُعبد إلا باللاتينية أو اليونانية أو العبرية. المسيحُ تحدّاهم بالأرامية، والله ومحمدٌ وجبريلُ قفَوا بعدَه بالمضرية العصماء. ومن يقاومْ منطقنا فليدلَّنا على شعب في التاريخ أو أمة أو قبيلة غيّرت لغتَها بمرسوم أو بقرار، بل هي اللغة كُنْهُ الإنسان والشعب، وهي فكره المتجسّد، وهي كائن حيٌّ يتطوّر ويتجوّد بقدر نخوة الشعب والأمة والحضارة التي تصاحب اللغة. والعربية العنقاء ما انفكت تتجوّد وترتقي طوال 6000 عام حتى تتوّجت بعُليا معدّ جوهرةِ العقد، وبالقرآن.

حكمتُنا يا شعبَ الله، يا عروبةُ، أنّ النهضة لا يمكن أن تنحصر في بيئة وَحْداء دون أخواتها وأشباهها وتوائمها، **بل شيمةُ مطلقِ نهضة، سواءٌ السوريةُ أم أيُّ نهضةٍ عربية أخرى، أن تتمدّد وتتجذّر في البيئات التوائم والأمم الشقيقات من العالم العربي الكنعاني الأرامي البابلي الواحد.** أن هذه البيئات لكالأوعية المتواصلة القعر وإلا لتتسرّبنّ إليهنّ الماء الواحدة. **وما من أمة في العالم العربي نهضت وحدها وأمسكت دون الأمم الأخرى الشقيقات. كلنا في العزّ واحدٌ وكلنا في الذلّ واحد.** أخوك الفقير يا متخماً وثرياً وبطراناً ومترفاً لا يظلّ أخاك. وأخوك العبد القنّ المملوك يا ملك الزمان لا يظلّ أخاك. وأخوك الأعجمي الشعوبي يا متوهماً أنك عربي عرقي لا يظلّ أخاك. **وسورية غير العربية، بل غير المغرقة في العروبة الجديدة الحقيقية العملانية المدنية، تتحول بلمحةٍ إلى شلوٍ يتقاسمه الترك والديم واليهود، فتقتصر العروبة على أعرابية صحراوية يتقاسم نفطَها العطاشُ إلى الطاقة من مستكبري الأرض. النضهة وحدها ضامن لعروبة سورية وللوحدة العربية المضمونة بدستور دمقراطي مدني متقدّم.**

حكمتنا أن الأيلية العتيقة أمّ الدنيا هي الدوحة التي أزهرت وتطعّمت عليها وعقدت عليها المسيحية ثم الإسلام، باللهجتين الأرامية والمضرية، التوأمين، بيد أن عليا معدّ كانت اللغة الأتمّ بعد تلاقح الأرامية والنبطية. مسيحيتي تعلمني أن اليهود الفريسيين والصدّوقيين هم حيات نسل أفاع إلى يوم القيامة إلّم يتغيروا بالحق. وقرآني يعلّمني أن اليهود معتدون وأنهم ملعونون إلى يوم القيامة، حتى يفيئوا إلى الحق.

حكمتنا أن العروبة النهضوية تجمع وتقوّي، وأما القبلية والطائفية والأعزابية والأقطاع فتفرّق وتصبّ في طاحونة الاستعمار وإسرائيل كما الماءُ في الساقية والنهر وفي البحر، بحكم نواميس الجاذبية والتساقط.

وحكمتنا أن اليهوهية لا تتعرّب، وأن العروبة لا تتهود، وأن هذه الأرض هي ميراثنا، وأنها لا تتسع لعرب ويهود، وأن الحكومات قد تهادن، مضطرةً ومقهورة، إلى حين، **وأما المجتمعات فلا تهادن** من ينكرها ومن ينكر حضارتها ودينها ويسخّف مقدساتها. هذه المجتمعات ستظل المستودع الأصفى والمعتصم العنيد ضد كل تطبيع وضد كل مصالحة مع اليهوهية وإسرائيل سواء بعولمة أم بانعزال. ولسوف يصبح هذا الموقف الرافض هو الحقيقة القومية الثقافية والسياسية العظمى التي عليها سيتعثّر الحكام حتى زوال إسرائيل.

حكمتنا أن التهاون والنفاق في تعميق عروبة لبنان وتوضيحها يجعلان لبنان رديفاً غبياً ومتخلفاً لإسرائيل حتى تلتهمه وتبيده، ويجعلان من الهلال الخصيب بؤرة حاضنة لإسرائيل الكبرى. **حُلم الصهيونية الأعظم هو سوريةٌ هجينة أعجمية وشعوبية**. إن العروبة الحقيقية هي درعنا الأوقى.

من على هذا المنبر الأرقى أتوجه إلى المطمّشة بصائرهم، تداركهم اللهُ والحق والعقل والوعيُ، وإلى الموقَّرَة أسماعُهم، وإلى المغفّلة مداركهم وإلى العشواء أبصارهم، أن حماية الحرمين الشريفين دون القدس الأسيرة والخطيفة يبقيهما تحت الخطر، ويبقي بغداد مجرّحة، ويبقي دمشق مستفردة، ولبنان في الزعازع القاضمة، ومصر والجزائر والمغرب في المذابح القاصمة، والخليج بغير وزن واليمن معزولة ومقصداً للحاخاميين.

حكمتنا تقول إن العراق المطوّق والمحجور عليه هو وهنٌ للعروبة جميعاً، وإذلالٌ للعرب جميعاً مهما حسب الغافلون أن الغيمة السوداء موقّاة دونهم.

حكمتنا تقول إن دمشق المستفردة والمرابطة وحدها، ولو مع لبنان، هي وهنٌ للعرب جميعاً لأنه لا عروبة بغير دمشق كما أنه لا دمشق بغير العروبة. لست أقول شعراً للتمتع ولكن المعتصِم في البال.

حكمتنا أنّ بلداً غنياً جداً فيما شعبه جائع ومحروم إذن لن يدوم، ، وأن دولة متخمة فيما شعبها جائع وعطشان، إذن لن تدوم، وأن مجتمعاً مغيّبٌ جُلُّه في الدهاليز إذن لا يدوم.

حكمتنا أن أياماً عصيبة أخذت تكفهرّ في الأفق المسودّ، وأنّ الأمن ليس بالمّجان، وأن القوة لا تسقط علينا كالمنّ العجائبي. وليس ينقذنا من الويل المتجمّع سوى وحدةٍ مجتمعية لحمتُها الوعيُ القوميُّ المريدُ الخيرَ العام، وتماسكٌ في وجه الأعاصيرِ والترسانةِ الاستعمارية المتكدسة في إسرائيل.

حكمتنا أنّ أمامنا زماناً طويلاً يشبه محنتنا بالصليبيين والعثمانيين مهما حصل من هدنات طويلة ومن وقف إطلاق النار. أيامنا الآتية ألف قانا وألف سناء وألف ويل متربّص وليس ينقذنا قياداتٌ هشة ولا مجالس قاصرة ولا نواب من كرتون ولا مشرّعون أمّيون ولا موظفون فاسدون. وإنما ينقذنا مواطن واعٍ على هدى خطاب راق وإعلام قومي وطني عربي اتحادي، وثقافةُ جهادٍ وصراعٍ وإنتاجٍ وفعالية. الإنقاذ عملية جماعية كلانية يتولاها حكم شرعي ومجلسٌ شرعي ونواب أشاوس وحكومة استنفار نزيه. إنقاذنا يتأتى من بطولة مؤيدة بصحة العقيدة لا من أشباه رجال ولا من غلمان أوهى من مسؤوليات معارك المصير.

ولتحيى سورية

وليحيى سعادة

نادي راشيا الثقافي - بكّيفا -

16 نيسان 2000

العقيدة وتحدّياتها

لعلّ هذه المحاضرة حلقةٌ أولى. ولربما كانت كالعشاء الأخير، قبل الصَّلب.

على إثر حملة من مقالات ومحاضرات ومداخلات، سألني رفقاء متعددون: هل عندنا في النهضة لاهوت خاص، أو فلسفة تاريخ، أو نواميس نابعة من حياتنا؟

جوابي الفوريّ: برغم أن عقيدتنا وتعاليمنا وسيرة حزبنا، سواء في العافية أم في السقم، وفي الاستقامة أم في الخطأ، هي من أكمل العقائد وأوفاها، فيظل أنه لا تقدر نهضة أن تقمع القلقَ والنقد والبحث. فالثقافة هي تكليفُ بحثٍ وتجديد. والمثقف الحقيقي مكلّف من نهضته: أي من ذاته، ومن قلقه ومن نخوته، ومن الحزب، أن يساوره همّ بنّاء إزاء هذا الأمر أو سواه، وأن يسعى للتثقّف وللاستزادة من العلم، وللمشورة الرفاقية، لكي يعبّر عما لم يصدر فيه قول، **وحتى عما سبق أن صدر فيه شرح**، سواء في الحزب وأدبياته، أم في محافل خصيمة، أم عدوّة، أم محايدة. **ليس في الصراع الفكري حياد ولا توقف، وليس فيه ممالأة ولا زحفطة. الصراع الفكري هو نسغ الحزب وزيت النهضة في ميدان مضرّج بالحبر وبالدم وبالعراك بغير هَوادة. محضُ الثقافة صراع، بل صراع من الطراز الأرفع.**

عقيدتنا ليست ديناً متجمداً، معاذ الله!

وعقيدتنا ليست إيماناً منزلاً، معاذ الله!

وحزبنا ما كان يوماً ولا اليوم، معصوماً، معاذ الله!

ونصوصنا ليست مقولات محكمة أو مطلقة معاذ الله!

النهضة، حياةً ونوراً، تغيّر السوى وتتغيّر هي، وتبدّل في المجتمع ويتبدّل أسلوبها وخطابها وبيانها ومنطق عملها، وتنمو وتثمر وتتشحّل وتُطعَّم مثل كل كرمة خيّرة. وما ليس يتشحل يتبهّم ويبربر ويأكله فساده وتراكمه.

للعقيدة والنهضة أعداء، وخصوم، وأصدقاء.

العدو الأول والأشرس هو إسرائيل واليهوهية ومشتقاتهما، والاستعمار الذي يساندهما. وهذه العداوة عامة وشاملة، وفي العمق، ودائمة.

دائمة: طالما أنّ ثمة يهوداً ويهودية يطمعون بفلسطين، إذن بسورية فبالجزيرة ووادي النيل، وحيثما تقود النواميس الجيوسياسية.

إسرائيل واليهوهية واليهود يحملون مقولات وادّعاءات همجية، ويعتمدون أساطير متحجّرة جعلوها وزوّروها وحياً منزلاً. وهي مقولاتٌ ينبغي في نظرهم أن تتجسّد على الأرض، وفي بلادنا ذاتاً. وليس يملكون أن يلتجموا عن التوسّع بقدر ما أننا نحن، في العقيدة القومية الاجتماعية، لا نستطيع أن ننعزل في كيان واحد ولو أردنا ذلك، ولا أن نحصر النهضة حكراً في سورية أم في أي أمة عربية، حتى لو انحرفنا إلى ذلك، أم تيّهنا التيهُ، أم ضلّلنا تملّقُ الهويني وسرابُ المال الحرام، أم الخيانة سواء عارفةً أم عمياء أُمّيةً.

نحن دعاة نظام مدني يفصل الدين عن الدولة ويمنع رجال الدين من التدخّل في السياسة وفي القضاء فأنهما شأن قوميّ، لا ديني. نحن لا نلغي الدين ولا نعترض الأيمان بشرط ألا يُستغلاّ للتدخل في السياسة أي حتماً للابتزاز، وللتبعية في الداخل والخارج.

النهضة إذن لا تستغني عن موقف ثقافي واضح في كل شيء يهمّ المجتمع والدولة والعروبة لأن جوهر النهضة ثقافة جديدة وتامة ومتطورة. ولا يمكن ألاّ يكون للنهضة موقف من المقولات الدينية التي قد يتبعُها السوريون والمتسورنون، والأمم العربية والمستعربون، بقدر ما أن هذه المقولات تؤثر على المجتمع وعلى الإدارة وعلى السياسة الخارجية، بلونياتها المحلية، أم بلونيتها الموحدة في الجبهة العربية أيان قيامُها.

أما في اللاهوت وعلم الكلام فلا بدّ للنهضة القومية الاجتماعية الطامحة شرعاً لأن تتعمم حكماً في العالم العربي جميعاً، لا بدّ لها من صياغة ما قد **نصفه بموقف مرسَل وعام**، وبغير تحديدات تُدخلنا في الصراعات الكلامية. ولكننا معنيّون، قسراً واجباً حتماً، بصياغة موقف فكري سياسي **يقلّل التناقضات الموروثة من تسرّب اليهوهيات إلى اللاهوت المسيحي، ومن الإسرائيليات في علم الكلام، ومن الضلالات التي تُتَوئم العهدَ الجديد بالعهد القديم. ويتحتم على النهضة أن تصدّ مقولةَ وثنية الدين الأيلي الذي التحفت به الحضارة السورية الأمّ وامتداداتها الصحراوية واليمنية أي العدنانية والقحطانية، وغرباً إلى شمالي أفريقيا، في الحقبة الكنعانية.**

وينبغي كذلك أن نجتهد وأن نفسر ونؤوّل:

● بقصد إبراز وتوكيد التفاعل والأبوّة ما بين جبيل وأفقا وبين وادي النيل عبر تصدير أوزيريس (الذي هو آدون) إلى الدلتا وإلى الصعيد،،

● وبقصد إبراز وتوكيد الأبوة والتفاعل ما بين صيدون وكريت بالأخص، واليونان عموماً،،

● وبقصد التوكيد والتعميق في شأن صور والأبوّة الكنعانية في الثقافة والنسب لكل من قرطاجة والشمال الأفريقي وأسبانيا وفرنسا الجنوبية وإيطاليا الجنوبية وجزرها وجميع الأقوام السلتية والأتروسكية بالأخص، وسواهم في إيطاليا، ما عدا اللاتين وأتباعهم،،

● وبقصد التعميق والتوكيد أنّ الأتروسكيين بالأخص والأرلنديين هم من الكنعانيين في مرحلة أقدم من قرطاجة،،

● وأن الكنعانيين خاصة في سورية الغربية وامتداداتها المتوسطية والأوروبية هم بنو حِمْيَر ومن حضر موت بغير ريب. هل تتحمّلون إذا ما قلت إن أعداء نابليون كانوا يلقبونه بالكورسي وبالكنعاني وبالفينيقي وإن عَلَمَ كورسكا الوطني الأصلي هو مقاوم قرطاجي ما بين العصابة الجبلية والملاح الفينيقي الجدع؟. (راجعوا كتابَيّ **هانيبعل، وقرطاجة العروبة الأولى في المغرب)**.

لقد أَعطينا وأخذنا، للجميع ومن الجميع، بفضل جدلية الحضارات وتلاقحها، لا بقصد إحسان وإشعاع عبثي ومنّة، بل بدافع سياسي اقتصادي عمراني تكثيري، ومضمّخ لا ريب برسولية قاصدة، وتلكم سمة غالبة على مراحل تاريخنا المسدّس الآلاف. ويضاف إلى هذه الدوافع مستجداتُ اكتشافِ أميركا، وتكثيفُ العلائق مع الشرق الأقصى، والعصر الأميركي المتشحّم ضدنا باليهوهية والصهيونية.

ولن يقلّل من حقيقة هذا التلاقح ومنافعه ومستقبليته حَرَدُ الشعوبيين، ولا ضيقُ صدر شوفينيٍّ، ولا عصبية قومية خام حارنةٌ في الوطن، ولا تزال على نصوص الثلاثينات **وكأنّ 2 ـ آذار ـ 1947 لم تكن**، فيما الزعيم المنفيّ يوالي تحنّفه الأبهى **فيتجلّى له ويتكشّفُ هِنَةُ انتقاص العراق من الأمة والوطن، وتمامُ القومية الاجتماعية، والرتبةُ المدرحية، والجدليةُ المدرحية في التاريخ، وأفاعيلُها المؤدية إلى ما هبطَ به علينا في 2 ـ آذار ـ 1947 في مطار بير حسن، أقربِ نقطة إلى مشهد 1949.**

ولن يُحبطَ توأمةَ العقيدة والزمانَ المتطورَ إلى غاياته وإلى مقاصده منا، **تحنُّطُ أشباه نهضويين قصَّروا قصوراً أمّياً وحتى مشبوهاً ومتعمّداً عن الإحاطة علماً بأفاعيل الجدلية المدرحية التي تضخّ النسغَ المحييَ في القوميات الخام فتوحّدها في المجتمعية الواحدة** أي **بالأقنوم المجتمعي المؤدي حضارياً وجغرافياً إلى العروبة الجديدة**، والحقيقيةِ الحضارية الواقعية المنبعثة من التخلف الوهمي الرومنسي الراهن في العالم العربي، فتؤسسَ للجبهة العربية الاتحادية. وذلكم أعظم وأعمق عطاءات سعادة ومآتيه.

الأقنوم المجتمعي تَبَلّ العصبية الخام الأعرابية والقبلية والطائفية، والعرقية والانعزالية بحضارية علمية معاصرة تقنية ومقتدرة كانت البداوة تفتقدها، فأخرجها من الترقب والتشنج والعجز، ومن الانعزال الجغرافي، ومن أقفاص مواريث التسميات المناطقية الخداعة، ومن مدسوسات الاستعمار والانتداب اللفظية والإدارية، ومن مذهبيات وطائفيات وقبليات هنّ أسوأ من عرقيات ثقافية مشوهة. الأقنوم المجتمعي الذي كان باهتاً وثانوياً في القومية الخام والبدائية،

هو أسّس وفعل فعله ليُخرج القوميةَ الخامَ من الحضانة السورية إلى المدى العربي الواقعي والحضاري والثقافي واللغوي والمصيري. **العروبة القومية الاجتماعية الراشدة هذه**، الخارجةُ من رحم البدائية القروسيطة، ستساهم بعمق عظيم في عقلنة النهضة، وفي جعلها العروة الوثقى في المتوسط الجنوبي والشرقي، وفي مدّ الجسر المحتم ما بين عروبة في الجنوب، وأوروبا في الشمال، حلفاً مناقضا لليهوهية ورافضاً إياها.

حدّيا الناس!!

أتحدّى!! من يجرؤ اليومَ، بعدُ، أن يكتب أو أن يستكتب تاريخ القرن العشرين في سورية وعروبا بدون الموقع الأجلّ للزعيم أنطون سعادة؟! أيّ ابن فاعلة سيجرؤ على هذا الزنى؟!

ترى، لو ألغينا الإشعاع النهضوي البنّاء والقاصد من تاريخنا، فماذا نحن إذن؟ ومن نحن؟ إذا ألغينا أو قصّرنا دون نقل البدائية القومية إلى القومية الاجتماعية، وإذا ألغينا أو قصّرنا في سعينا لإنشاء الجبهة العربية، وعن تطعيم القلق العربي الوهميّ بطعمنا الواقعي والعلمي، فلماذا هي نهضتنا في سورية؟ **وهل يمكنها أن تقتصر على سورية؟**

المعنى: هل يتمّ انتصار النهضة في سورية بغير رسوليتها إلى العالم العربي المتهافت بغباء إلى صلح مع إسرائيل وإلى مصالحة مع اليهوهية، والثانيةُ الأدهى!!. وهل ادّعاء إتمام النهضة في سورية أولاً لا يزال اليوم حجّة راشدة لقوم يفقهون؟ ماذا؟ هل ستتعب المطبعة أم التلفاز أم الرسولية إذا تمددت اليوم نحو الأطلسي أيضاً والخليج وعبر الحدود؟؟ أم يخجل الشعوبيون من إعلان نواياهم فيقسّمون الوقت تالياً بعد أول؟

السؤال: ما هي سورية ومن هي وكيف هي سورية غيرُ العربية؟ بلى! هي عرضةٌ لزحمة الفرس من الشرق، ولزحمة الطورانيين من الشمال، ولتلغيم إسرائيلي في كل مكان. سورية غير العربية هي مهد إسرائيل الكبرى.

وبعد، فالأثم الكنعاني، والكنعانيون هم عرب حميْريون حضارمة، هو

جوهرة العقد في صوفية أصالتنا وإشعاعنا، وهو تِرْسٌ ضدّ التغرب الممعن في البعاد، وضد التمدّد أفقياً وعمقياً بقطيعة عن الينابيع. الأميرة أورووبة بنت أجنور وأخوها قدموس، هما أسطورة سواء أكانت وهمية أم حقيقة، وهما رمز للبعاد والاقتلاع. ولكن الخبر يظل انقشاعةً وشرّاقةً في زنزانة الظلمة وفي ضباب التاريخ غير الجليّ، الذي ليس لنا في جميع حالاتنا ومعطياتنا الراهنة أفضلُ منه ولا أنفع.

سيظل يصمد من جوهر هذه المراحل التأسيسية أَنَّ سورية الشرقية (العراق)، منذ عروبتها الشمّرية والعقادية (أي منذ تضافر البداوة الشمّرية والحضر العقادي)، لم يستجرّها دافعٌ قومي ذاتيّ توحيديّ لا نحو فارس ولا نحو آسيا الصغرى. الجاحظ يقول عن الدولة الأموية «إنها كانت دولة عربية أعرابية، فيما الدولة العباسية صارت دولة عربية يغلب عليها لونية فارسية». الجذر ش م ر (س م ر) يعني الحراسة والسهر والمراقبة والرعاية، فيما (ع ق د) يعني البناء والعمران. ثنائية شمرّ وعقاد هي أول تجربة حضرية أعرابية لإنشاء دولة واحدة. راجعوا **ملحمة جلقاقش** وقصة أنكيدو البدوي والفاتنة المثقفة الحضرية التي كُلّفتْ باجتذابه تدركوا مدى وعي المجتمع العراقي الحضري آنذاك سواء في التنفيذ أم في التعبير والمقاصد.

هل أذكّر أنَّ عمر بن الخطاب لم يكن يستحبّ أن يفتح فارس وأن يضمّها إلى الدولة العربية؟، ولكنّ للستراتيجيات دوافعَ أُخَر.

ويبقى أن الفتح الإسلامي العربي قد طرد من سورية الشعوبيتين الفارسية والبيزنطية وأعاد إلى سورية المترنّحة عروبتها المفتقدة. وهل أذكّر أن سورية الطبيعية جميعاً ظلّت على أكثرية مسيحية طوال الخلافة الراشدية والأموية والعباسية حتى مجيء الصليبيين؟! وهل أذكّر أن سورية في الخلافتين الأموية والعباسية، في دمشق وبغداد، تولّت هي القيادةَ والسيادة خلال الخلافتين (ما عدا الأندلس) وحتى عام هولاكو، برغم أنّ فتح الأندلس هو من صنع عرب الشام والعراق واليمن، وهم عرب واحد؟!.

وهل أذكّر أن سعادة في الثلاثينات أصدر بياناً سياسياً هاماً يعترض فيه

على التدخل المضرّ في فلسطين من قِبل الأمة العراقية في شؤون الأمة السورية؟

وهل أنوّه أن سعادة إياه، الزعيم المتنوّر، عاد بعد عشر سنوات من الدرس والتأمل والانفتاح، فصحّح ما تيقن أنه خطأ ونقصٌ في نصّ المبادىء الأول، فأدخل العراقَ جميعاً في محض المكان والزمان والإنسان من الأمة السورية العربية؟. تُرى هل كان سعادة يستزيد مساحة وعقاراتٍ وإحصاءً أم أنه كان، كنهضة في النهضة، يصحح تاريخ نشوء الأمة ويوحّده ويرصّه رصّاً بقدر ما كان يوحّد الأرض الأمّ ونواميسَ نشوء الأمة وتطورها وإقام هويتها؟. كانت العقيدة بتراء فعالجها بالعلم وبالأخلاق وبالاعتراف الصريح بقيمة الدولة البرية المؤسِّسة للأمة وللقومية، أكثرَ جداً مما كانت الدولة البحرية في نظره. وما كان التصحيح شأنا سلطوياً ولا عبثياً بل صدقٌ علمي أَتَمّ الدورةَ الحضارية في سوراقيا. بل أكّد توكيداً فوق توكيد حقيقةَ العروبة السوراقية الأمّ والأقدم في تاريخ العالم العربي. العروبةُ بمعناها القومي والحضاري، أي بمعنى البيان والوضوح والمعرفة، هي شأن سوري بالامتياز. وهكذا توضحت الرسوليةُ النهضوية إلى العالم العربي، واستحقت سورية أن تكون هي الوجدانَ والعقلَ والترسَ والسيفَ في العالم العربي، وليست كفرنسا في الجزائر، ولا كإيطالية في ليبيا. ولولا هذا التصحيح لكنا هلكنا ونضبنا في الباتيناج الفكري والسياسي، ومن المراوحة الدرويشية في قزم وطن ولا وطن، وفي نصف أمة ولا أمة. أتمنى لو نستعيد الآن معاً ما كان الحزب ومواريثُه الفكرية وأدبياتُه لو أن الزعيم توفي في العام 1938 في الباخرة التي أقلّته إلى البرازيل.

رأيي الذي لن أنفكَ أصدعُ به أنَّ أعظم ما في سعادة زعامةً لهو تصحيحُه ما كان أقسم عليه وقسّمنا.

سأكرر، ولو مللتُ ومللتم، وبالسرعة الإملائية:

● «توحيد الوطن من الكويت وامتداداتها الخليجية التنوخية وحتى قبرص، ومن طوروس والبختيار وزغروس إلى البحر الأحمر، مروراً مفتوحاً على الاحتمالات المستقبلية في وادي سرحان فالجزيرة كلها يوماً ما، لم يكن عملية عقارية موسعة بل عمليةٌ فلسفية وتاريخية وثقافية وتوحيدية، وتمهيد مبكر

ومستعجل، وخطوةٌ شجاعة لتوضيح عروبة سوراقيا بمرة واحدة وأخيرة وثابتة، وفعلية وعملانية. هذه العملية التصحيحية كانت ترشيداً للنهضة، وكانت تعبيراً مستجداً وعملانياً لمعنى المدرحية وأثرها في نَبَض تاريخنا الطويل وفي زَخمه طوال 6000 سنة. وسيستزيد الزَخمُ أيضاً مع تقدم الاكتشاف العلمي، ومع التوغّل إلى مطالع نشوء الأمة السورية والعروبة معاً. الهلال الخصيب الكامل هذا لم ينشأ بمعزل عن الواحات الجنوبية حتى نجران وحتى عدن، ولا عن الأسواق الجزيرية والخليجية واليمنية، ولا عن بؤر الحضر في الحجاز، ولا عن مناطق الحضر في اليمن ونجد، ولا عن القلاع العسكرية التجارية مثل دومة الجندل وبترا وتدمر ومؤتة، ولا عن مُناخات القوافل (كما المرافىء والمطارات اليوم) ولا عن بؤر النشوء الاقتصادي والمناسك التي ما اختلفت يوماً لغتها ومقوّماتُها وآلهتُها وأسماؤُهم الحسنى وصفاتُهم ما بين جبيل وعدن وصور والبحرين ويثرب ومكة وشمّر وتدمر وصيدون، في انتظار التوسع نحو قرطاجة وأوروبا. التطور الحضاري الاقتصادي اللغوي الفيلولوجي كان شراكة تامة ما بين شمالٍ خصيب ووسطِ صحراوي أعرابي وجنوب يمني حضري، وكذلك مع وادي النيل والمغرب الأقصى.

المهم أن تمحوا قصداً عمداً من ذاكرتكم البصرية المتأخرة، في جيلنا هذا، خطوط الحدود الاستعمارية والانتدابية والصهيونية، وأن تتصوّروا المدى العربي الأول المنسرح بغير هذه الخطوط الحواجز والموانع. لقد نشأنا والمدى العربيّ معاً، وما انفصلنا عنه مرة في التاريخ انفصالاً حضارياً ولا مصيرياً ولا لغوياً ولا إيمانياً. وما الحياةُ المشتركة سوى ذلك؟ أو أكثرَ من ذلك؟

أكثرَ من مرة استطاع الاستعمار أن يعزل الوجهَ المتوسطي السوريّ عن المدى الصحراوي الجنوبي، **فكان الرفدُ القومي المحرّرُ يأتينا من المعتَصَم البدوي الطهراني غير الملوّث بصليبية أم بطورانية** أم بعجمة يونانية ورومانية، وانتدابية معاصرة، وصهيونية. **قلبُ الجزيرة، بالمعنى الحضاري الأعمّ، هو البروليتاريا السورية الخارجية.**

الجزيرةُ هي طردت الفرسَ والبيزنطيين، وهي ناصرت صلاحَ الدين ضد

الصليبيين حتى معركة حطّين، وهي طردت الاستعمارَ الطوراني في مطلع القرن العشرين.

وقواتُ البادية، في الجوف ويثرب ودومة الجندل وهي العاصمة الثانية الدولة الآشورية، ساندت نبوخذ نصرَ ملكها ضدّ انقلابٍ يهودي أطاحَ به في بابل عاصمته الحضرية تخوّفاً من زحفه على يهوذا. فاستعان بقوى البادية ـ وهو **ملك أشور والعرب** ـ واستعاد العرشَ، وزحف على سورية الجنوبية وألغى دولةَ اليهود من شروشها. راجعوا كتابي «**ملكوت آرام**»، **إذا توفَّرَ لكم نسخة!**

ثمة إذن نواميسُ نشوءٍ محكماتٌ في مسيرة نشوء الأمة السورية العربية وديمومتها، وفي ترسّخ هويتها، وفي ثوابت معناها ووجودها. ويهيمن على هذه الكلمات والمعاني جميعاً فلسفةٌ إيمانية أخلاقية يناقضها همجيةٌ يهودية وأوروبية تلبّست أزياءَ مختلفةً قبل المسيحية وبعدها، وهمجيةٌ عبرانية يهوهية تترقب وَهَناً في أمتنا لتحالف أعداءَنا وتتسلّل إلى فلسطين. ويميز هذا العدوَّ الدهريَّ تقوقع حضاريٌ لا يعالَج، وتناقضٌ سلوكي لا يَردُمُ هوّتَه شيءٌ حتى المسيحيةُ والإسلامُ. **مختصر علاقتنا بهم: نحن أو هم على هذه البقعة من العالم، ويستحيل تجاورنا. شهداؤنا وقديسونا وأولياؤنا هم ذبّحوهم. أعيادهم مآتمنا وانكسارات لنا. وأمجادهم نكساتنا. وآلهتنا وأنبياؤنا فاليهود اضطهدوهم وقتلوهم ولا يزالون. الأرض التي يدّعونها هي أرضنا مهما اغتصبوها بدعم أعدائنا. خلافُنا وإياهم يشملُ مئةَ قضية ومسألة، ولستُ أرى حلاً لواحدة من المئة**. صراعنا وإياهم أبعدُ بُعداً من الجولان، ومن جنوب لبنان، ومن جامع في الناصرة، ومن حيّ في القدس، أو حيفا ويافا. **خلافُنا هو التالي: لا جوارٌ ممكناً، ولا أخوّةٌ ممكنةً ولا تحالفٌ. عدوُّنا صديقُهم، وصديقُنا عدوُّهم. أفراحُهم أحزاننا. أفراحُنا أحزانهم. واحدٌ فقط، نحن أو هم، سيسكن هذه الأرض. ولن تتّسع لكلينا**. نحن لن نتعلم العبريةَ لمعايشتهم، وهم مضطرون لتعلم العربية للتقرّب منا. نحن سنهضمُهم بألف وسيلةٍ حتى السيفِ، وهم إلّم يُبيدونا بادوا. تناقضنا وإياهم شامل:

إيل ضدٌّ يهوه، عشتار وآدون والبعل ضدٌّ يهوه. يهوه وإسرائيل ويهوذا

ضدُّ بابل وآشور وكَلدة وكنعان وآرام وشقّنا البدوي جميعاً. وأقوامنا هؤلاء أقوام عربية سوراقية من قبل العروبة المضرية الراهنة التي نحن على لغتها جميعاً اليوم.

المسيح ضدُ اليهودِ والهيكلِ والتلمود وشريعة موسى رمّة. لقد أعلن أنه جاء لينقضها. وقد نقضها فقتلوه. هكذا شُبّهَ لهم **ولكنه لم يمت ولن يموت.**

القرآن ضدُ اليهود. واليهود في القرآن هم غير بني إسرائيل.

النهضة القومية الاجتماعية ضدٌّ كل ما عندهم وما هم عليه وما سيكونون.

التناقض التام يشمل الإنسان ذكراً وأنثى، والمعتقداتِ والثقافةَ والأرضَ والوجودَ.

غير أننا اليومَ في دونيةٍ متخلّفة، ومغلوبون، ويقوّي اليهودَ علينا استعمارٌ غبيٌّ يحتضنُهم ويغذي ترسانتهم وصناعتهم العسكرية وغير العسكرية ضدنا. وليس في خط المواجهة اليوم سوى الشام ولبنان. وعسى أن تتوسع رقعة المقاومة القومية فلا يبقَ بؤرة جاهلة ويستغلّها الاستعمار لتهادن إسرائيل!

وإذا حصلَ صلحٌ وسلم ومصالحة مع سوريا ولبنان، أو تمّ اعتراف بشرعية اغتصاب اليهودِ فلسطينَ، فسوف تُكَمُّ أفواهُنا ومكاتبُنا. ستبقى المعركةُ الأولى هي ضدَّ المدسوسات اليهوهية في العهد الجديد، وضدَّ توأمة العهد الجديد المسيحي مع العهد القديم اليهودي. وجبهةٌ أخرى هي مقاومة المدسوسات الإسرائيلية في علم الكلام الإسلامي وفي بعض الاجتهاد والتأويل، وفي الخلط المقصود المتعمّد ما بين اليهود وبني إسرائيل.

جوهر صراعنا والتحدّي هو الخروج من المَيعَان الثقافي الراهن، ومن شبه الثقافة، ومن السهرات الثقافية، ومن العزلة الثقافية، ومن جوّ الخلوة والدير المقفل، ومن الألفاظية والأحرفية، ومن الشعوبية والعجمة، ومن شعور غالبٍ على البعض منا أننا متفوقون عرقياً وعقلياً على العرب الآخرين. إن هذا الحسّ العرقي لهدّام وضارّ ويُلغي النهضةَ بقدر ما يسمّمها بما يشبه النازية والصهيونية. والغريبُ في هذه الحالات أن هؤلاء التوهميين يكونون الأقربَ والأدنى إلى

العدو أكثرَ مما يتوهمون. وهذا المعنى هو ذاتاً ما استجرّ العملاء والطوائفَ إلى محالفة إسرائيل.

هذه العداوة وهذه الحساسية العجراء ضدّ جذر ع ر ب راحت تُعمي العقولَ والقلوبَ عن الحقائق الواقعية، وعن التمييز بين عدو وصديق وحليف وجار رضى. هذا الجرثومُ العتيق المتجدد يكاد يُنسي أشباهَ النهضويين أنّ أشرسَ معركة خاضها الزعيم في 1947 ـ 1949، كانت **ضدّ العروبة الوهمية التي أفلست. فصارت العروبة رمّة عندهم مفلسة.** وكما بمؤامرة قاصدة ومدبرة تعمّق الخندقُ والأخدود بين القومية السورية والعروبة والعرب، وقريباً ضدّ اللغة والتعايش، فلا يستغل هذا الشدخَ سوى إسرائيل.

إن أضنى التحدّيات للذي يواقفنا في خصومة داخلية أو مع ذوي الرحم والقربى العقدية. وكأنّ الجنوح القديم الذي **أسّسَ له ـ أو دسَّه ـ ملحقٌ تفسيري شعوبي أُضيفَ إلى الطبعة الأولى الأصلية من التعاليم والمبادىء في الأعوام التي تلت 1949، في دمشق،** قد عاد يفرّخ شعوبية منظّمة، أو يورّم مفاهيم مغلوطة، ويكلّسُها مثل ترسّبات جعيتا. وكأنّ سبعين عاماً من التأسيس والتراحم والمحبة والصراع والدماء والمجاهيد ستذهب هباءً. لقد نشأنا في تسعين بالمئة من وجودنا رمة ومن عمر النهضة ضدّاً لإسرائيل وللصهيونية ومشتقاتهما. **وما كانت الثورتان الأولى والثانية بقصد استلام السلطة، للبهورة والثرثرة، بل لتأليف جيش نهضوي قوي قادر وذي قيمة فعلية بقدر ما أنه ليس ميليشيا عبثية، بل جيشٌ اتحادي سوري وجيش عربي اتحادي،** ذو مؤسسات مؤهلة لأن تجابه إسرائيل وحتى حلفاءها. وهذا الجيش المتطور الحديث لا يقوم في مجتمع متخلف غشيم ولا في شبه أمة ولا أمة أو في وطن مشلّع أو في غربة شعوبية.

قولوا ما شئتم عن العراق وعن الأخطاء وسواها، ولكنه مَثَلٌ حيّ لما **تقتدر عليه أمتنا مجتمعة والعروبةَ الواعيةَ النهوضيةَ،** إذا ما كان كيان واحد قد اجتمعت عليه 36 أقوى دول الأرض لكي تغلبه. **راجعوا كتابي: المنهج الأكبر!!**

يا رفقائي يا أحبائي يا فَلَذاتِ كبدِ الزعيم المعلم الفادي، يا شراراتِ النهضة المتّقدة، لا يسرحنّ بكم التوهّمُ في مفازات الشكوك، ولا نطلقنّ الاتهامات ولو مع التعمية فكيف بالتسمية، فإنْ كلٌّ إلا فلذةٌ من كبده في خلوده كما في حياته. ولكن عقيدتنا وحركتنا ونهضتنا وحزبنا، على سموّها جملةً وفرادى، هي كائنات حية وُلدت باليقين والمحبة، وحَبَتْ ورضعتْ ونشأتْ وشبّتْ واستقوت بالصدق والعزم، وصارعتْ كما لا أحد، وانتصرت جزئياً لا ريب، وكذلك فشلتْ لأنها تحت رقّ الكائنات. ولم يتشرّف أحد بجراحه مثلَها، ولا بالعزّ الذي لبسته ولبسها مثلَ جلد النمر. **ولكنها الآن آخذة في الدبيب إلى ما يشبه أرذل العمر، بسبب الجمود الثقافي والعقم الإنتاجي والاستبداد الإداري وانعدام الشورى المقنّنة والدمقراطية الفعلية، وبسبب الاستغراق في الشعوبية المقصّرة، وبسبب تعامٍ عن سرّ النهضة وعن سرّ الحركة المتطور أفقياً وعامودياً نحو عروبة محتّمة وواضحة وحقيقية وعقلانية، مكتوبةٍ كالقدر علينا وعلى سوانا في اللوح المحفوظ. فإذا لم نلبِّ نحن أقدارَنا وأقدارَ المنطقة ونواميسَ الجيوسياسة، سبقتنا إسرائيل الضاحكة في عبّها من غباوتنا وتحالفت علينا مع الفرس والترك.**

وأخيراً أخيراً أطرح سؤالاً يستلزم جوابُه اجتهاداً شجاعاً إضافة إلى ما يتقطّر منه، كالماء من الثلج، منطقٌ مدرجيّ وعقليّ.

السؤال: إذا كان هانيبعلُ، في صلب عقيدتنا، بطلاً سورياً، وقد هاجرَ أجدادُه الكنعانيون من صور إلى تونس، قبل ولادته بثماني مئة عام ـ 800 ـ،

فلماذا لا يكون كنعانيو صور حضارمةً عرباً وهم بالحرف والتمام بنو حِمْيَر وقد قدموا إلى الساحل المتوسطي في هجرة عمل وملاحة، **قبل ثماني مئة عام** من هجرة إيليسّا أي علّيشا، (بالكنعانية وبالعربية التونسية اليوم)؟

ولماذا لا يستحق الشمال إفريقيون اليومَ الهويةَ السوريةَ طالما هم الآن، في نصوصنا المحكمات وفي أدبياتنا عرب وأشقاء؟.

رجوةً، صوغوا الجوابَ لا على المستعجل بل بتؤدة ووجدان، ثم ارجموني بانتقاداتكم واختاروا من يبدأ بالرجم!

نحن نمرّ في مواسم الحشر، وفي أيام ابتدال وفي مراجعة القواميس، وفي طغيان نواميسَ يصنعُها أعداؤنا، وفي علامات أزمنة تفرض ذاتها ولا نقتدر على صدّها.

العروبة الوهمية مهّدت لأذلالنا ثم غلبتنا بما تنازلت عنه لعدوّنا، وبما حالفت أعداءَ تاريخنا ووجودنا رمّة. ، لقد حُصرت العروبة الوهمية على تخوم داخلية حسبها جهّالُنا حدوداً قومية أو وطنية أو ثقافية، بل عرقية وحضارية وجهالاتٍ أُخَر.

أما نحن، النخبة المعاكسة والبديلةَ المجاهدة منذ مطلع القرن العشرين والوراثةَ تاريخَ مقاومة طويلاً ويطول، والحاملةَ سرَّ تاريخنا الموحَّد كلّه، فقد تجمّع فينا، وتجسّد فينا، الوجدانُ القومي الاجتماعي الواعي المريد الخير العام. ولكنه اليوم وعيٌ أبتر ويتيم وغشيم بحق ذاته ومقصّر عن النمو بقدر ما نتطلّع ضيّقاً، وما يأكل لحومَ بعضنا البعضُ بغباوة الذئاب.

ونحن في الأصل مجاهدون ومجتهدون ومجدّدون في أصعب جهالة حولنا مسيطرةٍ ومسبطرّة، وفي أضيق بيئة فكرية غاشمة، وفي أوسع تيه عانته الأمة منذ هولاكو وعبد الحميد. راجعوا إذا شئتم كتابَيَّ **النخبة المعاكسة ورسائل أفقا، ومسرحية لي بعنوان صقلوب!! وراجعوا الرشيش الشهيد! وراجعوا: قلق الآلهة وتمرّد الرمال. إنها جميعاً بعض حصيلة الصراع الثقافي الضروري في المجتمع وكذلك في الحزب.**

نحن كنا نحمل الهموم وحدنا كأننا مدمنون على اليقظة والصراع وعلى استنباش الهموم، ولكننا تقوقعنا ورحنا نخاطب الناس كأننا أهل الكهف أو كأنهم هم أهل الكهف، والتشبيهان صحيحان: فخطابنا غريب عن سمعهم وأفهامهم، وكلماتنا صعبة على ألسنتهم لشدّة تعبّدنا المجوسي للكلمات وتمسكنا الأصولي بالحرف، ولشدّة ما بَخَّ الشعوبيون في ظهرانينا، وما خرّب الصهاينة ودسّوا، وما شوَّه حَمَلَة المبادىء المستوردة والنظريات الطوفانية المستفيقة. أزمتنا أننا لا نتعرّف أعداءنا الثقافيين وأننا نستلشق بمن نحن، فيما يقدّرُنا حقَّ قدرنا وخطرنا أعداؤنا والمنافقون.

منذ 1932 كنا نعرف العدوّ من الصديق. ولأننا كذلك، فقد انتخينا

للتصدّي لصنوف التحدّيات مجتمعةً لأن معركتنا متكافلة متضامنة وواحدة ضد شرور متكافلة ومتضامنة ومتآمرة. قصتنا تُختصَر بأننا تعاقدنا ولا نزال نتعاقد على التصدّي وردّ التحدّي وتعاهدنا على أمر خطير يساوي وجودنا.

وقلّعتِ الورشةُ بالكلمة وبالسلاح والصراع حتى الدم وجميع المصائب المكتوبة في اللوح المحفوظ. وكان أصعبَ الورشة زحزحةُ البلادة عن عقول مقفلة، وعن أفئدة معمّاة وعليها أقفالها، وعن هلام مجتمع زيبقيّ بغير مرتكزات ولا مفاصل.

وصرنا الصرخةَ المثلى في قفر أصمّ ومسيّب وغشيم. وغلبت علينا بحق فكرةُ التمرّد المسلّح الثوري الانقلابي المباركةُ لا ريب: مباركةٌ بقدر ما أن أنظمتنا الحاكمة هي استبدادية مشوّهة، وبقدر ما أن الشورى نفاق رسمالي إقطاعي طائفي مذهبي عرقيّ، وقوميٌّ خامٌ وبدائي، وبقدر ما أن الحكام بالتالي هم **خُشُبٌ مسنّدة مستبدّة ومأمورة بجدلية المعلف والنير، وأنهم لا يفقهون ولا يدينون خلقياً وعملانياً بأن المصلحة القومية هي العليا.**

ونحن إيانا ندرك أننا الأضاحي المستهدفة غداً كما كنا أمس واليوم. من يَنَمْ مع العقرب والأفاعي فقلّما يسلم، ومن يسالم الكفار يندم.

المسيح قال لكُبّار اليهود: «**يا حيّات نسلَ الأفاعي، كلُّ شيء يُغفر لكم ما عدا التجديف على الروح القدس**». قالها وعربَشَ على الصليب لكي يستنزل عليهم لعنة أبدية. فما بالنا نستأمن، أو ندع سوانا يستأمن لجيرة العقارب؟ فإذا ما تجاوزت المفاوضاتُ مع إسرائيل إلغاءَ حالة الحرب إلى مصالحة ثقافية، فنحن إذن حطبُ المصالحة لا بأجسادنا البالية ـ هذه الثمانين والتسعين كيلو من الرماد، ومن علف الدود ـ بل الخسارة الحقيقية هي النهضة. النهضة ستوأد في نفايات الذرّة المنتصرةِ على الثرثرة العربانية الأعرابية المخدَّرةِ بالمال والجمال وبالنيوجاهلية.

يقيني الأعمق أن الشام ليست مقبلة إلا إلى الحدّ الأدنى من علائق لا يمكن دفعُها أو التخلصُ منها إزاء جبروت الاستكبار العالمي. ولن يجرؤَ أحد على توقيع صك تملّك اليهودِ بعضَ فلسطين، وبالتالي فلسطينَ كلَّها والأردنَ

والكثيرَ من لبنان والشام، وأكثر منها في بلاد مدين ويثرب ومكة، **وإلى حيث تتهاوى العروبة الوهمية التي قصّرنا نحن دون سوانا عن ترشيدها. وليس سوانا نهضةً وحزباً بمؤهل لهذه الرسولية الواقية لسوريانا، ولجميع عروبا الآسيوية أولاً، ولعروبا الإفريقية بعدها، ولخميرة النصر الوحداء.**

المصالحة الثقافية مع اليهود لن تخضع إلا لجدلية الذئب والحمل، ولجدلية اليتيم الغشيم مع الوصيّ اللئيم. ولْنفهمْ ولْنَعِ أن القرارات بحقنا مأخوذةٌ ومبتوتة كنسخة عما حصل في الجميزة، وفي مؤامرة مقتل عدنان المالكي. قرارات الاعتقال ممهورة ومختومة قبيلَ الجريمة. وجريمتنا الأصلية هي رفض الخنوع والخضوع، ورفضُنا الانضمامَ إلى قطعان المعلف والنير.

أزمتنا وألمنا وشرفنا أننا أهل معرفة وعرفان، وأهلُ وقفة عزّ تختصر أخلاقياتنا. إننا على اطّلاع بكربلاء أمامنا ولكننا لن نتراجع لأن العدو أمامنا والعدوّ وراءنا وعن جانبينا فإلى أي جانب سنميل، كما وصف المتنبي سيف الدولة. ونحن إزاء كرْم الزيتون وإزاءَ الأسخريوطي مقبلاً مع مرتزقة الهيكل والفريسيين. ولكن حذار يا سامعين الصوت!! الأخطار المحيقة لا ينبغي أن تخيفنا لأن الخوف هو بداية الانكسار. ولا يجوز، إذا كنا أوفياء وأمناء للميراث والوصية، أن ينهكنا النضال الحق ولا مَشقّاتُ الصمود.

قدرُنا أن نظل صامدين مثابرين مصابرين، وإلا تحوّلنا إلى أطلال دوارس، وإلى وشم باهت على جلدِ الأمة المعذبة، وفي صفحات صفراء من التاريخ.

أصعب ما نواجهه ويتحدّانا هو تساؤل الشعب إزاءنا وكأنه مخدوع: ما العمل وما المصير وأين المفرّ؟. فمنهم من يهاجر، **ومنهم من يرضخ، ومنهم من يتزعم مهمة الاضطهاد. أولئكم هم جلادو أيام الحشر.**

قدرنا أننا سنبقى صامدين ومثابرين ومصابرين. ولن نرضخ للطاغوت، وحدنا أمْ مع بقية مخلَصة لن تركع. سنبقى، فلعلَّ أن يقرأنا يوماً أطفالٌ لما يولدوا، فلقد نكون لهم أسوة حسنة. وتلكم قصة المسيح والحسين وآدون وتموز وسعادة ويوسف العظمة وعز الدين القسام وأبي ذرّ الغفّاري وعبد القادر

الحسيني وجميع صعاليك الجاهلية وخوارجِ الإسلام وشهداءِ الحق أجمعين.

أولئكم هم صحابة الحق.

وأولئكم هم بخور التاريخ.

واسلموا للحق صحابةً، وللجهاد.

واسلموا للتاريخ بخوراً منذوراً.

وتحيا سورية العربية ويحيا سعادة.

13 كانون الثاني 2000
قاعة الندوة الثقافية
قرب البريستول - بيروت

انتخابات المجلس الأعلى

في 7 أيار 2000 حصلت انتخابات المجلس الأعلى في سينما فرساي، آخر شارع الحمراء، نزلة أبي طالب. وقد حضر 211 أميناً من جميع أصقاع الأرض.

كنت مترشحاً لعضوية المجلس الأعلى بغير انتماء إلى لائحة انتخابية وقد كان المتنافسون قد ألّفوا لوائح واشتغلوا على الأمناء بتطبيقات كالتي، وأسوأ، تجري في الانتخابات البلدية أو الاختيارية أو النيابية في لبنان. بل اشمأزّيت مما رأيت في الأسابيع والأيام والاجتماعات التي حصلت لتطبيق الناخبين ولتأليف اللوائح، وآثرت أن أترشح منفرداً بناء للنبذة الحياتية التي سأوزعها، وهي معروفة لدى الأكثرين، **والتي فيها سجلّ حياتي العامة والعادية والحزبية مع نشاطاتي الثقافية والأعلامية والحزبية والعسكرية.**

وكان رأيي، واقترحته على أكثر من مرجع، أن يكون التصويت على قاعدة: «**ناخبٌ واحد صوت واحد لمرشح واحد**». فلم تتوافق الفكرة مع التيار المتحزّب السائد والمستشري. فتابعت الترشح المستقل **معتمداً على نخبوية الأمناء ووعيهم واستقامتهم.**

صباح الانتخاب، وفي مدخل الفرساي وزّعت النبذة الحياتية على جميع الأمناء الناخبين والمرشحين.

ودارت العملية الانتخابية حامية وشرسة وحاقدة. فنلت في الدورة الأولى 36 صوتاً فيما نالت اللوائح (أي 17 مرشحاً معاً) حوالي المئة. والذين فازوا من

الدورة الأولى نالوا حوالي 110 أصوات، ولم يفز سوى خمسة على ما أذكر.

في الدورة الثانية لم أكمل الترشح وفاز الفائزون بحوالي 90 صوتاً. (مع إمكانية خطأ طفيف في العدد).

وخرجت من القاعة كمن يودّع وهماً كبيراً وكمن يغادر مسرحية بغير رتوش عن التخلّف الدمقراطي في الحزب. وتملّكني سؤال ما انفك يصاحبني حتى طباعة الكتاب: **كيف يمكن للنهضة أن تنحلّ إلى هذا الحدّ؟ وكيف يخرج تقدّم من هذا الانحطاط؟ وهل يجنى عنب من هذا العوسج البرّي.**

أقول الحقّ والحقّ أقول: خفت من الأجوبة فوأدتُ الأسئلة كمن يطمر رأسه، كالنعامة، في الرمال. ولكن ظل الطنين يؤرقني أرقَ المصير والقَسَم والتعاقد والأمانة والرفاقة وصحبة المعلّم، وأرقَ عمر تقطّع في ما سجّلت بعضه (لا كلّه) **في المذكرات الجزأين الأول والثاني، وفي هذا الثالث بين أيدي** القراء، وربما في رابع إذا سمحت الأقدار.

7 أيار 2000

الحزب السوري القومي الاجتماعي

الموضوع: ذاتية الرفيق شوقي خيرالله:

كما قُدّمتْ إلى عمدة الداخلية ورُفعت إلى المجلس الأعلى الموقر مستنداً للترشّح للمجلس الأعلى ولرئاسة الحزب.

1927 ـ ولد في بحمدون. دراسة ابتدائية في مدرسة البلدة.

1939 ـ مدرسة الحكمة. بيروت، حتى البكالوريا الجزء الأول.

انتمى إلى الحزب، منفذية الطلبة العامة مديرية الحكمة.

1944 ـ الكلية الدولية، الجامعة الأميركية بيروت. شهادة الفلسفة.

1943 ـ 1946 ـ مدير مديرية الكلية الثانوية.

عضو اللجنة الإذاعية في منفذية الطلبة.

مذيع مديريتي الكلية الأهلية والجونيور كولدج.

ناموس ارتباط الجامعة الأميركية.

عضو اللجنة الثقافية المركزية.

ناموس الندوة الثقافية المركزية.

وكيل عميد الثقافة.

أصدر نشرة عمدة الإذاعة المركزية (دار العالم العربي).

أصدر النشرة الثقافية المركزية (دار العالم العربي).

نانموس مكتب الإذاعة للرأي العام.

مخيم عين حشيمة، بيت شباب.

مخيم عيناب (الأمين عساف كرم).

(إلقاء محاضرات ثقافية في المخيميّين).

ناموس مساعد في منفذية الغرب (بحمدون ـ الجرد).

ناموس اللجنة الأعلامية التابعة للمجلس الأعلى والمكتب السياسي.

محرر في جريدة النهضة المعاد صدورها.

1946 ـ التحق بالمدرسة الحربية في الفياضية.

تعرّف بالزعيم ثاني يوم عودته: 3/ آذار/ 1947.

وظلّ على اتصال به حتى الاستشهاد.

1948 ـ تخرّج ضابطاً برتبة ملازم في سلاح المشاة.

ـ تشرف بمعمودية النار ضد اليهود في 16 ـ 5 ـ 1948 كتلميذ ضابط ملحق بالفوج الرابع، قبل تخرّجه، في معركة جسر أبو زيلة/ الحاصباني.

ـ التحق بالفوج القناص الثالث كرئيس فصيلة، في معتصم قَدَس/ جبهة المالكية.

ـ اشترك في جميع معارك سهل قدس/ الحولة.

ـ نال مدالية فلسطين التذكارية.

1949 ـ عاد الجيش من الجبهة إلى مواقعه الدائمة.

ـ القناصة الثالث في بيروت.

ـ مع قيادة الفصيلة تولى مهمات:

1 ـ ضابط رياضة في الفوج.

2 ـ ضابط صيانة وإطفاء في الفوج.

3 ـ ضابط إذاعة في الفوج.

4 ـ عضو اللجنة الإذاعية في الجيش لتأسيس إذاعة الجندي.

5 ـ إذاعات توجيهية من الإذاعة اللبنانية في إطار إذاعة الجندي.

1952 ـ بعثة تدريبية إلى أميركا ـ فورت بننغ جورجيا.

دورة تدريبية على قيادة الفوج واللواء ضمن الفرقة، والمجموعات المختلطة.

1953 ـ دورة تدريبية في أميركا ـ فورت هالابيرد مريلاند: اللوجستيات والمخابرات.

ـ رئيس المصلحة المشتركة للهندسة والمخابرات في المصالح.

ـ عضو اللجنة السرية العسكرية الحزبية لإنشاء أنصار للجيش اللبناني/ الحزب.

ـ مستشار عميد الدفاع غسّان جديد.

ـ مستشار ناظر التدريب في منفذية بيروت، معين حمود.

1956 ـ قائد سرية مشاة في القناصة الثاني: طرابلس.

ـ خاض جميع اشتباكات طرابلس المنية الضنية عكار زغرتا مزيارة الكورة.

ـ قائد العمليات المشتركة حزب/ جيش ـ معركة البحصاص.

نال ـ وسام الجرحى درجة أولى.

وسام الاستحقاق اللبناني.

وسام الميدالية العسكرية الفضية.

1958 ـ قائد سرية مشاة في القناصة الأول مرجعيون.

ـ قائد قطاع في الحدود الجنوبية.

ـ قائد قطاع الخيام.

ـ تزوج هدى فؤاد إندراوس.

ـ نال وسام القبر المقدس من بطركية القدس.

ـ رزق ولدين نعمى وعليّ.

1961 ـ عضو اللجنة السرّيّة العليا لتحضير وتخطيط الثورة القومية الثانية ضد الحكم الشهابي.

ـ توقيف قلعة في الفياضية.

1962 ـ حصلت المحاولة الانقلابية وهو في التوقيف.

استنقذ من التوقيف بعد أن كانت العمليات انطلقت وبغير علمه.

ـ فشلت الثورة القومية الثانية وقد تنفذت بعكس الخطة الموضوعة وفلسفة الحركة.

ـ الأسر. التحقيقات الهمجية. المحاكمات: المحكمة الأولى والتمييز العليا.

ـ أحكام بالإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة.

أسر في المير بشير والرمل والقلعة.

نشر مقالات مغفلة في ملحق النهار بتوقيع شمدص جهجاه.

1970 ـ ك الأول ـ مرسوم عفو خاص من رئيس الجمهورية السيد سليمان فرنجية.

1971 ـ عضو في مديرية رأس بيروت الأولى (مديرها الرفيق محمد العبد بيضون رفيق السجن).

ـ صحافي في جريدة النهار.

ـ نشر المخطوطات التي أُلّفت في الأسر فكانت الكتب التالية:

- عشتار.
- المباشر.
- صقلوب.

- قلق الآلهة وتمرّد الرمال.
- الطريق إلى القدس.
- ملكوت آرام.
- حرب العصابات/ الغِزّية.
- النخبة المعاكسة.
- المنهج الأكبر.
- بسمة النور وثورة القسام.
- اللبناني التائه.
- البدوي التائه.
- الرشيش الشهيد.
- خولاء.
- أشوش بن فهد.
- مقالات في النهار ومجلة الجمهور ومجلة الديار.

1976 ـ ألّف وقاد مليشيا في بحمدون وشانيه وبطلون وبتواصل مع قرى الجرد ورشميا والحرف وعين الجديدة وسبعل والرجمة وبخشتيه والكحالة وعاليه.

ـ عضو اللجنة المحلية للجبل مع السيد كمال جنبلاط.

1976 ـ لجوء سياسي إلى دمشق.

ـ برنامج «**يا سامعين الصوت**» من الإذاعة السورية، يومياً مرتين.

ـ مقالة يومية في جريدة الثورة بدمشق تحت عنوان دائم «**صباح الخير**».

ـ عميد بلا مصلحة في الحزب وعضو مجلس القيادة وعضو المكتب السياسي.

ـ مقالات في البناء.

1978 ـ مقال يومي في جريدة الشرق البيروتية.

ـ لم يغادر بيروت طوال الاحتلال الإسرائيلي.

1987 ـ 1996 ـ مقال يومي في جريدة الديار.

ـ وحلقات مذكرات شوقي خيرالله 75 حلقة. (الجزء الأول من المذكرات) في الديار.

ـ وحركة الحوار النهضوي المفتوح في الديار.

ونشر الكتب التالية:

- يا سامعين الصوت.
- كان لبنان يشتعل.
- مجامر بابل.
- رسائل أفقا.
- تراث العروبة (عشرة أعداد).
- قرطاجة العروبة الأولى في المغرب.
- هانيبعل بن هملقرت بركة.
- أصدر مجلة تموز (متوقفة اليوم).

ـ نشاطات حزبية واجتماعية وثقافية ومشاركة في إطار جبهة بيروت الموحدة وندوة نادي الخريجين الأسبوعية (مجلس الشعب).

ـ نال رتبة الدكتوراه ـ علاّمة ـ من كلية الآداب العربية، جامعة كراتشي.

وأصدر:

- مذكرات شوقي خير الله الجزء الأول.
- مذكرات شوقي خير الله الجزء الثاني.
- سراديب النور.

1922 ـ رشحه الحزب للنيابة عن المقعد الأرثوذكسي في قضاء عاليه،

ضمن لائحة النهضة مع الأمين عادل الشعار والرفيق منير شبلي وفشلت اللائحة.

1998 ـ نال رتبة الأمانة في الحزب بأجماع أصوات المجلس الأعلى الموقر.

ـ كتب مقالاً أسبوعياً في نداء الوطن البيروتية (1998 ـ 2000).

ـ تولى عمدة الثقافة في الحزب.

ـ انضم إلى الحزب الموحّد .برغم رأيه المختلف في كيفية صيرورة الوحدة.

1999 ـ يحضّر لنشر المذكرات الجزء الثالث بعنوان النهضة في النهضة.

ـ عضو في الندوة الثقافية المركزية في الحزب.

ـ عضو في اتحاد الكتّاب اللبنانيين.

ـ عضو في المجمع العلمي لمدرسة الحكمة.

ـ نائب رئيس مؤسسة الرعاية الشعبية.

ـ عضو في ندوة الجمعة الثقافية.

ـ عضو في الملتقى الأدبي.

ـ في خريف 2000 سيصدر المذكرات الجزء الثالث النهضة في النهضة

نقّاش العرب | انطلياس
15 كانون الأول 1999

ترشّح لرئاسة الحزب العام 2000

باشر الحزب شهر الجلجثة ما بين 7 حزيران و8 تموز كأنه شهر نقد ذاتي وقراءة جديدة وتأويل حيّ للكلام، ولتجديد العهد. الإحساس الغالب في الصفوف أن كلاً منا هو بشير ونذير، ولكن على درجات.

ويظل يواجهنا الانحدار العربي المستفحل، وتذلّلٌ أمام الاستكبار يرهقنا عاره، وانعدام قيم الدمقراطية والحرية، وتناسي قومية المسألة الفلسطينية واختزال المسألة إلى شؤون عقارية وإلى حصر إرثِ حصةُ اليهود فيه أضعافُ حصة العرب السوريين الجنوبيين. ويغطي هذه الخيانة، بلى خيانة، ثرثرةٌ وضجيج وتدييث في **سراب الوحدة الإبراهيمية ووحدة الأديان السماوية الثلاثة**. الحزب غير مهتمّ فعلياً بهذه المسائل الثقافية التاريخية. ونحن نعتبر أن هذه الإشاحة تهرّبٌ موصوف وتقصير عن الأداء المطلوب. ولذلك نترشح بقصد ابتدال هذا الموات المخيم على الثقافة والأعلام في الحزب، ولعلنا نعود إلى الساحة الحامية.

هذه الذهنية المهيمنة تؤدي، وقد أدّتْ فعلاً، إلى إهمال مواضيع جوهرية متعلقة بغاية الحزب المزدوجة التي نحن عليها مقسمون ومتعاقدون: **النهضة والجبهة العربية**.

إهمال الغايتين وتوأميتهما أدّى إلى تراجع الحزب دون دور الريادة والقيادة ودون دور القدوة في مصارعة التخلّف والانحطاط الفكري والخلقي. بل استغرق الحزبُ بداهةً في الكسل الذهني وفي التخلف والسلفية المومياء.

الجماعة المقصّرة دون غاياتها العظام = كما الحزب = تتبلّد عن حمل العَلَم وتتعبّط بالظلّ. ويقيني وأسفي أن هذا الوصف ليس ببعيد أبداً عن حالة حزبنا الراهنة. ولذلك أترشح لمقاومة هذه المسيرة.

أترشح وأنا مقتنع أنه ليس فينا بارّ ولا متّهم في وجدانه، ولا معصوم. ومهما كان التاريخ المتأخر قد جعل أسبوع الاستشهاد وليلة 7 ـ 8 تموز محجة إلى القبر الفارغ إلا أن **الزيارة المنفصلة والمتسابقة والمتأخرة عند هذه القبيلة وتلك**، قد حوّل الجدّية الحزينة إلى مهزلة. وصار لا بدّ من إجراءات توحيدية فعلية في الحزب كي لا يزداد هزء الناس بنا وإحجامهم عن تصديقنا **طالما نحن متقسّمون في الحزب ثم ننادي بتوحيد الأمة**.

وصفُ الحالة الراهنة في الحزب أنها ركود فكري مخيف، وتأسّنٌ متعفّن، واستبداد إداري عَم، وتعطيلٌ لنبض الحزب ولقوة الشعب، وبالأخصّ تطفيشٌ، مدروس حتماً، لأهل القلم والفكر ولمطلق معارضة وتمرّد ثقافي بنّاء. وثمرة هذا الحالة الضحلة انفصامٌ وانفصال ما بين الإدارة والمثقفين، وبَونٌ شاسع بين المركز والمنفذية المقتصرة على نقل البريد، والمديرية التي قلّما تحصّل الاشتراكات. فما هو إلا **والحزبُ ـ النهضة ـ الدولةُ ـ الثورةُ قد راح يهرّ أعضاؤه هرّاً، وتتمرشق أغصانُه بغير نماء**. أخطر ما في الوباء المستشري أن الميدانيين لما يعودوا يشتاقون إلى تواصل محبّ مع المركز، ولا إلى طلّة المسؤولين التي كانت عندهم كالندى، ولا إلى مهابة المسؤولية العنقاء.

وأنا ضدّ هذا الانحطاط أترشّح.

وهل أكرّر مأساة النهضة بما آلت إليه الأمانةُ وتعيينُ الأمناء، فكأن فاروط الزيتون راح يعرّي الشجرة المباركة من ثمرها الراهن والآتي. وهل أصف مأساتنا بالأمانة تعييناً واستغلالاً أنها صارت تشبه مطفأة الشموع؟؟ **أنا مترشح ضد هذه الحالة.**

وفي الملأ الأعلى بالحزب سوسة شعوبية تحوّلت وباء منتشراً في مدارج الحزب ويغذيه الأعلام والتثقيف بصورة سلبية مذهلة، مع منع كل قلم يقول خلاف ذلك.

هذه السوسة حالة ذهنية منظمة ويغذّيها مغذٍ ما، وليس يصعب على العقل الواعي أن يصل إلى الينبوع. وإذا ما انتخى رئيس الحزب مرة، مثلاً، ودعم المنحى العربي الصحيح، فلا تمضي ساعتان أو يومان حتى ينقضّ مغاوير العجمة والشعوبية ليغيّروا لفظ كلام الرئيس وروحه، فتنطفىء المبادرة حيث قيلت، وينسدل الستار.

في اجتماع عارم وقف الأمين عادل شجاع يؤيد اتهاماتي لهم بالشعوبية وذَكّرَ ما كنت أعرفُه وأُعلنه أنهم في المخيمات الرسمية للأشبال والفتيان كانوا ينشدون أناشيد فيها تفاهة مثل عربٌ جربٌ. **وكانت الأناشيد تشجّع على أنها عقدية**. وليست الحالة الراهنة بأفضل. **وأنا ضد هذا التيار أترشح.**

حجة بعض **«المثقفين المشهود لهم»**! لدى الملأ الأعلى، والبارزين في الإذاعة والثقافة والندوة الثقافية! حجّتهم أن الأيام تبدلت وتتبدل وأن اليهود في فلسطين سوف يصبحون سوريين **والدليل أن السوريين وإن كانوا من أمة سورية وعربية إلا أنهم ليسوا عرباً**. وهكذا اليهود الذين اغتصبوا فلسطين. وإذا سئل هذا الأسطون ـ مفرد أساطين ـ وهل العروبة شأن عرقي؟ مغمغَ وتذرّعَ بوظيفته ووصفَ العداوة ضدّ إسرائيل بالتوهم. ودعا إلى اعتماد المبادىء الإصلاحية دون الأساسية فتضبط الحالة!؟

وأنا ضد هذا وأشباهه من النافذين أترشح.

رئيس حزب سابق صرّح أكثر من مرة أن بين المسؤولين المركزيين الكبار ماسونيين. وقد بدأ خطوات للمحاكمة ثم طُويَ الأمر **كأنّ هيكل سليمان ضرورة في القدس!!**

وأنا ضد هؤلاء أترشح.

* * *

وإلا . . . .

وإلا سوف يعود الأسخريوطيون إلى نغمة أن سورية هي إحدى أمم العالم العربي، وليست إحدى الأمم العربية.

ختاماً: اقتربت انتخابات الرئاسة. فاتصل بي رئيس المجلس الأعلى الجديدُ الأمين يوسف كفروني يقول إن عليّ أن أقدم ترشّحي لرئاسة الحزب من جديد لأنهم مجلس أعلى جديد، والوقت حاشر. بعد ساعة كنت أودع المجلس الأعلى ترشيحي الجديد لرئاسة الحزب. بعد يوم واحد اكتشفوا **قانوناً كان مخفياً!! وغير داخل في بروتوكول توحيد الحزبين!!** ينصّ على أن الأمين المرشح لرئاسة الحزب ينبغي أن يكون بأقدمية خمس سنوات في الأمانة مهما كانت أقدميته كرفيق. **خلاصة الاكتشاف أنهم رفضوا ترشيحي**. فتذكرت قول المتنبي: وهل يفلح عربٌ ملوكهم عجمُ؟

* * *

وشو الفرق؟

بعد تأمل طويل قررت أن أجتاز العقبة فقدمت للمجلس الأعلى استقالتي من الحزب بمعنى التوقف عن ممارسة عضويتي حقوقاً وواجبات. وأبلغتهم أني أحتفظ لنفسي **بشرف العضوية** لأنها منبثقة من قسمي العتيق ومن تعاقدي مع سعادة، ومع الأمة عبره. **أما رتبة الأمانة** فأحتفظ بها **لأني أمين في النهضة لا في الحزب**. هكذا أفتيتُ وهكذا كتبت. وقطعت أيضاً ولائي الذي كان واجباً عليّ للإدارة الحزبية ابتداء من 15 أيار 2000. ولكن أكثر من صديق ورفيق اتصلوا بي غاضبين ومناقشين في صحة التصرف كما في شرعية النصّ. اعتذرت منهم وأقفلتُ الجدال وآويت إلى النهضة معتزلاً الثرثرة والضوضى.

15 أيار 2000

قال لي أمين جزيل الاحترام إن النبذة الحياتية التي وزّعتها بغية تنوير الناخبين قد أضرّت بي أكثر مما نفعت لأنها عقدت كثيرين.

أخذتُ علماً. وشكراً!

هل جمّدت العضوية أم استقلتُ؟ لم أعد أهتم بالفرق. وشو الفرق؟

المحتويـات

الصفحة	العنوان	المصدر	التاريخ
3	الإهداء		
5	المقدمة		1 ـ 11 ـ 2000
9	حول الدستور	حزبية	5 ـ 1 ـ 1996
22	رسالة إلى مجلس الأمناء	حزبية	21 آذار 1999
29	مأزق العقائد والنهضات	نداء الوطن	22 آب 1998
33	الرسالة الشمالية والردّ عليها	الديار	15/16 ـ 11 ـ 1989
43	النهضة المقلوبة	ـ	19 آب 1998
45	عمدة الثقافة	حزبية	25 آب 1998
47	مخيّم عدبل	حزبية	23 تموز 1998
50	على أعتاب التأسيس	نداء الوطن	9 ـ 11 ـ 1998
53	أيّ وحدة نريد	نداء الوطن	28 آب 1998
58	النهضة والحقل والدمقراطية	نداء الوطن	19 حزيران 1998
63	حول الوحدة المتداولة	حزبية	17 حزيران 1998
68	حول الوحدة الحزبية	حزبية	22 تموز 1998
71	تراكم أم توحّد	نداء الوطن	18 أيلول 1998
76	وحدو الأصفار	نداء الوطن	22 أيار 1998
80	النهضة والمعلف والنير	نداء الوطن	27 ـ 11 ـ 1998
85	من أدبيات التوحيد	نداء الوطن	16 ـ 10 ـ 1998

الصفحة	العنوان	المصدر	التاريخ
90	حزب البعث القومي الاجتماعي	نداء الوطن	1 آب 1998
93	الحزب الأصلي والعقيدة والوحدة	نداء الوطن	26 حزيران 1998
97	مشروع الندوة الثقافية	حزبية	4 ـ 11 ـ 1999
101	مقال أول في البناء	البناء	1 أيار 1999
105	ألأحزاب تغيير ومتقوقعة	نداء الوطن	14 آب 1998
109	على أعتاب 8 تموز	نداء الوطن	25 حزيران 1999
115	هل استشهد جزافاً؟!	الديار	8 تموز 1992
118	حول هوية اللبنانيين وتاريخهم	نداء الوطن	23 نيسان 1999
124	كتابة التاريخ اللبناني	نداء الوطن	14 أيار 1999
129	التاريخ اللبناني الحقيقي	النهار	21/ 22 آب 2000
139	حول كتابة تاريخ لبنان	النهار	22 نيسان 1999
142	حول كتابة تاريخ لبنان (2)	النهار	23 نيسان 1999
146	الشيخ عبد الله العلايلي	الديار	8 آذار 1992
149	بو فارس الأمين جورج معلوف	البناء	1 أيار 1999
151	الشاعر جودت حيدر	بيروت	20 أذار 1997
156	رسائل حبّ	السفير	20 أيار 1998
159	عمر أبو ريشة	بيروت	14 تموز 1998
164	الشعائر الحسينية	النبطية	13 آب 1999
169	مرايا الزمان/ منيف موسى	صيدا	24 حزيران 2000
174	صراع الصدى والصوت	مزيارة	13 آب 2000
178	قانا سناء والشهادة	راشيا	16 نيسان 2000
186	العقيدة وتحدياتها	الندوة الثقافية	13 ـ 1 ـ 2000
202	انتخابات المجلس الأعلى	ـ	7 أيار 2000
204	نبذة حياتية	ـ	7 أيار 2000
211	ترشّح لرئاسة الحزب	حزبية	12 أيار 2000
214	وشو الفرق؟	ـ	15 أيار 2000